إصدارات مجلة قراءات إفريقية (3)

قراءات إفريقية

مجلة ثقافية فصلية محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية
تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن

التنصير في إفريقيا

أساليبه ووسائله وآثاره

Al Muntada

(٣)

إصدارات مجلة قراءات إفريقية

التنصير في إفريقيا

أساليبه، ووسائله، وآثاره

شارك فيه

د. آدم بمبا

د. أيمن شبانة

د. جلال الدين محمد صالح

أ. سيدة محمود محمد

أ. محمَّد الأمين سَوَادُغُو

د. محمد نور عبدالله

أ. أحمد عمرو

د. بدر حسن شافعي

د. جمال عبد الرحمن يس

د. كمال محمد جاد الله

أ. محمد فرج مصباح

تحرير

بسام المسلماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
الفصل الأول: التنصير في إفريقيا.. مقدمات أولية	١١
المبحث الأول: تعريف التنصير	١٤
المبحث الثاني: التنصير في إفريقيا وسبب التركيز عليها	١٧
المبحث الثالث: أطماع التنصير في إفريقيا	٢٠
الفصل الثاني: وسائل وأدوات التنصير	٢٣
المبحث الأول: التنصير عبر الخدمات التعليمية	٢٨
المبحث الثاني: التنصير من خلال الخدمات الصحية	٣٣
المبحث الثالث: الإعلام في خدمة التنصير	٣٦
المبحث الرابع: العمل الإغاثي والمشاريع التَّنمويَّة ودورها في التَّنصير	٤٣
المبحث الخامس: المرأة كهدف ووسيلة للنشاط التنصيري	٤٥
المبحث السادس: النَّشاط الثَّقافي مدخلاً للتَّنصير	٥٣
المبحث السابع: التَّنصير وبثُّ الانحلال الخلقي	٥٧
المبحث الثامن: التنصير المسلح	٦٠
الفصل الثالث: آثار التنصير.. قراءة في تداعياته على بنية المجتمع والدولة	٦٩
المبحث الأول: الآثار الدينية	٧٠
المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية	٧٥
المبحث الثالث: الآثار الثقافية	٧٧
المبحث الرابع: الآثار السياسية	٨٢
الفصل الرابع: واقع التنصير في البلدان الإفريقية	٨٥
المبحث الأول: التنصير في شرق إفريقيا	٨٩
الحراك التنصيري في شرق إفريقيا (إريتريا نموذجًا)	٩٢

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: التنصير في غرب إفريقيا	١٠٢
الحراك التنصيري في غرب إفريقيا (بوركينافاسو نموذجًا)	١٠٥
أسباب ترحيب الناس بالمنظمات التَّنصيرية قديمًا في بوركينافاسو	١١٢
أهم رجال التَّنصير في بوركينافاسو قبل الاستقلال	١١٥
وسائل المؤسسات والمنظمات التَّنصيريَّة في بوركينافاسو	١٢١
نتائج التَّنصير وآثاره في بوركينافاسو	١٣٤
دور الجمعيات الإسلامية في وقف زحف الأساطيل التنصير على بوركينافاسو	١٣٦
المبحث الثالث : التنصير في وسط إفريقيا	١٣٧
الحراك التنصيري في وسط إفريقيا (الكونغو الديمقراطية نموذجًا)	١٣٨
المؤسسات التنصيرية.. استراتيجياتها وأساليبها	١٤٣
الفصل الخامس: سبل مواجهة التنصير	١٥٥
المبحث الأول : النشاط الدعوي الإسلامي	١٥٨
حلول مقترحة لتفعيل دور الدعوة الإسلامية	١٦٤
المبحث الثاني: دور الإعلام في مواجهة التنصير	١٦٧
نماذج من تجارب الإعلام الإسلامي في إفريقيا	١٧٥
المبحث الثالث : التعليم الإسلامي في إفريقيا	١٨٠
المبحث الرابع: العمل الخيري والإغاثي	١٨٦
المبحث الخامس: الشيخ أحمد ديدات كنموذج عملي في مواجهة التنصير	١٨٩
خاتمة	٢٠٦

مقدمة

حركة التنصير في إفريقيا، حركة قديمة ومتطورة في آنٍ واحد: تلبس لكل عصر ما يناسبه وفق الظروف والمعطيات، تطورها يأتي في تعديل الأهداف، وتنويع الوسائل، ومراجعتها بين حين وآخر لتتناسب مع البيئات والانتماءات التي يتوجه إليها التنصير.

دخلت النصرانية إفريقيا في وقت مبكر جدًا من خلال ملوك الحبشة الذين اعتنقوها قبل ظهور الإسلام، ومع خروج الإمبراطورية الرومانية من الشمال الإفريقي، وانتشار الإسلام في ربوع القارة السمراء، لم تتمكن النصرانية من التمدد بشكل كبير خارج مناطق الحبشة وجبال النوبة، بل بالعكس أخذت في الانحسار، ولم يعد في إفريقيا سوى الدين الإسلامي والوثنية القبلية.

مع مرور الوقت أخذ الإسلام كل يوم يكسب أرضًا جديدة على حساب الوثنية القبلية، حتى أصبح الإسلام هو دين معظم الأقاليم الإفريقية (الشمال، والشرق، والغرب، ومناطق كبيرة في الوسط)، وبقي الجنوب فقط هو البعيد عن المؤثرات الإسلامية، وإن كان امتداد الإسلام للجنوب بحسب تطور الأمور، مسألة وقت فقط، لتصبح القارة الإفريقية هي قارة إسلامية خالصة.

لكن مع بدايات الكشوف الجغرافية، والتحول في ميزان القوى الدولية لصالح الدول الغربية، بدأت الخريطة الدينية للقارة السمراء تتغير بعض الشيء.

ففي عام ١٦١٠م أسس البرتغاليون أسقفية نصرانية في مدينة لواندا Loanda على ساحل أنجولا الشمالي، لكنها لم تحرز أدنى نجاح في أداء مهمتها، فأغلقت أبوابها على من فيها لعدة سنوات، ثم بيعت بعد ذلك.

وفي العام ١٦٣٠م اعتنق زعيم مومباسا Mombaz (ممبسة) على الساحل الشرقي لكينيا عقيدة النصرانية، لكنه سرعان ما رجع عنها واعتنق دين الإسلام.

في العام ١٦٥١م أعلن مونوموتابا Monomotapa ملك موزمبيق تركه للوثنية واعتناقه للنصرانية، استجابةً لدعوة إرساليتين إنجيليتين كانتا قد استقرتا في حوض نهر زامبيزي، إحداهما يسوعية، والأخرى دومينيكانية، أغدقا عليه الأموال، وسارا معه في استخدام الأرواح التي كان يعتقد بها في وثنيته.

وفي العام ١٦٦٥م أتت هجمة تنصيرية بروتستانتية من هولندا إلى سواحل جنوب إفريقيا، فقامت بتدمير جميع المؤسسات والكنائس والإرساليات التي كان قد أسسها البرتغاليون من

قبل، ثم وضعوا أيديهم على منطقة رأس الرجاء الصالح؛ حيث نزل على أرضها أول قسيس بروتستانتي، لا ينافسه قسيس آخر من أي ملّة نصرانية أخرى.

وهكذا شهدت إفريقيا بداية النشاطات التنصيرية مع بداية حركة الكشوف الجغرافية، لكن ظل تأثير النشاط التنصيري ضعيف؛ نظرًا لتركزه على السواحل، حيث تقيم الأساطيل الأوربية خطوط إمدادها، وظل اعتناق الأفارقة للنصرانية محدود للغاية؛ نظرًا لاعتناق الكثير منهم للإسلام والذي وقف كحائط صد منيع أمام التوغل النصراني في القارة، وحتى القبائل الوثنية رفضت الدخول في النصرانية؛ نظرًا لارتباط هذه الديانة في أذهانهم بعمليات الخطف وجرائم تجارة الرقيق، بالإضافة إلى أن الدول الأوربية لم تعرف غير طريق القهر والاستبداد لإجبار الأفارقة على الدخول في النصرانية، لذلك عندما ضعفت المراكز الأوربية على السواحل الإفريقية، فإن كثيرًا من القبائل القريبة من السواحل والتي تنصرت ارتدت وعادت للوثنية من جديد، ليبقى الوجود النصراني محصورًا ومحاصرًا في بقع محدودة للغاية.

ظل الإسلام والوثنية القبلية هما الديانتين المهيمنتين على الخريطة الدينية في إفريقيا حتى نهاية القرن الثامن، ولم تتمكن النصرانية من اختراق القارة إلا في بعض البقع المحدودة للغاية. لكن مع بداية احتلال الدول الأوربية لمناطق واسعة في إفريقيا، وتوغل هذه الدول إلى قلب إفريقيا، تغيرت هذه الخريطة بشكل كبير.

إذ كان يصاحب -وأحيانًا يسبق- الاحتلال إرساليات تنصيرية تمهد له الطريق، وتمده بالمعلومات، وتصبح أداته في توطيد نفوذه في البلدان التي يحتلها، في المقابل يعمل الاحتلال على تهيئة الأجواء لعمل هذه البعثات وترسيخ أقدامها داخل المجتمعات بكافة الطرق والوسائل. وقد اعتمد الاحتلال على وسائل جديدة في التنصير نحو إنشاء المدارس وابتعاث الأفارقة إلى الدول الأوربية، وإنشاء المستشفيات والجمعيات الخيرية، مستغلاً حالات الفاقة والجهل التي كان يعاني منها الأفارقة، وفي حال عدم استجابة أبناء المجتمع كان يستخدم وسائل الترهيب والبطش والإقصاء والتهميش لكل من يقف أمام عمل هذه البعثات والإرساليات، وللضغط على المجتمع لتقبل ما يدعو إليه المنصرون.

وقد أتت هذه السياسات بثمارها، فكان القرن التاسع عشر حقًا هو العصر الذهبي للتنصير في إفريقيا، ولم يبدأ القرن العشرون إلا وتغيرت الخريطة الدينية في إفريقيا؛ إذ أصبح للنصرانية تواجدها المحسوس والملموس والمرئي بشتى مذاهبها ومللها وكنائسها، وإن كان هذا التواجد في أغلبه على حساب الديانة الوثنية القبلية وقليل جدًا منه على حساب الإسلام.

استمرار الاحتلال لعقود طويلة في معظم أنحاء القارة أدى إلى تغيرات كبيرة في نمط الحياة والتركيبة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع الإفريقي، فبعد أن كانت السلطة في يد الحكام التقليديين وزعماء القبائل، أصبحت سلطة البلاد في يد نخب متغربة نشأت وتربت في مدارس الإرساليات متشربة بالثقافة الغربية، بعيدة تمامًا عن مجتمعاتها، وفي الغالب كانت تدين هذه النخب بالنصرانية حتى أصبح من مؤهلات الصعود الطبقي داخل المجتمع هو الدخول في الديانة النصرانية، وتشرب الثقافة الغربية.

وكانت القبائل التي تتقبل هذه التغيرات وتدين بالنصرانية يتم تطوير المناطق التي تعيش فيها، وتُبنَى فيها المستشفيات والمدارس والمحال التجارية والمصانع، وتصبح مركزًا حضريًا للإقليم التي تتواجد فيه، بينما القبائل التي ترفض سياسات الاحتلال وثقافته التي تعد النصرانية إحدى روافدها، يتم تهميشهم وإقصائهم وتجاهلهم ولا ينعمون في مناطقهم بأي من مظاهر التطور.

وهكذا بدأت المجتمعات الإفريقية في الانقسام إلى مجتمعين؛ مجتمع متعلم غني متطور ينتمي إلى ثقافة المحتل ويدين بعقيدته، ومجتمع آخر يرزح تحت وطأة الفقر والجهل والمرض؛ بسبب رفضه لتقبل قوى الاحتلال، وقد أوجدت هذه التفرقة والانقسام حالة من العداء والصراع بين المجتمعين.

ومع تصاعد حركات التحرر الثورية في العالم بأسره وتزايد وعي الشعوب في المطالبة بالاستقلال أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبروز حالة الاستقطاب العالمي بين المعسكرين الروسي والأمريكي، كان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على القارة الإفريقية، ويضطر الاحتلال إلى تسليم إدارة البلاد لعملائه، وتصبح البلدان الإفريقية مستقلة اسمًا لكنها محتلة بالوكالة.

وإزاء هذه التحولات والتطورات التي شهدتها القارة فقد طوّرت المنظمات التنصيرية من طريقة عملها، واعتمدت استراتيجيات العمل غير المباشر، وضخ الأموال الكبيرة للاستثمار في مشاريع لها صلة بالكنيسة، ومحاولة التغلغل في الإدارات والأجهزة الحكومية والسيطرة على وسائل الإعلام لتوجيه الرأي العام، والتأثير في المجتمع من الداخل؛ لضمان استمرار النفوذ الذي كانت تتمتع به في ظل الاحتلال، هذا بالإضافة إلى الاستمرار في العمل الإغاثي والتعليمي والخدمي والصحي، وإن كانت الدعوة للتنصير في هذه الأعمال تتم بصور غير مباشرة.

في المقابل فقد غضت الأنظمة الجديدة الطرف عن هذه المنظمات؛ نظرًا لأن معظم النخب الحاكمة هي نُخَب متغربة، وتعتبر امتدادًا لفترات الاحتلال.

واليوم مع التحولات الكبرى التي يشهدها العالم والطفرات الكبيرة في مجالات الاتصالات

والتكنولوجيا حتى أصبح العالم قرية كونية واحدة، واختصرت المسافات والأزمنة، يشهد المجتمع الإفريقي تغيرات كبيرة، وتتطلع شعوبه نحو الانعتاق من جميع مظاهر التبعية للغير، والحصول على حريات حقيقية، وقيام نهضة اقتصادية واجتماعية، وثقافية وسياسية. هذه التحولات بلا شك ستغير كثيرًا من أطراف المعادلة التي ظلت تحكم الواقع الإفريقي لعقود، وبالتالي سيكون لهذا كله تأثيره على المنظمات التنصيرية وطبيعة عملها وأنشطتها..

وقد قمنا في مجلة «قراءات إفريقية» وعلى مدار سنوات برصد هذه الظاهرة من خلال عدد من الدراسات المتناثرة في أعداد المجلة، لكنها جميعها تتفق على تناول هذه الظاهرة بالرصد والتحليل، لذلك فقد رأينا أنه من المفيد تجميعها وترتيبها من جديد، وإصدارها في كتاب ضمن سلسلة «إصدارات مجلة قراءات إفريقية»، حتى يقف القارئ على الأدوار التي مرت بها هذه الظاهرة من القديم وحتى وقتنا الحاضر والوسائل التي استحدثتها، ومدى تأثيرها على الواقع الإفريقي.

وتكشف قائمة الباحثين المشاركين في هذا الكتاب والمساحة الزمنية والجغرافية التي تناولها عن الغنى والتنوع الذي تحمله المادة المطروحة: حيث شارك (١١) باحثًا من بلدان إفريقية مختلفة في إعدادها، كما أنها غطت واقع التنصير في بلدان من شرق ووسط وغرب إفريقيا، وتناولت بالشرح والتفصيل التطور التاريخي للتنصير في إفريقيا، وأبرز المحطات والأدوار التي مرت بها، وتناولت وسائل التنصير في الماضي والحاضر، ولم تغفل النظرة المستقبلية لهذه الظاهرة، ودور المنظمات الإسلامية في مواجهة التنصير.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد

الفصل الأول

التنصير في إفريقيا.. مقدمات أولية

الفصل الأول

التنصير في إفريقيا.. مقدمات أولية

تمهيد:

واجَه الإســـلام منذ بعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- تحديات كثيرة، ومحاولات عديدة من يهود ونصارى ومشـــركين وغيرهم؛ للقضاء عليه وطمس معالمه، وما تاريخ الدعوة الإســـلامية منذ بعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- حتى يومنا هذا إلا حكاية عن هذا الصراع الطويل، ومن أكبر الحملات ضد الإســـلام اليوم مـــن حيث الإمكانات والدعم الذي تجده من أكبر دول العالم حملات التنصير.

المبحث الأول

تعريف التنصير

ويمكننا تعريفه كما يلي:

التنصير في معناه اللغوي:

يقال: نَصَّرَ، تَنصيرًا، نَصَّره أي: جَعَلَهُ نَصْرَانيًا، فهو بمعنى «عَمَّدَهُ»[١]، وتنَصَّرَ: دخل في دينهم، والتَّنَصُّرُ: الدخول في النصرانية، ونصَّرهُ تنصيرًا: جعله نَصْرانيًا.

وفي الحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢]. ونصران: قرية بالشام، ينسب إليها النصارى، ويقال: ناصرة.

والتنصير اصطلاحًا:

هو الدعوة إلى الديانة النصرانية، ومحاولة نشر عقيدتها في أنحاء العالم بالوسائل والإرساليات المتنوعة، والدعوة إلى الدين من مبتكرات النصرانية، ولم تعرف قبل تاريخها، فلا أثر لها في الأديان القديمة[٣].

التبشير لغة واصطلاحًا:

كلمة (تبشير) في اللغة العربية هي المصدر للفعل بَشَّرَ يُبَشِّرُ، واسم المصدر منه (البِشَارة) أو (البُشْرى)، وهو في أصل استخدامه اللغوي، يعني إيصال رسالة أو خبر ما يؤثر في بشرة الوجه تغييرًا ملحوظًا، سواء كان تغيير فرحٍ تظهر منه على الوجه علاماتُ السرور، أو تغيير حزن تظهر منه على الوجه علامات الانقباض، وهو ما يعرف بالكَدَر.

التبَّشيرُ: كالإبشار، والبشور، الاستبشار، والبشارة: الاسم منه كالبشْرى وما يُعْطَاه المبشِّرُ. وجاء في اللِّسان: بشَرْتُهُ فَأَبْشَرَ، وَاسْتَبْشَرَ وَتَبَشَّرَ: فرح، والْبَشِيُر: المبشر[٤].

---

(١) المنجد الأبجدي، ط:٢، ١٩٨٧م، دار المشرق، ص: ١٠٦٩.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ط: ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، لا ت، ج: ٥، ص: ٢٠٧. منصور علي ناصف، التاج الجامع للأصول، في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ج: ٥، ط: ٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٦م، ص: ١٩٦.

(٣) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، م:٢، ط:٣، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧م، ص: ٢٠٥.

(٤) محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ط: ٢، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م، ص: ٦٢.

أما في العرف أو الاصطلاح اللغوي: فتكون البشارة أو البشرى -إذا لم تكن مقيدة- مختصة بالتبشير بالخير لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾[٢].

تبشير: تبليغ البشرى. أما إذا استُخدمت البشارة في الشّرّ فإنها لا بدّ أن تُقيّد بقرينة، تصرفها إلى معنى يفيد الإنذار أو التحذير، أو الإخبار بوقوع أمر غير مرغوب فيه، كوعيد أو تهديد أو نحوهما مثل قوله: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[٣].

التبشير اصطلاحًا:

هناك ثلاثة تعريفات:

الأول: تعريف التبشير في الإطار التقليدي القديم، والذي يقولون فيه: «هو إرسال مبعوثين ليبلّغوا رسالة الإنجيل لغير المؤمنين بها، عن طريق الوعظ أو التكريز، بما في مجيء يسوع المسيح من بشرى سارة».

الثاني: هو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها بمختلف الوسائل والأساليب؛ ليتخذوا النصرانية دينًا لهم وإرجاع المهرطقين [٤] إلى الإيمان بما تقرره الكنيسة المعنية [٥]، وهذا ينطبق على التبشير في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث.

الثالث: يقال فيه: (التبشير هو إيصال الأخبار السارة إلى الأفراد والجماعات، رجالاً ونساء، ليقبلوا يسوع المسيح ربًا ومخلّصًا، وأن يعبدوه من خلال عضوية الكنيسة، وفي حالة عدم إمكان ذلك السعي لتقريب المعنيين من الأفراد والجماعات، من الحياة النصرانية، بما في ذلك صرفهم عن ديانتهم بشتى الوسائل والأساليب.[٦]

ولما كانت الديانة النصرانية، بوضعها الحالي، مختلفة تمامًا عن رسالة المسيح الأصلية،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٤) أي: المرتدين.

(٥) هذا هو موقف الكنيسة الكاثوليكية، التي تدّعي أنها الأم لكل الكنائس، وقد مارست في سبيل إرجاع من زعمت أنهم مرتدون وسائل عديدة قاسية.

(٦) محمد عثمان صالح، مرجع سابق، ٤٧.

ومناقِضة للتصور الإسلامي. وكانت رسالتها الأصلية رسالة خاصة لبني إسرائيل، فإن موقف المسلمين من المصطلح «تبشـــير» بمعنى «تنصير». هو عدم القبول. بل الرفض التام؛ لذلك لا يَقبل أن يَســـتخدم مصطلح «تبشـــير» إلا مَن لا يدرك أبعاد ما يريده المنصّرون من فرض هـــذه المصطلحات الجذابة المنتقاة. من بين عدد من العبارات ليســـهل اســـتخدامها عند المسلمين[١].

(١) المرجع السابق.

المبحث الثاني

التنصير في إفريقيا وسبب التركيز عليها[١]

علاقة القارة الإفريقية بكل من الدين الإسلامي والنصرانية موغلة في القدم، وثابتة في كتب التاريخ، ومع أن الديانة النصرانية سبقت الإسلام إلى إفريقيا بما لا يقل عن ستة قرون: فإن الإسلام استطاع في أقل من نصف قرن أن ينتشر في القارة بالشكل الذي جعل مراكز النصرانية جزرًا صغيرة وسط بحار الإسلام.

وقد جاء تدخل الغرب ليحُول دون استمرار تقلص النصرانية من جهة، ودون إحراز الإسلام الانتشار والتقدم من جهة أخرى، فمع بدء القرن الخامس عشر الميلادي وُجدت ظروف وأحداث أعادت ترتيب التاريخ الإفريقي، وأثرت في الجوانب الدينية والثقافية والحضارية في إفريقيا، وذلك بدخول الاستعمار الغربي في حلبة الحياة الإفريقية.

ولما كانت النظم الاقتصادية تتشكل حسب المفاهيم والمعتقدات، بل حسب الديانة السائدة؛ انطلق المغامرون الأوروبيون نحو إفريقيا لتنصيرها بعدما أقسموا لأباطرتهم بأنهم يسعون لنشر النصرانية.

وبعد الغزو العسكري الاستعماري لإفريقيا في القرنين التاسع عشر والعشرين اتجه الغربيون للغزو الفكري والثقافي والإعلامي لجعل الدول المحتلة ضعيفة الإمكانات، مسلوبة الإرادة، منهزمة معنويًا، وأصبح الفاتيكان يعتمد على الغزو العسكري والفكري ليمهّد له الطريق أولاً، ثم تدخل الكنائس لتجد الجو مهيَّئًا لها للعمل وسط الفقراء والمعوزين؛ ولذا بدأ بابا الفاتيكان جون بول الثاني زيارة لإفريقيا في مايو ١٩٨٠م من زائير (الكنغو الديمقراطية حاليًا) والكنغو، ثم كينيا وغانا، وبوركينافاسو وساحل العاج، قائلاً: «إنني أرجو أن يكون بحلول عام ٢٠٠٠م قد تنصَّرت إفريقيا جميعها»[٢].

لقد احتج القساوسة الأفارقة لسيطرة الأوروبيين، وتدخلهم في شئون بلادهم الداخلية، وعندما رأى البابا زحف الإسلام في مناطق نفوذ الكنيسة نادى بضرورة التعاون لتهدئة الدعوة لأسلمة النصارى، وسمحت الكنيسة للوثنيين بممارسة معتقداتهم الوثنية!

وفي فبراير عام ١٩٨٢م قام البابا بزيارة أخرى لإفريقيا ذات صبغة دينية: لتوحيد أعمال

---

(١) محمد فرج مصباح، باحث مصري.

(٢) التنصير في إفريقيا، نصر الهادي مصطفى، على الرابط التالي:
http://www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=30

التنصيـــر والمطالبة بالإصلاح الداخلي، وبدأها بنيجيريا مناديًا بالعدالة والســـلام والتقدم، والدعوة إلى زيادة عملية التنصير، وخاطب البابا النصارى أمام حاكم كادونا المسلم، وأخبره بضرورة تعاون النصارى مع المســـلمين، وإزالة التمييز بين الأفراد، ونادى بممارســـة العمل لمصلحة البلد.

ثم زار دولة بنين، وقُوبل برفض الســـيطرة الأجنبية في إفريقيا، والنظام الفاشســـتي في بريتوريـــا، ونادى بتوســـيع الحريات المدنية للكاثوليك لوقفتهم ضـــد قوانين الدولة المقيِّدة للتنصير، والتي ستمنح بنين قفزة للأمام، وزار الجابون، وفي غينيا الاستوائية مدح الكاثوليك لوقفتهم أمام الرئيس الســـابق نجوما الذي حظر الكنيسة عام ١٩٧٨م، ونادى بالمصالحة بين الناس من أجل الصالح العام والتقدم، وزار أوغندا كذلك.

وعلى الرغم من مدح البابا للثقافة الإفريقية في زائير (الكنغو الديمقراطية): فإنه رفض أن تُضمن العبادة الزائيرية في القداس البابوي، فشعر رجال الكنيسة المحليون بإهانة بالغة، وأرسلوا وفدًا للفاتيكان محتجين على ذلك الحظر، ورأوا أن إخوتهم الأفارقة المسلمين يجدون الراحة النفسية في اعتناقهم الإسلام، ويرون أن الإسلام واقعي في مواجهة مشكلاتهم الفردية والجماعية، وأنه نموذج مناسب لهم كأفارقة لسهولة شعائره ومواجهة الحياة، ويمنحهم الحرية في ممارسة شعائرهم.

على الرغم مما قدمته الكنيسة من مأكل ومشرب، وتعليم وتوطين، وعلاج، وأن هذه الأرقام خادعـــة، وقال البابا: يمكننا فقدان مســـيحيين كثر إذا لم تغرســـوا الإيمان الديني الحقيقي الصلب في النصارى.

لم يأت اهتمام المنصّريـــن بهذه القارة من فراغ: فإفريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تســـميتها بالقارة المســـلمة من بين قارات العالم، وكل شيء يشـــير إلى أن الإسلام هو دين المســـتقبل في هذه القارة، وأنها قارة المســـتقبل للإسلام، كما أن حاضر القارة يشهد واقعًا إسلاميًا ملموسًا تنطق به الحقائق الآتية:

١ - قرابة ٧٠٪ من المجتمع العربي المسلم في إفريقيا.

٢ - ٧٥٪ من الأراضي العربية الإسلامية في إفريقيا.

٣ - أكثر من ٦٠٪ من مجموع السكان مسلمون.

٤- تشـــهد الدعوة الإسلامية صدًى وتجاوبًا لدى الأفارقة، وتسير بخطى واسعة: ولذلك تستحق إفريقيا تسميتها بلقب (القارة المسلمة).

المنصّرون يخافون الإســـلام ويعلمون مدى انتشـــاره وخطورته على دعوتهم في إفريقيا وغيرها من قارات العالم، فقد قال المنصّر بلس: «إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في

طريق تقدم التنصير بالنصرانية في إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضًا لا من جهل السكان، ولا من وثنيتهم، ولا من مناضلة الأمم النصرانية وغير النصرانية»، ويقول فيليب فونداسي: «الإسلام يؤلّف حاجزًا أمام مدنيتنا المبنية كلها على مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكارتية.. فإن الإسلام يهدّد ثقافتنا الفرنسية في إفريقيا السوداء بالقضاء عليها».[١]

لم يتوقف الدعم الأمريكي للتنصير وبخاصة في القارة السوداء. فكارتر الرئيس الأمريكي الأسبق بدلاً من أن يقيم ويرعى نشاطًا اجتماعيًا في أمريكا كغالبية الرؤساء الأمريكيين، مثل (مكتبة ريجان، مركز روزفلت، مركز كيندي، مركز هوفر، جامعة أيزنهاور)؛ أقام مع زوجته (مركز كارتر) في مدينة أطلنطا مدعومًا من كنيسته من أجل البحث عن السلام في العالم، أو على حد قوله: «إننا نقوم بفتح صدورنا وقلوبنا للناس، ونشر كلمة الله».[٢]

وقام المركز الذي يعمل من خلاله بمهام بارزة في العالم، مثل: تقديم المساعدات الطبية للنساء في جورجيا، وبناء مساكن للفقراء في فلوريدا وإفريقيا، وله نشاط في أكثر من ثلاثين دولة إفريقية، ويتدخل المركز في جنوب السودان دائمًا برجاله وإمكاناته ومنصّريه، ولم يُخفِ كارتر اهتمامه بالسودان، وبخاصة الجنوب السوداني، وعبَّر عن ذلك صراحة.

وتدخل حملات التنصير في إفريقيا تحت ستار المساعدات الإنسانية، فهناك ٥٠٠٠ طبيب و ٧٠٠٠ ممرض وممرضة، و ٢٨٩ ملجأ للأيتام، و ١٩٥ ملجأ للعجائز، و ١٦٣ ملجأ للمكفوفين، و ١٠٥٠ صيدلية توزع الأدوية مجانًا، و ٨٠٠٠ مستشفى متكامل الخدمات، و ١٧ ألف مركز طبي، و ١٧١ كلية ومعهدًا عاليًا، و ١٨٥٧١ مدرسة ابتدائية، و١٠ آلاف مدرسة ثانوية، و٢٠٠٠ مدرسة مهنية[٣].

---

(١) غزو تنصيري لإفريقيا، أحمد أبو زيد: http://www.alukah.net/articles/1/847.aspx

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق.

المبحث الثالث

أطماع التنصير في إفريقيا

تقـــول الدكتورة زينب عبد العزيـــز: (نطالع في بحث أجراه داود بيـــلار D. Beylard رجل الاقتصاد الكنغولـــي، في مجلة «إفريقيات» (وهي مجلة اقتصاديـــة لكل إفريقيا)، يتضح أن مجمل الثروات الإفريقية يصل إلى ســـتة وأربعين مليـــارًا ومائتي مليون دولار؛ إذ يقول: «إن القيمة المالية للمناجم الإفريقية في المواد الخام الأولية التي تم اكتشـــافها حتى الآن تصل إلى ٤٦،٢٠٠ مليار دولار، لماذا إذن لا تفلح إفريقيا في الاســـتفادة من مثل هذه الثروات التي تفوق ثلاث عشـــرة مرة العائد السنوي للصين؟ إنها ثروة تكفي بكثير لتحويل القارة الإفريقية إلـــى واحدة من القوى العظمى في العالم». وهـــذا التقصير في تنمية إفريقيا في مجمله هو النموذج الاقتصادي القائم على تمويل استثماري يجيد الغرب العنصري المغتصِب قيادته.

وها هو ذا مثال آخر يقدمه الباحث: «هناك شركات مناجم بلا إمكانيات معقولة، وأحيانًا بلا عاملين ولا مكاتب، تتبع شركات مساهمة مجهولة، مقيَّدة في السجلات الضريبية، وتصل بفضل الوعود والاســـتعراضات إلـــى إقناع الحكومات الإفريقية بأن تُســـند إليها مناقصات منجمية ضخمة لاســـتغلالها، وما أن يتم الحصول على العقد فإن هذه الشـــركات تسارع في الحصول على تمويل شـــحيح، عادة ما يكون من كندا، لإضفاء قيمة على الأســـهم الإفريقية، وأخـــذ أرباح بفائض قيمة ضخم؛ حتى قبل أن يتم رفع جـــرام واحد من أرض المناجم التي حصلوا على حق استغلالها».

وهو ما يعني عمليًا أنهم يحققون ثروة بضمان الموارد الإفريقية دون أن تكون هذه الموارد قد تم استغلالها فعلاً، والأدهى من ذلك دون أن تأتي بأرباح للمُلاك الحقيقيين من الأفارقة أصحاب الحق المهضوم!

ويـــا له من موقف فاضح، وبخاصة حين نعرف أن نظام التمويل الدولي يســـتنزف الدول الإفريقيـــة بمطالبتها بالفوائد المركبـــة للديون التي تتورط فيها عـــن طريق صندوق النقد الدولي!

إضافة إلى ما تقدم أنقل هذا الاستشهاد المأخوذ من أحد الأبحاث المقدمة في اجتماعات إحدى الجمعيات الاستشـــارية عن ضخامة كميات المواد الخام الأولية: «وفقًا لدراسة قامت بها جمعية استشـــارية متخصصة في الاستثمار في إفريقيا؛ فإنه يوجد في هذه القارة عشرة ملايين منجم من المواد الأولية الخام، ســـواء في البر أو في البحر، ولا يُســـتغل منها ســـوى

مائة ألف، ويظل تسعة ملايين وتسعمائة موقع، أي ٩٠٪ من الثروات، غير مستغل إطلاقًا! والأدهى من ذلك كلها مواقع معروفة ومسجلة في أحد بنوك المعلومات المزودة بتقنيات الأقمار الصناعية والمعلوماتية الأكثر تحذلقًا»[١].

تتجه سياسة الفاتيكان منذ سنوات نحو تكثيف العمل التنصيري في القارة الإفريقية، فلأول مرة في تاريخ الفاتيكان يخرج البابا بنفسه من مقره البابوي ليزور الدول الإفريقية ثلاث مرات خلال خمس سنوات فقط؛ في حين ظلت سياسة الفاتيكان عبر تاريخ اهتماماته بإفريقيا مقصورة على إيفاد البعثات التنصيرية الكاثوليكية، فقد زار البابا يوحنا بولس الثاني - في رحلاته الإفريقية الأخيرة - ١٦ دولة إفريقية هي: توجو، وساحل العاج، والكاميرون، وإفريقيا الوسطى، وزائير، وكينيا، والمغرب، وقبلها زار البابا: غانا وبوركينا فاسو، والكونغو وكينيا.

أما زياراته الأولى فقد شملت: نيجيريا وبنين، وغينيا الاستوائية، والجابون، ويتزايد عدد الكاثوليك بشكل يدعو إلى القلق في القارة الإفريقية، فالكنيسة الكاثوليكية تكسب في كل عام مليوني إفريقي، وإفريقيا اليوم بها ٦٥ مليون كاثوليكي يمثلون ١٦٪ من سكان قارة إفريقيا، ويسعى الفاتيكان بكل وسائله إلى أن يصبح عددهم مائة مليون نصراني كاثوليكي، في حين أن أعدادهم في عام ١٩٠١م لم يتجاوز مليون نسمة فقط، وقد شهدت هذه الزيادة أعلى معدل لنموها في السنوات الأخيرة فقط[٢].

---

(١) تنصير إفريقيا. http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=366119

(٢) الفاتيكان.. التنصير الكاثوليكي بالأرقام، محمود بيومي، http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-14-5446.htm

الفصل الثاني

وسائل وأدوات التنصير

الفصل الثاني

وسائل وأدوات التنصير

تمهيد:

تحظى القارة الإفريقية باهتمام قوي في إطار المخططات التي تحيكها الهيئات الكبرى المعنية بنشر النصرانية (المسيحية) في العالم، وفي مقدمتها مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان.

فقد أخذ مجلس الكنائس العالمي على عاتقه مهمة نشر المسيحية الأرثوذكسية والبروتستانتية في إفريقيا، وفق مقررات مؤتمر التنصير الأشهر في كلورادو عام ١٩٧٨م.

كما نظّم الفاتيكان مؤتمر روما التنصيري في ١٩ فبراير ١٩٩٣م تحت شعار «تنصير إفريقيا عام ٢٠٠٠م»، وعُقدت لذلك الغرض أيضًا العديد من المؤتمرات العالمية، ومنها: مؤتمر «سينودس إفريقيا»، في أكتوبر ٢٠٠٩م، وهو سينودس الأساقفة الخاص بإفريقيا المعروف باسم «التزام إفريقيا»، ومنتدى أساقفة إفريقيا وأوروبا في روما في فبراير ٢٠١٢م، وذلك حول موضوع «البشارة المسيحية في إفريقيا».

وقد بلغ اهتمام المنظمات المسيحية بإفريقيا درجة جعلت بعض الدوائر الكنسية تتنبأ بأنه في نهاية القرن العشرين سيكون واحد من كلّ اثنين في إفريقيا مسيحيًا، حيث أكدّ بابا الفاتيكان

«بندكت السادس عشر» خلال زيارته لإفريقيا عام ٢٠٠٩م أن القارة الإفريقية هي «طوق النجاة للكاثوليكية في العالم»؛ بوصفها الأرض الخصبة الملائمة لكي تكون موطنًا صالحًا للمذهب الكاثوليكي، خصوصًا مع تراجع المقبلين على الكنيسة الكاثوليكية في الدول الغربية.

وتسعى المنظمات التنصيرية في إفريقيا إلى تحقيق أهداف عديدة: أهمها: إقناع المسلمين باعتناق المسيحية، أو على الأقل صرفهم عن التمسك بمبادئ الدين، وتشكيكهم في عقيدتهم، حتى لو لم يدخلوا في النصرانية، وإقصاء الإسلام من مناطق انتشاره، ووقف امتداده في القارة؛ من خلال تشويه حقيقته، والإيحاء بأن التقدّم الغربي إنما جاء بفضل تمسّك الغرب بالنصرانية، بينما يعزى تأخر المسلمين إلى تمسكهم بالإسلام.

كما يسعى المنصّرون إلى توسيع دوائر النفوذ السياسي الغربي في إفريقيا، بهدف نهب ثرواتها واستعباد شعوبها، وكذا يستثمر بعض المنصِّرين الجهود التنصيرية في تكوين الثروات: حيث يكون التنصير في بعض الأحيان تجارة مربحة، تبدأ بإنشاء منظمة تنصيرية، وجمع التبرعات من المتحمّسين لنشر كلمة الربّ، حيث يُستخدَم جزءٌ منها في دعم الأنشطة التنصيرية، فيما يذهب معظمها إلى القائمين على تلك المنظمات.

لم يترك المنصِّرون فرصة إلا وحاولوا استثمارها في سبيل خدمة أغراضهم، فالقاعدة لديهم هي أن الغاية تسوّغ الوسيلة مهما كانت، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

أما بالنسبة للأساليب المباشرة: فتعتمد على الدعوة الصريحة إلى نشر المسيحية في المجتمعات المستهدفة، أما الأساليب غير المباشرة فهي تعتمد على التسلل إلى تلك المجتمعات، ومحاولة تشكيكها في عقيدتها: عبر إلصاق الافتراءات بالعقيدة الإسلامية والرموز الدينية التي يعتز المسلمون بها.

١- الأساليب المباشرة للتنصير:

ومن أهمها التوسّع في بناء الكنائس والإرساليات في كلّ مكان، وخصوصًا بجوار المساجد، وعلى سبيل المثال يوجد في إفريقيا حوالي ١١١ ألف إرسالية تبشيرية، فيما يتجاوز عدد الكنائس في العاصمة السودانية الخرطوم ٤٠٠ كنيسة.

كما تعتمد المنظمات التنصيرية على بثّ أفكارها باللغات الإفريقية المحلية، وذلك من خلال الكتب والمطبوعات ووسائل الإعلام التي تأتي المحطات الإذاعية في مقدمتها، ومن أهمها محطة «صوت الإنجيل» التي تعد المحطة الأشهر في القارة، والتي تبث إرسالها من أديس أبابا بثلاث عشرة لغة إلى دول الشرق والجنوب والغرب الإفريقي.

ويقوم المنصِّرون أيضًا بزيارات متكررة مصحوبة بالهدايا والاحتياجات الأساسية للمستهدَفين في المنازل ومخيمات اللاجئين، والجمعيات الأهلية، ودور الأيتام والأسواق، والسجون، وغيرها.

٢- الأساليب غير المباشرة للتنصير:

ومن أهم هذه الأساليب: تقديم الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية، ومحاربة اللغة العربية ومنع انتشارها: بوصفها لغة القرآن الكريم، وذلك مقابل تشجيع اللهجات المحلية، وتدوينها بالحروف اللاتينية، بالإضافة إلى تقديم الخمور، وتشجيع ممارسة الجنس، وإنشاء المراقص، خصوصًا بالقرب من المساجد، ومن الجمعيات التنصيرية التي تستخدم هذا

الأسلوب «جمعية أبناء الربّ وأسرة الحب». وهو من الأساليب الرائجة في كينيا وإثيوبيا.

ويحرص المنصِّرون على التنسيق بين أساليب التنصير المختلفة، ودراسة إمكانية تطويرها أو الجمع بينها، وذلك بالاعتماد على الدراسات التي توفّرها المراكز البحثية التابعة للهيئات التنصيرية العالمية والإفريقية، ومن أهمها: مركز البحوث التابع للفاتيكان، ومركز البحوث التابع لمجلس الكنائس العالمي، ومراكز المعلومات المسيحية في معظم العواصم الإفريقية.

المبحث الأول

التنصير عبر الخدمات التعليمية[١]

حظي التعليم باهتمام واضح من المنصِّرين كوسيلة للتنصير في إفريقيا، وليس كغاية في حدّ ذاته: وذلك لأنه من أقوى المؤثّرات الفكرية على الإطلاق: حيث إنه يتوجه مباشرة إلى عقول الأفارقة: بهدف تطويعها لقبول الأفكار والتعاليم والقيم المسيحية[٢]، كما أنه يتصل بالخُلُق المسيحي، وذلك لاعتقاد المسيحيين بأن المسيح كان معلّمًا، وكان يدعو أتباعه دومًا لنشر تعاليمه بين الناس.

ومن أهم الوسائل التعليمية لنشر المسيحية في إفريقيا:

إنشاء المدارس التابعة للإرساليات التبشيرية، وإنشاء فروع للجامعات الأجنبية، وتقديم المنح الدراسية، وتنظيم المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية، وتعديل المناهج الدراسية في المدارس الحكومية، وطباعة الكتب والمجلات الدورية وتوزيعها.

بالنسبة للمدارس التابعة للإرساليات التبشيرية: فقد توسّع المنصِّرون في إنشائها في معظم أرجاء القارة الإفريقية، من أجل خدمة الأهداف التنصيرية، ففي كينيا على سبيل المثال توجد المئات من المدارس التابعة للإرساليات والمنظمات التنصيرية، مثل «جماعة الكرسي الرسولي»، و «منظمة البابا يوحنا بولس»، والشيء نفسه يوجد في غينيا كوناكري؛ حيث تعمل المنظمات التنصيرية، وبخاصة البروتستانتية، وأهمها: «التحالف المسيحي المبشّر»، و«جمعية الكتاب المقدّس الدولي»، و«منظمة فرويتيرز»، و«الكنيسة الإصلاحية الأمريكية»، و«جمعية رسالات المحبة»[٣].

وتعد مدارس التلقين هي القاعدة التي يعتمد عليها نظام الإرساليات التعليمي؛ حيث يتم تلقين مبادئ النصرانية عن طريق السؤال والجواب، ومن ثَم فهي أشبه بالخلاوي في

---

(١) د. أيمن شبانة . مدرس العلوم السياسية. معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

(٢) وهنا يقول المبشّر ماكدونالد: «ليس هناك وسيلة للتأثير على المواطنين أفضل من جمع أبنائهم في حجرات الدراسة؛ لأن الناس بطبيعتها تحب التعلّم وتكره الأميّة».

(٣) لمزيد من التفصيلات حول نشاط هذه المنظمات في إفريقيا انظر: موقع المسلم: التنصير في غرب إفريقيا.. العمل بعيدًا عن ضجيج الإعلام، ١٤٢٠/٨/٧هـ.

http://almoslim.net/node/115477

بلاد الإســـلام، ويُطلق على هذا النوع من المدارس أسماء مختلفة على حسب الظروف التي تعمل فيها الإرســـالية، ففي بعض المناطق تُسمّى بمدارس القرى، وفي مناطق إفريقيا تُعرف بمدارس الأحراش، مثلما هو الحال في منطقة القبائل في الجزائر.

وعادة ما يتم إنشاء هذه المدارس على جميع المستويات التعليمية، بدءًا من دور الحضانة إلى مرحلة التعليم الثانوي. ومن ثَم يتم الاســـتعانة بمدرســـين مسيحيين في هذه المدارس، فإن تعذّر ذلك يتم انتقاء مدرسين مسلمين، يتّسمون بضعف العقيدة ونقص الكفاية العلمية.

وفي هذا الإطار يؤكد الشيخ عبد العزيز سيد عثمان الأمين العام لمجلس العلماء في جزر القمر وجود أكثر من ١٠٠ مؤسســـة تعليمية تنصيريـــة، تبدأ من مراحل رياض الأطفال حتى المرحلة الثانوية، وتقدّم خدمات مجانية ومنحًا دراســـية للعديد من الطلاب، وذلك بشـــرط التعاطي الإيجابي مع فكرها الفرانكفوني والتنصيري.

وبالنسبة للمناهج الدراسية التي تركز فيها تلك المدارس: فإنها بدأت بالتركيز في التعليم الديني فحســـب، من خلال تعليم التـــوراة والإنجيل، قبل أن يتم التوسّـــع في تدريس المواد الأخـــرى كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية والتطبيقية، مع التركيز في دراســـة التاريخ الأوروبي والحضارة الغربية، والموســـيقى، والمذاهب العلمانية مثل الرأسمالية والاشتراكية، وغيرها.

في دول شـــمال إفريقيا عادة ما يتم تدريس موضوعات مثل الحضارة الرومانية، والثورة الفرنسية، والثورة البلشـــفية، كما يتم إبراز أدوار شخصيات غربية، مثل نابليون، وبسمارك، ولينين، وســـتالين، وذلك على حساب موضوعات مثل الثورة العربية، والكفاح ضد الاستعمار، وكذا على حساب قادة المسلمين، مثل موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وغيرهما.

وفـــي إطار هذه المدارس؛ يولي المنصّرون تركيزًا كبيرًا في تعليم النســـاء، خصوصًا من أبناء الأســـر العريقة؛ نظرًا لدور المرأة في التربية، وتنشئة الأطفال، حيث توسّع المنصّرون في إنشـــاء مدارس البنات في مصر والسودان وغيرهما من الدول الإفريقية، مع العمل على إنشـــاء دور لإيواء الطالبات المغتربات من أجل انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التنصير مباشرة.

كمـــا تخصّصت بعض المنظمـــات في تنصير الأطفال، ومن أهمها: «منظمة أوكســـفام»، و«كاراتياس»، والتي أنشـــأت مكاتب في معظم المدن الأوغندية التي تُعد معاقل للمســـلمين

هناك، ومنها توينا وامبالي وانكانكافورت وبورتل وسوروبي[١].

أمـا فروع الجامعات الأجنبية التي يتم إنشـاؤها في الدول الإفريقية، فهي تسـتهدف طلاب التعليم الجامعي، ولاسيما منتسبو العائلات العريقة، وتأتي خطورة هذه الوسيلة من أن الجامعات الأجنبية تعمل بلا متابعة من السـلطات الوطنية، بل تشـرف عليها سفارات الـدول التي تتبعها تلك الجامعات، أو المؤسسـات المانحة الغربية، كما أنها تقوم بتدريس مناهج غربية، بما يُسـهم في تشـكيل هويات الطلاب وعقولهم، وخلق حالة من الاغتراب بينهم وبين مجتمعاتهم، بالرغم من أن غالبيتهم يشكّلون فيما بعد القيادات والنخب الحاكمة في بلادهم.

وفيما يتعلق بالبعثات والمنح الدراسـية؛ فقد اقتضت الرغبة في مواكبة السير الحضاري وجود مجموعات من الشباب المسلمين في أوروبا والولايات المتحدة لتلقّي التعليم والخبرات المختلفة، لكن هذه البعثات تحولّت إلى وسيلة من أخطر وسائل تنصير أبناء المسلمين؛ حيث افتتح المنصّرون أقسامًا للدراسات الإسـلامية والعربية في الجامعات الأوروبية والأمريكية وغيرها، وقد تولّى التدريس فيها المستشرقون والمنصّرون الحاقدون على الإسلام، وأخذوا علـى عاتقهم تغيير فكر هؤلاء الشـباب وعقيدتهم، وكذا تغيير أنماط سـلوكهم الاجتماعي ولغاتهم وملابسـهم، وتزويجهم من مسـيحيات، بحيث يعودون إلى بلدانهم محمّلين بالأفكار المسـمومة والشبهات عن الإسلام، والتنكر لمصادر الثقافة الإسلامية، والولاء للغرب تفكيرًا وثقافةً.

وتتعرض هذه الفئة من الطلاب إلى حملات قوية من المنصّرين عن طريق مكاتب الطلبة الأجانب في الجامعات، وبرامج الزيارات التي يقوم بها الطلاب للعائلات الغربية، والأنشـطة الاجتماعية المختلفة، من حفلات ودعوات إلى الكنيسـة، أو ما يلحق بالكنيسـة من ملاعب ومسارح، بالإضافة إلى تقديم المساعدات المادية والعينية للطلاب.

وهناك وسيلة أخرى لجأ إليها المنصّرون، وهي «التعليم بالمراسلة»؛ حيث تقوم المؤسسات التنصيرية بإرسـال المواد الدراسية، من كتب ونشرات وأشـرطة وأناجيل، مكتوبة باللغات الإفريقية المختلفة، مثل الهوسـا والسواحيلي والأمهرية واللينجالا وغيرها، مع توزيعها على المسـتهدفين مجانًا، وتتبع خطورة هذه الوسيلة من أنها سهلة التداول ومتاحة لأغلب الناس،

---

(١) انظر: موقع المسلم: التنصير في غرب إفريقيا.. العمل بعيدًا عن ضجيج الإعلام، مرجع سبق ذكره.

كما أنها تغري الطلاب بالإقبال عليها من أجل الحصول على الدرجات العلمية[١].

وعـــادة ما يلجأ المنصِّرون أيضًا إلى تنظيم الندوات وعقد ورش عمل، لمناقشـــة قضايا علميـــة وتعليمية في الظاهر، وخدمة الأغراض التنصيرية في الحقيقة، كما يتم تنظيم برامج التدريب المهني والتأهيل النفسي، وكذا استهداف النساء والأطفال؛ من خلال تنظيم زيارات منزلية لهم، تتم في فترات غياب ربّ الأســـرة؛ بدعوى المســـاهمة في محو الأمية والتوعية الاجتماعية، وعادة ما تكون هذه الزيارات مصحوبة بالهدايا والاحتياجات الأساسية من غذاء وملبس وغيرها، خصوصًا في فترات الجفاف، وأيضًا مع بدء العام الدراســـي والاحتياج إلى المال لســـداد الرسوم الدراسية، ومن خلال ذلك يتم نشـــر الفكر التنصيري بين المسلمين، مثلما يحدث حاليًا في تشـــاد؛ حيث يتم إغراق المدن التشادية بالأناجيل، وتوصيلها بالبريد لكل المنازل، وتنظيم حفلات لتوزيع الدعم المالي على المواطنين.

وقد بدأ هذا التوجه في التبلور بشكل واضح منذ عام ١٩٦٧م، عندما تم تطوير المشروع الـــذي عُرف آنذاك باســـم «محو الأمية من أجل التنصير»، والـــذي يتولّى إعداد برامج محو الأمية عبر العالم، بمختلف اللغات الممكنة، ومنها اللغات الإفريقية المحلية[٢].

وبالنسبة للكتب والمجلات الدورية؛ فعادة ما تخصّص لها أموال طائلة من أجل ترجمتها، وطباعتها، وتزويدها بالصور والخرائط، والأشكال والجداول الجذابة، وذلك من أجل توزيعها في المناطق التي تعمل بها البعثات التنصيرية، وكذا الوصول إلى الشـــرائح التي لم تلتحق بالإرســـاليات التبشـــيرية، وإحداث أكبر قدر من التأثير في أبناء المجتمعات المستهدفة، ففي تشـــاد تختص «منظمة كوريـــد الهولندية» بطباعة الإنجيـــل وتوزيعه في أرجاء البلاد كافة، وفي سيراليون يتم إصدار مجلتين لخدمة الأغراض التنصيرية، هما «اليقظة»، و«برج المراقبة»[٣].

كما يســـعى المنصِّرون بدأب إلى التأثير في المدارس الحكومية في الدول الإفريقية، من خلال التدخل في المناهج الدراسية، وإعادة صياغتها بدعوى إصلاح التعليم ومواكبة التطور،

---

(١) حظيت هذه الوسيلة باهتمام كبير من جانب مؤتمر كلورادو التنصيري؛ حيث ورد فيه بحث بعنوان «دورات المراسلة الإنجيلية»، يذكر فيه أسماء الدورات التي يتم عقدها في الدول الإسلامية والإفريقية، وسبل إقناع المســـتهدفين بالإقدام عليها. ومن ذلك تغيير مواضيع الدورات من المستوى اللاهوتي إلى المستويات التي يعالج مشكلات وآلام المستهدفين، وأهمها موضوعات حقوق المرأة، والتنمية، وغيرها.

(٢) صهيب جاسم: محو الأمية من أجل التنصير، موقع إسلام أون لاين. ٢٠٠١/٥/٨م.

(٣) أحمد حســـين الشيمي: مسلمو ســـيراليون بين مطرقة التنصير وســـندان الظروف الاقتصادية الطاحنة. ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨م.

ومـــن ذلك جعل مادة التربية الإســـلامية من المواد الثانوية التـــي لا تؤثر في نجاح الطالب، ودرجاتها لا تُضـــاف إلى المجموع العام، واعتبار اللغة الإنجليزية والفرنســـية لغة التدريس لسائر المواد من الابتدائي إلى الجامعة، والتركيز في إحياء النزعات القومية لتمزيق الوحدة الإسلامية. وتشويه الإسلام والتاريخ الإسلامي، وإفساد العلاقات العربية الإفريقية[1]، وإدراج تاريخ الغرب النصراني ضمن المناهج الدراســـية، ووضع النظريات الزائفة والمناقضة للدين في العلوم الطبيعية والنفســـية، وكذا الاجتماعية والاقتصادية، ومن ذلك التركيز في نظريات داروينـــن وفرويد، وإميل دوركايم في الأحياء، وعلم النفس وعلم الاجتماع، وكذا الادعاء بوجود تناقض بين الدين والعلم، وأن التمسك بالدين يُعَدّ نوعًا من الرجعية، وذلك لأجل فرض حالة من الشعور بالدونية، ومن ثَم الانهزام النفسي، على المجتمعات الإسلامية.

(١) ومن ذلك: الادّعاء بأن الإســـلام قد انتشر بحدّ السيف، وأنه أباح تجارة الرقيق، وأنه امتهن الكرامة الإنسانية للأفارقة!

المبحث الثاني

التنصير من خلال الخدمات الصحية

تبلورت أهمية الخدمات الصحية كوسيلة للتنصير منذ نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، عندما تكوّنت الجمعيات الطبية في أوروبا وأمريكا، والتي جعلت من الطب مشروعًا تنصيريًا، من خلال التخصّص في تأهيل الأطباء والممرضين للعمل في مراكز التنصير.

وتُعَدّ الخدمات الصحية في العمل التنصيري أكثر شمولاً من الوسائل الأخرى وأبلغ أثرًا؛ لأنها توجّه للصغار والكبار من المواطنين على السواء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وقعها على النفوس أكثر تأثيرًا؛ لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم وتخفيف آلامهم[1].

في هذا الإطار؛ يلجأ المنصّرون إلى استغلال الخدمات الطبية في خدمة أهدافهم التنصيرية في القارة الإفريقية، وذلك من خلال إيفاد البعثات والقوافل الطبية إلى تلك الدول، وإنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة، ودور رعاية المسنين والأيتام.. إلخ؛ حيث يستغل المنصّرون تردي الخدمات الصحية في الدول الإفريقية في اختراق المجتمعات الإفريقية، خصوصًا في الدول المنكوبة بالصراعات والحروب الأهلية، مثل الصومال ورواندا، والسودان وليبيريا، وسيراليون وساحل العاج.. إلخ.

وقد بدأ استخدام هذا الأسلوب في كينيا منذ العام ١٩٠٨م، واستمر حتى بلغت نسبة الخدمات الصحية التي تقدّمها الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية في كينيا في العام ١٩٩٠م أكثر من ٢٥٪ من مجموع الخدمات الصحية القومية، وذلك من خلال المراكز الصحية، والمستوصفات، والمعاهد الصحية المعنية بتخريج أطقم التمريض، ومراكز رعاية الطفولة والأمومة، وغيرها من المراكز الطبية المنتشرة في أرجاء الدولة كافة، بما في ذلك مناطق الأحراش، بل إن هذه المراكز تحظى بدعم الهيئات الدولية المختلفة.

وتشير التقارير إلى ارتفاع مستوى الخدمات الطبية في تلك المراكز التنصيرية، وأنها تقدم خدماتها بأسعار رمزية أو بالمجان، وأن القائمين عليها يساومون المسلمين على عقيدتهم مقابل الاستفادة من تلك الخدمات، مما يدفع المسلمين مضطرين إلى التنصّر، أو مهادنة المنصّرين وإظهار الميل تجاههم على الأقل. أو الوقوع في براثن المرض نتيجة للتمسك بدينهم.

---

(١) وعن هذا يقول أحد المنصّرين: «حيث تجد بشرًا تجد آلامًا، وحيث تجد آلامًا تكون الحاجة إلى طبيب، وحيث تكون الحاجة إلى طبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير».

وفي الصومال: استغلت بعض المنظمات الإنسانية الأجنبية تردي الحالة الصحية في البلاد في إنشاء مراكز صحية لتقديم الخدمات الصحية، ونشر الفكر التنصيري في البلاد، وفرض الثقافة الغربية على مسلمي الصومال، وتدمير القيم الاجتماعية للسكان، وذلك باحتساء الخمور، وممارسة الجنس خارج نطاق الزواج، والاحتفال بالأعياد الوطنية الأجنبية والمناسبات الدينية والاجتماعية الغربية، مثل أعياد الميلاد وعيد الحب، وجعل يومي السبت والأحد هما الأجازة الأسبوعية لتلك المنظمات، خلافًا لما هو معمول به في الصومال، ومحاولة إنشاء منظمات نسائية وشبابية ذات قيم مغايرة للقيم الإسلامية[1].

وفي سيراليون، حيث يمثّل المسلمون ٧٠٪ من السكان، استغل المنصّرون تردي الأوضاع الاقتصادية خلال الحرب الأهلية وعقبها (١٩٩٢م - ٢٠٠٢م)، وما ارتبط بها من تفشّي البطالة والفقر والمرض، في افتتاح العديد من المراكز الطبية في العاصمة وفي غيرها من الأقاليم، من أجل تقديم الخدمات الصحية في الظاهر، ونشر النصرانية في الخفاء[2].

ومن أهم المنظمات التي تنشئ وتدعم هذه المراكز الطبية منظمات «الميتوديست» التي تتركز في الإقليم الجنوبي الشرقي لسيراليون، وتقدّم خدماتها في مجالات الإعاقة والطب البديل والرمد، فضلاً عن «منظمة شهود يهوه»، التي تستطيع عبر إمكانياتها المالية الكبيرة الوصول إلى المناطق النائية التي لا يستطيع نظراؤها الوصول إليها، وتطول القائمة لتضم منظمات «كاراتياس»، و«الأخوة الكومبنيون»، و«العمل من أجل المسيح»، و«الكنيسة المعمدانية الأمريكية»، و«منظمة العمل من أجل تنميه النيجر».

ومما يدعو للأسف أن المنصّرين لا يكتفون باستغلال الخدمات الصحية في تنصير مسلمي القارة الإفريقية فحسب، وإنما يسعون من خلال المنشآت الطبية التي يقيمونها إلى إجراء التجارب حول مدى صلاحية الأدوية التي ترفض هيئات الأغذية والأدوية إجراءها في الدول الغربية قبل أن تثبت فعاليتها، فيؤتى بها إلى البلدان الإفريقية التي تتركز فيها

---

(١) ولعل ذلك هو ما دفع حركة الشباب المجاهدين في الصومال إلى مواجهة تلك المنظمات، ومطالبتها بالتوقف عن أنشطتها الهدّامة. وضرورة تسريح موظفيها من النساء. وتعويضهن بموظفيهم من الرجال، وقد دفع ذلك أغلب المنظمات إلى اتخاذ القرار السهل، بالخروج من الصومال، تاركة الشعب غارقًا في كارثة إنسانية شديدة التعقد.

(٢) وفق تقارير الأمم المتحدة: تعد سيراليون واحدة من أربع دول على مستوى العالم تشتد فيها نسبة الفقر: حيث يبلغ متوسط العمر فيها أربعين سنة فقط، ويموت فيها ثلاثة من كلّ خمسة أطفال قبل أن يبلغوا الخامسة من عمرهم بسبب تردي الخدمات الصحية، انظر: أحمد حسين الشيمي: مسلمو سيراليون بين مطرقة التنصير وسندان الظروف الاقتصادية الطاحنة، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨م.

المستشفيات والمستوصفات والمختبرات التنصيرية، فتجرَى فيها التجارب على البشر، ثم تُكتب التقارير عنها إلى هيئات الأغذية والأدوية الغربية لإقرار استخدامها. ومن ذلك ضلوع بعض المنظمات الفرنسية في تجربة العقاقير، وألبان الأطفال، والوجبات الغذائية الجديدة على سكان النيجر.

فضلاً عن ذلك: يعمل المنصِّرون بالتعاون مع الهيئات الصحية الغربية على تشجيع القوانين التي تحدّد النسل في الدول الإسلامية، ومنها الدول الإفريقية، ففي الجزائر طالَب بعض من شاركوا في المؤتمر الذي نظّمته «الجمعية الجزائرية للتنظيم العائلي» في ٢٠٠٥/٥/١١م بوضع نصوص تشريعية تبيح الإجهاض بالجزائر.

وفي أوغندا دفعت المنظمات التنصيرية البرلمان إلى إقرار حزمة من التعديلات على قانون الأحوال الشخصية، بما يتناسب ومقررات مؤتمرات الأمم المتحدة للسكان المشبوهة «السيداو»، بيد أن المسلمين انتفضوا ضد هذه التعديلات، مما أجبر الرئيس الأوغندي موسيفني إلى استثناء المسلمين من تطبيق هذا القانون، واستمرار تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية عليهم[1].

(١) انظر: موقع المسلم، التنصير في غرب إفريقيا.. العمل بعيدًا عن ضجيج الإعلام، مرجع سبق ذكره.

المبحث الثالث

الإعلام في خدمة التنصير[١]

يُعدُّ الإعلام بنوعيه المقروء والسَّمعي -البصريِّ العمودَ الفقريَّ لمشروع التَّنصير بإفريقيا، وقد بدأ ذلك منذ فجر الحركة التَّنصيريَّة، وكانت الصُّحف والإذاعات المسيحيَّة من أوائل المواد الإعلاميّة في المجتمع الإفريقيِّ.

وقد توسَّع هذا النَّشاط بتطوُّر وسائل الاتِّصال، وظهور كنائس عملاقة (megachurches) بآلاف الأعضاء والأتباع المسجلين المانحين، ومئات الفروع، والمدارس والشَّركات.. فهذه الكنائس ذات حضورٍ مكثَّف في الإعلام المحليِّ من إذاعة وتلفزيون، وأشرطة، وأندية ترفيهيَّة، ودور للإنتاج الموسيقى، وصحف مطبوعة، ولافتات عملاقة في كلِّ شارع، وصور لزعمائها على القمصان، والقبَّعات، والحقائب، وعلى السَّيارات، وتوظيف مكثَّف للهواتف الثابتة والمحمولة، والمواد السمعيَّة البصريَّة، وإنتاج أفلام، وحضور بارز في المواقع الاجتماعيَّة المفترضة مثل فيس بوك، وتوتير، وغيرهما[٢]...

كما تسعى تلك الكنائس في تكوين نوعيَّة مؤثِّرة من الشَّباب «الغُزاة» لجميع شرائح المجتمع بالدَّعوة من بابٍ لباب، ومن شارعٍ لشارعٍ، وفي المصانع، والحافلات، وفي الحدائق العامَّة، والأسواق الشَّعبيَّة. ويُعرف أولئك محليًا باسم (alikiki) في ملاوي، و(Guérilla for Christ) في كينيا، و(Bible Carriers) في نيجيريا وغانا وغيرهما من الدُّول النَّاطقة بالإنجليزيَّة.[٣]

وفيما يأتي وقوف عند بعض الأنشطة التَّنصيريَّة في مجال الإعلام المقروء والسَّمعي-البصري، أو الإعلام المتعدِّد الوسائط.

أولًا: الإعلام المقروء:

يشمل الإعلام المقروء الصَّحف اليوميَّة، والمجلات، والكتب الدِّينيَّة، واللَّاصقات على جدران المنازل وحيطان المدارس خاصَّة.

---

(١) د. آدم بمبا ، أكاديمي من ساحل العاج.

(2) Castor M. Goliama. (2010)، Where Are You Africa? Church and Society in the Mobile phone Age، African Books Collective، 6.

(3) Ogbu U. Kalu، The Big Man ofthe Big God: Popoular Culture، Media، and The Marketability of Religion، New Theology Review، May 2007.

أ- كُتب وصحف ومجلات ومطبوعات:

نشط المسيحيُّون في تأليف الكتب الدِّينيَّة ذات الطَّابع المحليّ، وتوجد في كلِّ بلدٍ إفريقيٍّ مكتباتٌ مخصَّصة لبيع الكتب المسيحيَّة ومكتباتٌ عامَّة ملحقة عادة بالكنائس، وتعدُّ معظم تلك المكتبات من أجود المكتبات المحليَّة، وذلك في ظلِّ الإهمال الرَّسميِّ بالثَّقافة والتَّعليم (مكتبة CLC في أبيدجان، وLibrairieClaireafrique في دكار مثلاً. وفي حال الكنائس الحديثة، فإنَّ تأليف الكتب يعدُّ وسيلةً ضروريَّة للتَّرويج للزُّعماء ولكنائسهم، سواء أكان هو مؤلِّفها أم أُلِّفت من لدن كاتب مأجور، ويدرُّ نشر الكتب والصُّحف والمجلات واللَّافتات مصادر مالية معتبرة لكثيرٍ من الكنائس.(١)

كما أنَّ عددًا من المجلات العلميَّة والأكاديميَّة المتخصِّصة بالقارة هي منشورات مسيحيَّة، من ذلك: مجلة (Journal of Religion in Africa) أنشئت عام (١٩٦٧م)، وتنشرها (Brill) بليدنْ، ومجلة (Journal of ReligiousHistory)، ومجلة (Journal of Theology for Southern Africa)، وينشرها مجلس كنائس جنوب إفريقيا.

ب - الإعلانات:

تكثِّف الكنائس الإفريقيَّة أنشطتها التَّنصيريَّة في مجال الإعلانات بجميع أشكالها المرئيَّة والمسموعة، وتقوم المنافسة بين الكنائس أو بين زعمائها في تأجيج أُوار هذه المعركة الإعلانيَّة، وكما يقول الباحث أوكاهْ (Ukah)، فإن الكنائس: «تستخدم الإعلانات لتشكيل تصوُّرات الأفراد، والتَّأثير عليهم عبر المنتجين الدِّينيين، ولكسر المقاومة الاجتماعيَّة ضدَّ التقبُّل الدِّيني، وفوق ذلك، لإحداث الحاجات والرَّغبة، والتَّهديد الرُّوحي».(٢)

ولا يخلو شارعٌ من الشَّوارع أو الميادين العامَّة في المدن الإفريقيَّة من اللَّوحات الإعلانيَّة العملاقة الحاملة لصور زعماء الكنائس مع رسائل تنصيريَّة هادفة، وقد ذهب الباحث كالو إلى بيان التَّأثير النَّفسي لصور أولئك الزُّعماء على المجتمع بما يُستعرض في خلفيَّات تلك الصُّور من ثراء فاحش من سيارات فارهة، ومنازل غالية، وأطلق الباحث على هذا النَّمط من رجال الدِّين لقب «الرِّجال الأكابر للإله الأكبر» (The Big Men of the Big God).(٣)

ومن ناحية أخلاقيَّة فقد وُجد أنَّ أولئك يظهرون على اللَّافتات الإعلاميَّة مع قريناتهم

---

(1) Ibid، 23

(2) Ukah، Asonzeh F-K. Advertising God: Nigeria Christian Video-films and the Power of Consumer Culture، Journal of religion in Africa، 33 (2)، 18.

(3) Ogbu U. Kalu. The Big Man، Op. Cit. 22.

بصورةٍ مخلّة بالآداب والعُرف الاجتماعي، مثل اللّباس المتبرّج، والتّقبيل.[١]

ثانيا: الإعلام السّمعي البصري:

أ- إذاعة وتلفزيون:

للمواد السّمعيّة رواجٌ كبيرٌ في المجتمع الإفريقي، بل لا تزال هي تتصدّر قمّة الوسائل الاتّصاليّة بالقارة، وقد تضافرت عوامل عدّة في العقود الماضية أدّت إلى توسيع نطاق توظيف المواد السّمعيّة في المشروع التّنصيريّ، أهمُّها: تحرير الإعلام الذي أدّى إلى «غارة إعلاميّة» على إفريقيا. أطلق عليها بعض المتفائلين (The Second Liberation) أي: التّحرير الثاني بعد «التّحرر» من الاستعمار: حيث زالت سيطرة الدّولة والحكومات على الإعلام، وانفتحت إفريقيا على مصراعيها للإعلام الخارجيّ.

ففي غرب إفريقيا مثلاً، قفز عدد الإذاعات من (٤٠) عام (١٩٩٣م) إلى (٤٢٦) إذاعةً عام (٢٠٠١م)، وفي مالي الآن، أكثر من مائة محطّة إذاعيّة، وأكثر من مائتَي إذاعة بالنّيجر، وفي ساحل العاج أكثر من ١٢٠ إذاعة، تأتي إذاعة (Radio Nationale Catholique) المسيحيّة في قمّتها. وفي مقارنةٍ مؤلمةٍ، وُجد أنّ عدد أبراج المحطات الإذاعيّة في المدن الإفريقيّة يفوق بكثير عدد خزانات المياه النّقيّة.[٢]

أمّا حظُّ الكنائس المسيحيّة في البثّ الإذاعيّ بإفريقيا فهو كبير، وقد كانت الإذاعة المسيحيّة (ELWWA) في ليبيريا منذ عام (١٩٥٤م)، من أوائل الإذاعات في عموم إفريقيا جنوب الصّحراء.[٣]

ومن أكبر الإذاعات: إذاعة (Voice of the Gospel)، بأديس أبابا، وتُبثُّ في عموم القارّة بلغاتٍ مختلفة. هذا بالإضافة إلى محطّات إذاعيّة مخصّصة للمناطق الإسلاميّة ببلاد غرب إفريقيا، مثل الشّبكة الإذاعيّة التي أسّستها (HCJB Global) وهي بإدارة قسٍّ يرمز إليه بـ(Pastor)، وفي سيرته الذّاتية أنّه من أبَوَين مسلمَين، وأنّه درس في المدارس الإسلاميّة وتعمّق في الدّراسات الإسلاميّة العالية، ثم تنصّر.[٤]

وفي حقبة الثّمانينيّات من القرن الماضي، تحوّل التّكثيف التّنصيري إلى التلفزيون، وعُرف ذلك بالتّبشير التّلفزيوني (televangelism)، وهو امتدادٌ لهذا النّشاط بأمريكا. وقد

(1) Achoeah، J. E. (2013)، A "Pragmasocioreligious" Investigation of New Practices in Nigerian Churches: A Case Study of Selected Churches in Nigeria، EuropeanJournal of Arts and Humanities، 1(1)، 48-68.

(٢) Ogbu، Kalu. (2008)، Pentecostalism: An Introduction، Oxford UniversityPress، 120-121.

(٣) اختصار لقولهم (Eternal Love Will Win Africa) أي: سيكسب الحب الأبدي إفريقيا.

(4)http://hcjb.org، accessed on: 12/11/2013.

امتدَّ استحواذ الكنائس على التلفزيون بإفريقيا إلى المحطَّات الحكوميَّة؛ حيث يظهر فيها طغيانٌ واضحٌ للبرامج المسيحيَّة، ففي ساحل العاج مثلاً، تكاد جميع برامج يوم الأحد في بثِّ القداس لمختلف الكنائس. بينما تخصَّصُ ساعةٌ واحدة فحسب في ساعةٍ متأخِّرة ليلة الجمعة للمسلمين. وتلك حالةٌ مطَّردةٌ في معظم البلاد الإفريقيَّة التي تنصُّ دساتيرها أنَّها لا دينيَّة (Laique).

أمَّا عن تأثير مضمون التلفزيون على المتلقِّين، فقد أوضحه الباحث بقوله: «إنَّ تأثير التلفزيون يبرز بجلاء في الطُّقوس التلفزيونيَّة؛ حيث نرى كثيرًا من المتحمِّسين المشاهدين يمدُّون أيديهم نحو الجهاز، أو يضعون أيديهم عليها؛ معتقدين امتداد البركة أو الشِّفاء إليهم (..) لا يمكن تجاهُل (هذا التَّأثير): لوجود مخاطر مترصِّدة في العلاقة بين الإنجيل والثَّقافة الشَّعبيَّة، وبين التَّبشير التلفزيوني».

ب- الإنتاج السينمائي:

يحتلُّ الإنتاج السِّينمائي موقعًا استراتيجيًا في المشروع التَّنصيريّ بإفريقيا، وهو موقعٌ غدا أكثر رسوخًا بعد انتشار الإنترنت والقنوات الفضائيَّة. وقد بدأ هذا المشروع منذ الخمسينيَّات فترة استقلال الدُّول الإفريقيَّة الحديثة، وتميَّزت الأفلام في تلك الحقبة ببروز الهدف التَّنصيريّ فيها، والهجوم الصَّارخ على الإسلام وعلى التَّقاليد الإفريقيَّة بوصف الإسلام والمعتقدات الإفريقيَّة -في زعمهم- معاديةً للمدنيَّة والتَّقدُّم. ويُعرف هذا النَّمط من الأفلام بـ(hallellujah films) وهي ذات انتشار واسع في معظم بلاد إفريقيا. وتعالج موضوعات: الفساد الإداريّ والسِّياسيّ، والظُّلم والسِّحر والمشكلات الاجتماعيَّة مع تتويج ذلك بالدَّعوة إلى المسيحيَّة بوصفها حلاً لجميع تلك الآفات..

يؤكِّد الباحث غولياما هذه الحقيقة في الوقت الرَّاهن بقوله: «يبدو جليًا أنَّ هذه الأفلام أُنتجتْ لهدفٍ تنصيريٍّ واضح. إنَّها تهدف لبثّ الرِّسالة المسيحيَّة، وبيان استعلاء القوَّة الإلهيَّة على قوى الشَّر، لكنَّنا نلاحظ أنَّها تهدف إلى رسم استعلاء الكنائس المستحدَثة على الكنائس المسيحيَّة الأخرى، خاصَّة الكنائس التَّقليديَّة».[1]

وقد ذكر الباحث ميتشيل امتعاض مجموعةٍ من الباحثين والمفكِّرين الأفارقة تحامُلَ هذه الأفلام على الثَّقافة الإفريقيَّة لحساب المسيحيَّة، ومطالبتهم إيَّاها أن تكون أكثرَ أصالةً بإيجاد التَّفاعُل بين المسيحيَّة والثَّقافة الإفريقيَّة لا التَّنافر.[2]

(1)Castor M. Goliama. Where Are You Africa? 19.

(2)Mitchell، (2009)، 155، in: Castor M. Goliama، Where Are You Africa? 20.

ولا تزال هذه السِّياسة سارية حتى الآن في الأفلام الحديثة. وتنفق الكنائس أموالاً طائلة في هذا المجال. وتملك بعض تلك الكنائس مؤسَّسات للإنتاج الفني بنيجيريا وغانا أو غيرهما.(١)

وفي السِّياق النِّيجيري والغانيِّ اللَّتين تتصدَّران الإنتاج السِّينمائي بإفريقيا، أكَّد الباحث مِيزّز أن الإنتاج السينمائي جزء أساسٌ في التَّبشير بغرب إفريقيا خاصَّة في المدن. وهذا أيضًا مؤكَّد عند الباحث أوكاه؛ إذ صرَّح بأنَّ «الفيديو قد غدا أفضل قنوات الاتِّصال لبثّ الحقائق الدِّينيَّة، والأمل والأفكار والتَّرويج في المجتمع النيجيري».(٢)

وبمثل ذلك صرَّح الباحث ألكسي تيوساب، وأنَّ الكنائس هي التي تموِّل معظم المنتجات السِّينمائيَّة.(٣) فلا خلاف بين الباحثين في الاستحواذ المسيحيِّ في هذا المجال.

بهذا الصَّدد، فإنَّ نوليوود (Nollywood)، النُّسخة النِّيجيريَّة لهوليوود، تمثِّل قمَّة الشَّركات السينمائيَّة التي امتدَّت إليها أذرُع الأخطبوط التَّنصيري، وأفلام نوليوود في قول الباحث غولياما، هي الأكثر انتشارًا ومشاهدةً في إفريقيا في الوقت الرَّاهن.(٤)

أمَّا في الجزء الفرنكفونيِّ من إفريقيا الغربيَّة فإنَّ ساحل العاج تتصدَّر قمَّة الإنتاج السِّينمائي والتِّلفزيوني.(٥)

وتظهر الوجهة التَّنصيريَّة في أفلام نوليوود في الأفلام التي تتَّخذ المسيحيَّة موضوعًا محوريًا لها، وترسم أبطالها من المتمسِّكين بتعاليم المسيحيَّة، ويكثر الاقتباس فيها من النُّصوص الإنجيليَّة، وتنتهي بعض الأفلام بعبارات مثل: (Thank You، Jesus! This film is dedicated to God Almighty، Praise the Lord!)، «شكرًا يا يسوع، هذا الفيلم مهدًى للرَّب المجيد، مجِّد الرَّب! تمجَّد الرَّب!».(٦) وتلك الحالُ في الأفلام المنتجة بساحل العاج، وبها أنتجت عدَّة أفلام مسيحيَّة صِرفة من قِبَل شركة (American Baptist Media Center).(٧)

---

(1) Obgu، Kalu. Afrien Pentecostalism، 119.

(2) Ukah، Asonzeh F-K. Advertising God: Nigeria Christian Video-films and the Power of Consumer Culture، Journal of religion in Africa، 33 (2)، 203-231.

(3) Lindiwe، Dovey (2010)، African Film and Video: Pleasure، Politics، Performance، Journal of African Cultural Studies، 22:1، 1-6.

(4) Castor M. Goliama. Op. Cit. 20.

(5) Johannes، Merz. Translation and the Visual Predicament of the "Jesus" film in West Africa، Missiology: An International review، Vol. xxxviii، No. 2، April 2010. 114.

(6) Brigit، Meyer. "Praise the Lord" Popular Cinema and Pentecostalite style in Ghana's New Public Sphere، America Ethnologist، Vol.31، No.1، Feb. 2004. 103.

(٧) منها: Le Combat 1985، La Solution

هذا، وإنَّ انتشار الأقراص المضغوطة (CD، DVD)، ورخص أسعارها وسهولة استنساخها، وغيـــاب الالتزام بالقوانين التي تحظـــر إعادة طبع المواد الإلكترونيَّـــة أو غيرها.. كلُّ ذلك يساعد في انتشار هذه الأفلام، فهي تُباع بأرخص الأسعار على أرصفة الطُّرق، وعلى مداخل الكنائس، وفي محلات توزيع الفيديو. ويقوم بعض الأفراد أو المجموعات بالتَّبرُّع باستنساخها وتوزيعهـــا مجَّانًا مع كُتيِّبات تنصيريَّة، وتوزَّع عادةً على أصحاب حافلات النَّقل الجماعيِّ بين المدن من أجل بثِّها خلال الرِّحلات التي تستغرق ساعات.

ج- قنوات فضائية:

للقنوات الفضائيَّة المســـيحيَّة حضورٌ ملموس في إفريقيا، وهي أكثر انتشارًا من القنوات التِّلفزيونيَّة العادية التي لا تغطِّي معظم المســـاحات الوطنيَّـــة؛ لذلك فإنَّ القنوات الفضائيَّة كانت نُقلةً نوعيَّة في البثِّ، حيث نجد قرًى كثيرةً لم تعرف الصُّورة التَّقليديَّة للبثِّ التِّلفزيونيِّ، ولكنَّها تستقبل العشرات من القنوات الفضائيَّة. هذا، ومن أكبر القنوات الفضائيَّة المسيحيَّة: قناة (Citizen TV) بكينيا، و(Voice of God، VOG) في نيجيريا، و(TV Africa Cable Gold، Metro TV) بغانا، و(RTDS) توغو، و(ZimTV) بزيمبابوي.

وتتصـــدَّر جمهوريَّة إفريقيا الجنوبيَّة الدُّول الإفريقيَّة فـــي هذا المجال؛ إذ بها أكثر من عشر قنواتٍ مســـيحيَّة، منها: (TBN Africa)، و(Divine Truth)، و(Love Word Christian Network)، و(Kruiskyk TV).[1]

وفي حال نيجيريا مثلاً، فإنَّ كنيسة (RCCGCE) تمتلك إحدى أضخم الشَّبكات التلفزيونيَّة بإفريقيا؛ إذ تصدَّرت (عام٢٠٠٣م)، قائمة الشَّبكات المسيحيَّة التي تبثُّ على مدار السَّاعة.[2]

د- هواتف نقالة:

نظـــرًا لمركزيَّة الهواتف النَّقالة في الحياة اليوميَّة للشُّـــعوب الإفريقيَّة، فإنَّ الكنائس قد بادرت إلى توظيف هذه الوسيلة الحديثة في نشاط التَّنصير. ومن مجالات استخدام الهواتف ربط الكنائس الكبرى بفروعها في المناطق النَّائية وذلك في طقوس القداس، وقد ذُكر أنَّ ذلك قد حقَّق نجاحًا كبيرًا في بعض البلدان (تنزانيا مثلاً)؛ حيث يســـتمع النَّاس إلى خطب زعماء الكنيســـة المؤثِّرين عبر الإذاعات القرَويَّة الصَّغيرة من خلال الاتِّصال اللاســـلكي بالهواتف النَّقالة.[3]

---

(1) www.tv-tube.tv/tvchannels/religious/country/south-africa، accessed on : 16/11/2013.

(2) The Redeemed Christian Church of God and Christ Embassy، see: The Big Man of the Big God، 23..

(3) Castor M. Goliama، Where Are you Africa? 58

ومن اســـتخدامات الهواتف أنَّ بعض الكنائس ترسل آلاف الرَّسائل النَّصيَّة كلَّ صباح إلى المشتركين في الشَّبكات المحليَّة، وفي المناسبات الدِّينيَّة المختلفة: لبشارتهم باليوم الجديد، والدُّعاء لهم بالبركة والنَّجاح.[1]

ويدخـــل هذا الإجراء -بحقٍّ- في عداد «الكلمة الطَّيبـــة» التي هي «صدقة» في المنظور الإسلامي. كما تحرص شركات الاتصال في شحن الهواتف بالنَّغمات الجاهزة بأصوات بعض الزُّعماء الكنسيِّين، وبشاشات بصورة العذراء والمسيح وغيرها من رموز المسيحيَّة.

(1) Ogbu، African Pentecostalism: An Introduction، Op. Cit. 120.

المبحث الرابع

العمل الإغاثي والمشاريع التّنمويّة ودورها في التّنصير

يُعدُّ العمل الإغاثيُّ أكبر مجالٍ للمشـــروع التّنصيري، وهو مجالٌ يســـتعصي على الحصر، وهو النّشاط الذي قام عليه التّنصير من أوّل يوم، وأكّدت التّجارب نجاحه ومضاءه في العمليّة التّنصيريّة. يقول أحد القساوســـة الأوائل في مجتمع الإيبو: «لا بدّ من الاعتراف أنّ الدّعوة التّبشـــيريّة، مهما كان شكلها، فإنّها بدون ما نطلق عليه «مسيحيّة الأرز»، لن تجذب مستمعين ولا مستجيبين إلا القليل».[1]

تجدر الإشارة إلى أنّ الباحثين والقساوسة يُجمعون على أنّ العمل الطبي هو أمضى الوســـائل في التّنصير، ونيل ثقّة الشُّـــعوب في إفريقيا وآسيا وغيرهما .ففي الهند مثلاً، ذكر الأب (H. G. Harding) عن معارضة الهنود الشّديدة للحملة التّبشيريّة في الحقبة الاستعماريّة، وكانت الحملة على شـــفا فشَـــلٍ محقّق بتعبير الباحث إكيشـــي غير أنّها .. «حقّقت معجزة» عـــن طريق العمل الطّبي، يقول الأب بعد أن ذكـــر إقبال النّاس عليهم وعن تغير مواقفهم من المسيحيّة ومن المبشّرين.. «كانت الخدمة الطّبيّة مثل الصّنارة لصيد الأتباع».[2]

هذا، وتوجد بكلّ بلدٍ إفريقيٍّ المئات من المؤسّســـات التّنصيريّة التي تعمل في تنســـيق وتنظيم متقن من أجل الوصول إلى هدفٍ واحد، ومن أشهر تلك المؤسّسات: المركز الكنسي التّابـــع للأمم المتّحدة، والكنيســـة الإصلاحيّة الأمريكيّة، والكنيســـة المعمدانيّة الأمريكيّة، وجمعيّة الأنجليكانيّين التّبشيريّة، وجمعية الرّوح المقدّسة، وجمعيّة رسالات المحبّة، وجمعية لنـــدن التّنصيريّة، وجمعيّة مريم، وكاراتياس، وهـــي منظمة لتنصير الأطفال، ومجمع تنصير الشّعوب العالميّ، ومعهد زويمر لأبحاث تنصير المسلمين، ومنظمة الأم تريزا (Mother Theresa)، ومنظمة أوكسفام (OXFAM)، وغيرها من المنظمات الكثيرة.

وبصـــرف النّظر عن نوايا أولئك وتصرّفاتهم، فإنّ لهذه المنظّمات أثرًا واضحًا في الحياة الإفريقيّة، وهي تقوم في كثيرٍ من الظّروف بما لا تقوم به الحكومات الإفريقيّة نفســـها، ففي مجـــال الخدمات الطبيّة مثلاً، نجد منظمـــة (Central African Medical Mission، 1961)، تقوم بما لا تقوم به الحكومات بوســـط إفريقيا وشـــرقيها، وهي كما تصف نفســـها «الذّراع للكنيسة

(1) Felix K. Ekechi. (1993)، The Medical Factor in Christianity Conversion in Africa، Missiology: An International Review، Vol. XXI، No.3، 290.

(2) Ibid، 291

الإنجيليَّـــة اللُّوثريَّـــة» (Wisconsin Evangelical Mission Synod، WELS)، ومثلها سلســـلة جمعيَّات (African Christian Medical Missions)، ولهذه الجمعيَّات الطبيَّة خدماتٌ واسعة النِّطاق في البلاد الإفريقيَّة، خاصَّة في تقديم الطب البديل، وفي ظروف الأوبئة، والحروب الأهليَّة التي تضطرُّ آلاف الأبرياء إلى الفرار واللُّجوء في مخيَّمات..

وفي تلك الحالات ينخرط المئات من الأطباء المتطوِّعين والمساعدين من مختلف البلاد الأوربيَّـــة في تلك الجمعيَّات للعناية بالمرضى وإغاثتهم، ونقل الكثير منهم إلى أوربا للعلاج.. إنَّ ذلك لممَّا يحفر أثرًا عميقًا في النُّفوس، ويستميل القلوب!

وفي كتاب «سفراءٌ ليسوع» (Ambassadors for Christ، 1994)، تسجيلٌ ضافٍ لقصص الكثير من الرِّجال والنِّساء المسيحيِّين الذين قاموا بأعمالٍ إغاثيَّة جليلة بإفريقيا وآسيا، وأفنَوا أعمارَهم في المناطق الرِّيفيَّة القاسية «باسم المسيح»!

أيضًا، تنشـــط هذه المنظمات في جميـــع المجالات الممكنة، ولكنَّهـــا تتخيَّر الأولويَّات الخدَميَّـــة طبقًا لظروف المجتمـــع واحتياجاته، مثل العناية ببرامـــج كفالة الأيتام وإلحاقهم بالمدارس، والاســـتفادة من ظاهرة البطالة المرتفعة جدًا فـــي البلاد الإفريقيَّة بفتح فُرص التَّوظيف للشباب العاطل.

المبحث الخامس

المرأة كهدف ووسيلة للنشاط التنصيري[١]

ركّز المنصّرون على المرأة أيما تركيز. واستغلوا جهلها ومرضها وحاجتها لإخراجها من دينها. ليس فقط بل هي وأبناؤها وجعلوها أداة طيعة في أيديهم، وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

يقول رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في كينيا: «إن المنظمات التنصيرية تنفق بسخاء وسفه في كينيا، وتعمل على الوصول إلى المناطق النائية في البلاد، وانطلاقًا من أن الذئب يأكل من الغنم القاصية، لدرجة أنها تختار أوقات الضحى والظهيرة وغياب الرجال عن المنازل لمحاولة تشويه وإفساد عقيدة النساء في المناطق الإسلامية، وتقديم مساعدات لهنّ بشرط إحضار أبنائهنّ للكنائس لإبعادهم عن الإسلام، وخلق أجيال علمانية لا ترتبط بدينها الحنيف».

ومن الجمعيات التنصيرية التي أفرطت في استخدام النساء في التنصير (جمعية أبناء الربّ وأسرة الحب)، وقد جاء في أقوالها: «إنَّ الخوف من الزنا لم يعد له مكان، وإنَّ عمليتي اللواط والسحاق مباحتان ما دامتا تتمان في جوٍّ من الحب»!

وقال ديفيد جاكس المتحدث باسم الجمعية: «إنَّ تقديم العون الجنسي واجب على كلّ فرد، وإن أفراد المجموعة من النساء مطالبات بتقديم كلّ ما يمكن أن يغري أعضاء جددًا، وإنَّه لا بد من تغطية نفقات المجموعة من بيع الجنس إذا اقتضى الأمر».

هكذا تكون المرأة الإفريقية هي وقود العملية التنصيرية: إما بكونها مادة للتنصير المباشر، أو تكون الوسيلة التي يستغلها المنصّرون لتحقيق أهدافهم بنشر الرذيلة، وإغواء الشباب ليتم تنصيرهم.

إن المرأة الإفريقية يتم استغلالها بشكل مزدوج، فهي مستهدَفة لذاتها، كما أنها السهم التي يسهل من خلالها النفاذ إلى المجتمعات الإفريقية، إلى الحد الذي يجعل الكنيسة العالمية تستقدم الشخصيات النسائية المسيحية ذات الثقل العالمي والتي أثبتت نجاحًا منقطع النظير في خدمة الإرساليات التبشيرية في أماكن أخرى في العالم إلى إفريقيا، «كالأم تريزا والتي منحها البابا بولس الثاني في عام ١٩٦٥م الإذن بالتوسع والعمل في كافة أنحاء العالم، لا الهند وحسب. فعملت في إثيوبيا وجنوب إفريقيا وتوسعت الإرسالية الخيرية التي

(١) سيدة محمود محمد، مسئول قسم البحوث باللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل.

أنشأتها، وباتت تضم ٥٧٠ مركزًا لخدمة المرضى والفقراء حول العالم، تتولاها أساسًا ٤٥٠٠ راهبة، إلى جانب أخوية تتألف من ٣٠٠ عضو».

وكذلك «الأخت إيمانويل وهي راهبة كاثوليكية بلجيكية المولد فرنسية الجنسية، وتسمى بالأم تريزا الثانية، وعملت في إفريقيا أيضًا، وتتحدث دومًا عن نفسها بأنها وهبت حياتها لمحاربة الفقر في البلدان الفقيرة».(١)

وبالفعل أسست شبكة هائلة من المجمعات التي يتكون كل منها من مدرسة وكنيسة ومستوصف طبي، يعمل ليل نهار على جذب الإفريقيات لكي يتحولن بعد ذلك إلى منصّرات أكثر فاعلية من الأجنبيات.

وقد آتت جهودهن أُكلها، وبحسب مقابلاتنا لعدد من الإفريقيات من غرب إفريقيا في غانا العام قبل الماضي في دورة تدريبية للداعيات انصب الحديث كله حول ظاهرة تنصير الإفريقيات؛ حيث أكدت جميعهن أنها آخذة في التزايد. وصار أمرًا عاديًا أن تُصبح الفتاة هناك مسلمة، وتُمسي نصرانية؛ بسبب رغبتها أو رغبة أولياء أمورها في أن تحصل على تعليم جيد، والذي لا يتوافر حسب رأيهن إلا في المدارس التابعة للإرساليات المسيحية.

ولنستعرض سويًا كيف كانت المرأة الإفريقية في جنوب الصحراء سلاحًا للتنصير ومرمى له؟

أولاً: أفرقة المسيحية من خلالها كما الرجال:

وليس هذا وليد اليوم، وإنما من أربعينيات القرن الماضي، ويوضح هذا خطاب من قائد التمرد المسيحي في جنوب السودان «جوزيف لاقو» إلى بابا الفاتيكان بول السادس يقول فيه:

«يا صاحب القداسة يسرنا أن نقول لكم في فخر: إن كل متعلم جنوبي الآن تخرج من مؤسسة تعليمية مسيحية، في سنة ١٩٤٤م تخرجت أول دفعة من القساوسة والرهبان والراهبات، وبدأ مستقبل المسيحية براقاً».(٢)

وفى كينيا يؤكد دكتور يونس عبدلي موسى هذا التوجه بقوله: «لو تجوَّلت في المدن والقرى والأرياف الكينية لوجدتَ عجوزة أو عجوزًا يُقدِّم خدمات طبية في تلك المناطق مجانًا؛ حيث تكون الفرصة سانحة حيث يُبشِّر هذا الطبيب أو الطبيبة بين أكبر عدد ممكن من المسلمين، وأكبر شاهد على ذلك مدينة مرتي التابعة لمحافظة اسيولو، والتي

(1) http://ar.wikipedia.org/

(٢) محمد علي صالح. مقال بعنوان : خطاب جوزيف لاقو للبابا. جريدة الحياة السياسية. العدد ١٦٥٦. الاثنين ٢٨ يناير ٢٠٠٨م، ص٩.

تقع في كربتُولا».[١]

وفى أوغندا النموذج الأخطر وهو تواجد المرأة المسيحية في النموذج المسلح لخدمة الكنيسة؛ حيث جماعة (جيش الرب) الكنسية التي يتزعمها القس جوزيف كوني، وهي حركة مسلحة ظهرت في البداية كطائفة صغيرة منتصف الثمانينيات من القرن الماضي تقريبًا بزعامة شقيقته، وتُدعى «أليس لاكوينا» التي ادَّعت أنها على اتصال بالروح القدس الذي أمرها بإزاحة موسيفيني من الحكم، وتنصيب نفسها مكانه، وزعمت أن إعجازها يتمثّل في نوع من الزيت المغلي من قِبل روح القدس الذي أخبرها بأنه مَن يتمسح به فلن تخترق جسده طلقات الرصاص في ميدان المعركة! وقد تزايد أتباعها شيئًا فشيئًا، خصوصًا من معارضي النظام، وعُرفت هذه الطائفة باسم (طائفة الروح القدس)». [٢]

ثانيًا: ابتعاثها للخارج ضمن برامج لإعداد كوادر مدربة:

الاهتمام بالإفريقيات لا يقتصر فحسب على استقدام مُنصّرات من أجلهن، أو أن يأتي البابا وغيره من الرموز المسيحية إلى القارة، وإنما أيضًا ابتعاثها للخارج، وبخاصة إلى روما: وذلك لإعداد كوادر مؤهلة لتوطين المسيحية، وبخاصة من خلال النساء تحت مسمى دورات تدريبية للنهوض بها، وتطويرها.. وغير ذلك من الشعارات البراقة ثم عودتها كخبيرة محلية.

مثل «ابتعاث عدد من النساء الريفيات من محافظة Lakechad بجمهورية تشاد لحضور دورات تنظمها منظمة الأغذية العالمية «الفاو»: حيث تم اختيار أكثر من ثلاثين امرأة في شهر رمضان المبارك للسفر إلى روما لتلقي دورة تدريبية في مجال الزراعة والرعي -حسب زعمهم- وهي في الأصل دورات موجّهة الغرض، منها نشر الثقافة الغربية، وغرس بعض المفاهيم الخاطئة في أذهان هؤلاء كمقدمة لازمة لإنجاح برامج التنصير، سواء كان ذلك تحت مظلة الكنيسة الكاثوليكية أم البروتستانتية».[٣]

ثالثًا: استغلال الرقص والغناء:

انتهزت الكنيسة حب الرقص والغناء لدى الإفريقي في العمل التنصيري، ودأبت الكنائس

---

(١) د. يونس عبدلي موسى. التنصير في شرق إفريقيا: أهدافه، أساسياته، ومقاومته «كينيا نموذجًا». قراءات إفريقية، العدد السادس عشر.

(٢) د. بدر حسن شافعي. مستقبل التنصير في إفريقيا، مجلة قراءات افريقية، العدد الرابع عشر. ٧ أكتوبر ٢٠١٢م.

http://www.qiraatafrican.com/

علـــى تنظيم حفلات مفتوحة في المنتزهات والكنائس يحضرها النصارى وغيرهم، كما أنهم يعقبون كل خطبة أو صلاة في الكنيســـة بحفل غنائي وموســـيقى راقص، بل وتأليف أغاني باللهجات المحلية مستوحاة من الإنجيل، «وبسؤال أحد الذين تنصروا ويدعى جمال ٢٩ سنة قال من دون تحرّج: اعتنقت المسيحية لأنها تبيح الخمر والنساء».[١]

وهـــذا ما أكدته دراســـة ميدانية عن التنصيـــر في دولة كينيا في الفتـــرة من (١٤١١هـ -١٤٢٠هـ)؛ حيث كشفت ما تقوم به كثير من الكنائس من تنصير الشباب الإفريقي عن طريق الجنس، مشيرة إلى أن التنصير عن طريق المرأة أصبح أسلوبًا رائجًا عند كثير من الكنائس، وبخاصة في إفريقيا، وفي كينيا يعدّ أمرًا مشـــاهدًا ومحسوسًـــا: فكم مِن شاب تنصّر بسبب إغراء الفتيات المنصّرات له، إما بالصداقة والحب، أو طمعًا بالزواج من إحداهنّ، وخصوصًا أن معظم النســـاء اللاتي يعملن في الكنيســـة من الجميلات المتعلمات.. ولا سيما منصّرات الكنائس البروتســـتانتية، وليس هذا فحســـب؛ فقد فتحت بعض الكنائس نوادي للشباب للهو والرقص والغناء.[٢]

رابعًا: تشويه الإسلام والمسلمين من خلالها:

تنجح الكنيســـة في تحقيق أهدافها إذا ما صادفت قلبًا فارغًا وعقلاً خال من المعتقدات، ويختلف الأمر مع المســـلم؛ حيث يجد المنصرون صعوبة بالغة فلجئوا إلى أساليب التشكيك، والتشويه علّهم يفلحون:

- تشويه الإسلام وخلخلة القيم:

عبر التشكيك في وجوده أصلاً، فإن أخفقوا لجئوا إلى إثارة الشبهات حوله، وإلصاق التهم به؛ للحيلولة دون تأثر الأفارقة به، سواء بالطعن في الإسلام بوجه عام، أو الطعن في قضايا المرأة بوجه خاص. فرغم إسهام المســـلمين الواضح في الحضارة الغربية إلا أنهم دائمًا ما يصفوا المسلم بالتخلف.

وتزخر الدراســـات الغربية بالنظريات التي تمجّـــد من الغربي، وتُلحق كل نقيصة بالآخر، ولم تشر مطلقًا إلى الســـبب الحقيقي لتخلف هذا الآخر، وهو استعماره، واستنزاف موارده، واغتصاب ثرواته، بل «ظهرت النظريات العنصرية التي ترجع أسباب التخلف في عالم الجنوب أحيانًا إلى عوامل عرقية تتعلق بمركزية الإنســـان الأوروبي وجنســـه الآري، وعوامل جغرافية

---

(١) د. أحمد ســـمي جدو، أوضاع المســـلمين في وســـط إفريقيا في العقدين الأخيرين :تشاد، إفريقيا الوسطى، الكاميرون والكنغو برازافيل في العقدين الآخرين، ص١٤٤.

(2)http://almoslim.net/

أحيانًا؛ حيث يتسم سكان الجنوب بالخمول والكسل عكس سكان الشمال. أو دينية في أحيان أخرى، أي: أن الدين الإســـلامي هو دين محافظ، يرفض التطور ويؤمن بالعنف، وأنه نقيض النصرانية التـــي تدعو إلى العمل؛ لذا فإن المجتمع الصناعي فـــي الدول الغربية المتقدمة يشكل أنموذجًا مثاليًا على البلدان النامية أن تسير على خطاه في التنمية والتحديث».[١]

أو أن يتم التشكيك في الإســـلام في نفوس معتنقيه، وبخاصة النساء عبر إثارة الشبهات حول الإســـلام وتعاليمه، مثل تعدد الزوجات، الحجاب، الطلاق .. إلى غير ذلك من مفردات ما يطلقون عليه حرية المرأة.

ويرى هؤلاء أن الأخذ بالنموذج الغربي يتطلب التخلي عن النموذج الإسلامي، فالحداثة لا يمكن أن تجتمع مع الشرع «التقليدي»، فتقول ماري إلياس: «لا يمكن مثلاً أن نتكلم عن مجتمع حديث يضمن حقوق المرأة، ويقبل في الوقت نفسه بتعدد الزوجات بحجة أن هذا التعدد قد نص عليه الشرع».[٢]

تشويه المسلمات:

عمد بعض المنصرين إلى تشـــويه المسلمات، ونقل صور ســـيئة حولهن من أجل تحميل الإسلام ورموزه مســـئولية الانحطاط والتردي الأخلاقي الحادث في المجتمعات الإفريقية. تمامًا كما فعل «القس جان الأكبر الأســـتاذ بالمدرسة الثانوية المختلطة في إفريقيا الوسطى بدعوته لعدد من الفتيات المســـلمات الفقيرات، والتقط لهن صورًا خليعة وفاضحة مستغلاً ظروفهن المعيشية الصعبة، وتوزيعها بهدف تشويه صورة الإسلام والمسلمين هناك».[٣]

وقد يصل الأمر إلى الاعتداء على المحجبات منهن جنســـيًا في استغلالٍ قذر لظروفهن المعيشية من فقر ومرض، ولا مانع من أن يكون تحت ستار قوات حفظ السلام، والتي يُفترض أنها لحماية اللاجئات، مثلما حدث في مقديشـــو بالصومال لفتاة تبلغ (١٥ عامًا) تحكي عن واقعة اغتصابها من قِبل جنديين في البعثة العسكرية المكلفة بحماية اللاجئات فتقول: «قام أولاً بنزع حجابي، وبعدها هاجمني، وبينما هي في طريقها للمغادرة منحها الجندي البوروندي

(١) نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر: أساليب المنصّرين في الصدّ عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها.. دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام ١٤١١ - ١٤٢٠هـ، رسالة علمية مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية - ١٤٢٣هـ .

(٢) هيجوت، ريتشارد، نظرية التنمية السياسية، ترجمة حمدي عبد الرحمن، محمد عبد الحميد، الطبعة الأولى، عمان، المركز العلمي للدراسات السياسية، ٢٠٠١م، ص٤٤.

(٣) مجلة النهج، العدد ٥٥، سوريا، ١٩٩٩م، ص٩١.

الثاني ١٠ دولارات أمريكية».[١]

خامسًا: التزويج واعتناق المسيحية:

لم يتورع المنصّرون عن استخدام العلاقات الشرعية بين الرجل والمرأة كسلاح للتنصير، وذلك عبر طرق ثلاث:

١- عدم الاعتراف بالزيجات الإسلامية:

عمدت السلطات الاستعمارية، وبشتى السبل منذ أن وطئت قدماها الأراضي الإفريقية، وبخاصة جنوب الصحراء إلى طمس الهوية الإسلامية لدى المسلمين، فقامت بتغيير أسمائهم، بل و كان الزواج الإسلامي غير معترف به، ويعتبر غير شرعي، ومن ثَم يصبح الأبناء غير شرعيين في بلد مثل جنوب إفريقيا»[٢]، بما يحرم هؤلاء الأبناء من كثير من الحقوق الشرعية التي تتعلق بإثبات الهوية.

٢- تزويج فتيات مسلمات لشبان مسيحيين:

كي يضمن المنصّرون الوصول إلى تنصير اجتماعي شامل؛ فإن رأس الحربة في هذا الشأن المرأة. بتزويجها من شبان مسيحيين، سواء بالإغراء أو بالإجبار أو بالخديعة؛ كلٌ بما يناسبه.

ففي زنجبار «يتعرض المسلمون لحملات تنصيرية تعتمد على عنصري السلاح والإغراء بالمال، وإجبار النساء المسلمات على الزواج من مسيحيين».[٣]

وفي مالاوي إبان الاستعمار «رصدت السلطات الاستعمارية مبلغًا من المال لكل زواج يتم بين مسيحي ومسلمة، فنشأ عن ذلك جيل جديد يدين بالمسيحية».[٤]

وفى نيجيريا «توجد شبكات سرية تهدف لاصطياد فتيات مسلمات عن طريق الزواج من نصارى، وهناك مبالغ مالية باهظة رُصدت لهذا المشروع التنصيري؛ بحيث يحصل كل من استطاع اصطياد فتاة مسلمة بالزواج منها، وبالتالي اعتناقها المسيحية على مبلغ مالي لا

---

(١) د. أحمد سمي جدو. أوضاع المسلمين في وسط إفريقيا في العقدين الأخيرين. مرجع سبق ذكره. ص١١٣.

(2)http://www.hrw.org/

(٣) د. عبد الوهاب دفع الله أحمد. الكنائس الوطنية والمسلمون في جنوب إفريقيا. التقرير السنوي للنشاط التنصيري في إفريقيا لعام ٢٠١٠م، منظمة الدعوة الإسلامية، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، ص١٠١.

(٤) والتي يمثل المسلمون فيها نسبة ٩٧٪ لمزيد من التفاصيل انظر: د/ كمال محمد جاه الله، الكنائس الوطنية والمسلمون في تنزانيا ..إشكالات الماضي وتطلعات المستقبل، التقرير السنوي للنشاط التنصيري في إفريقيا لعام ٢٠١٠م، منظمة الدعوة الإسلامية، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، ص٣٤

يقل عن ٢٠٠ دولار. وتتضاعف المكافأة حسب العائلة والمكانة الاجتماعية. والأسرة، والشهرة في الأوساط الإسلامية.

وأضافت التقارير الميدانية أن التركيز الشديد لهذه الشبكات المرصودة ينصبّ على بنات الشخصيات الإسلامية المعتبرة، والفتيات الناشطات في المنظمات الإسلامية في الجامعات النيجيرية المختلفة.

واعتبر الداعية «تاج الدين أدبروجو» أن زواج المسيحيين بالفتيات المسلمات أصبح ظاهرة في المجتمع النيجيري، لاسيما في الجزء الجنوبي منه، وعدَّه من التحديات الخطيرة التي تهدد الهوية الإسلامية في المنطقة، وأوضح بأن هذه الحالة واحدة من المحاولات والأساليب التي استُحدثت أخيرًا لغزو المسلمين». وأضاف قائلاً: «إن مما يندى له الجبين أن عددًا غير قليل من الفتيات المسلمات قد وقعن في شرك هذه الشبكة السرية بسبب وعود كاذبة اغتر بها ضعاف الإيمان من الفتيات».(١)

وفي جزر القمر يقول الشيخ سيد عثمان -الأمين العام لمجلس علماء جزر القمر-: «إن أهم النجاحات العديدة التي حققتها المنظمات التنصيرية التي تعمل في الأراضي القمرية: أنها نجحت في ربط الشباب القمري بفرنسا وأوروبا أكثر من ارتباطهم بجزر القمر ومحيطها العربي والإسلامي، عبر توسّع الفرنسيين بالزواج من قمريات بشكل يدفعهنّ -في أغلب الأحيان- للابتعاد عن الإسلام إن لم يكن اعتناق النصرانية، هنّ وأبناؤهنّ».

ويرى الأمين العام لمجلس علماء جزر القمر أن «المركز الفرنسي القمري للثقافة» من أهم مراكز التنصير في جزر القمر؛ حيث يُستخدم هذا المركز للترويج للنصرانية، فضلاً عن نشر الخلاعة والمجون والفكر الفرانكفوني؛ مشددًا على أن أنشطة هذا المركز تحظى بدعم من عشرات المنظمات التنصيرية التي منها الفرع الفرنسي لـ«جمعية كاراتياس» المتخصّصة في مجال تنصير الأطفال.

وأضاف الأمين العام لمجلس علماء جزر القمر: «أن نشاط المنظمات التنصيرية لا يتوقف عند الشباب والرجال: حيث تمارس جمعية تحرير المرأة ذات الطابع والهوى الفرانكفوني أساليب خبيثة لإبعاد المرأة عن عقيدتها الصحيحة وهدمها، وإبعادها عن العادات والتقاليد الحميدة، ونزع الحياء من وجهها».(٢)

---

(1) www.ikhwanonline.com

(٢) موقع مذابح الصليب في نيجيريا : مدونة تعريفية بجرائم التنصير على أرض نيجيريا وجنايتهم على المسلمين، ٢٤ مارس ٢٠١٠م.

http://islaminnigeria.blogspot.com/

سادسًا: ذريعة للتدخل في الشأن الداخلي بدعوى حمايتها والحصول على حقوقها:

لئن كان المحتل القديم يسعى قبل التدخل العسكري المباشر بإحكام السيطرة على البلاد من خلال الشركات التجارية والجمعيات التنصيرية، لتكون حمايتها مبررًا للتدخل المباشر؛ فإن المحتل الجديد يتعلل بالمرأة وحمايتها؛ حيث درجت قوى غربية ومنظمات دولية بمناسبة، وبدون مناسبة، على مهاجمة أوضاع المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية، وتزداد حدة الهجوم كلما تمسك المجتمع بقيمه الإسلامية، واستغلال الزعم بحماية حقوق المرأة ذريعة للتدخل في شئون الدول، وبالأخص في الجانب الاجتماعي.

وتزداد حدة هذا الهجوم مع اقتراب أيّ موعد عالمي في قضايا الأسرة وحقوق الإنسان والتنمية؛ ليعزف الجميع على وتر حقوق المرأة المهضومة في المجتمعات الإسلامية، سواء مِن قِبل دول غربية أو جهات تتذرع وتتخفى وراء المجتمعات المدنية والمنظمات الحقوقية.

إن المرأة الإفريقية لديها طاقات خلاقة تبهر حتى الغرب ذاته، والذي قطع شوطًا طويلاً في دراسة كل ما يتعلق بها، بل وتتوالى الدراسات الغربية الكنسية على المرأة الإفريقية، جنوب الصحراء تحديدًا؛ لمعرفة سر الطاقة الكامنة بداخلها كالدراسة التي أجراها على سبيل المثال الدكتور نورمان هيجلاند الباحث في الجامعة الكاثوليكية في لوفيان في بلجيكا عن سر قدرة النساء الإفريقيات على حمل أثقال على رءوسهن والمشي بها مسافات طويلة.

لذلك، فمن الأهمية بمكان، ونحن نناقش قضايا التنصير في إفريقيا، ألا يقتصر حديثنا على الرجل الإفريقي، وإنما للمرأة أهمية وتأثير في نمو هذه الظاهرة قد تفوق أهمية دور الرجل في بعض الأحيان، فهي الأم التي تربّي وتؤثر على الأطفال، وهي الزوجة ذات التأثير الكبير على الرجل.

المبحث السادس
النَّشاط الثَّقافي مدخلاً للتَّنصير

يُعدُّ النَّشاط الثقافي الثَّغرة الأولى التي حاول المنصِّرون النُّفوذ منها إلى أهدافهم: لذلك فإنَّ المنصرين الأوائل قد انكبُّوا على دراسة اللُّغات الإفريقيَّة وتعلُّمها، وجمع آدابها وحِكَمها وأمثالها وأساطيرها، ونشطت الدِّراسات الأنثروبولوجيَّة والتَّاريخيَّة على أيديهم، وقاموا ببناء المراكز التَّعليميَّة ودعم المؤسَّسات البحثيَّة التي تحقِّق لهم أهدافهم.

أ- جامعات ومؤسَّسات تعليميَّة ثقافيَّة:

إنَّ ما يثير انتباه المتأمِّل في حال التَّعليم العالي بإفريقيا، كثرة الجامعات والمؤسَّسات التَّعليميَّة المسيحيَّة، فبالإضافة إلى الحضور المسيحيِّ في المناهج والمقرَّرات والكتب المدرسيَّة في مراحل التَّعليم العام، فإنَّ لها مؤسَّسات تعليميَّة عالية متخصِّصة كثيرة، ولعلَّنا نكتفي بالإشارة إلى جامعاتٍ مسيحيَّة مرموقة بإفريقيا في الوقت الحاضر مثل: جامعة (African University Mutare) بزيمبابوي، أنشئت عام (١٩٩٢م)، وبها كلية اللاهوت، والزِّراعة، والموارد الطبيعية، وجامعة (Pan African Christian Unv.، PACUC) بغانا وكينيا، وجامعة (African Intl. Unv.) بكينيا، وجامعة (United Methodist Unv.) بليبريا، و(Unv. Catholiqued'Afrique Central) بكاميرون، و(Unv. Catholique de l'Af. de l'Ouest) بساحل العاج، وفي كونغو الديمقراطيَّة وحدها ثماني جامعاتٍ مسيحيَّة.

بالإضافة إلى هذه المراكز التَّعليميَّة الكثيرة، والحضور الكَنَسيِّ البارز في المجال العلميِّ بإفريقيا، نجد ترويجًا إعلاميًا مكثَّفًا لـ«رجال الله» في المراكز العلميَّة من جامعاتٍ ومؤسَّساتٍ تعليميَّة وثقافيَّة برعايتهم للفعاليَّات الثَّقافيَّة الكبرى، وتقديمهم الجوائز للأدباء والمثقَّفين، وإضفاء الألقاب العلميَّة المبجَّلة عليهم، ومنحهم الشَّهادات الفخريَّة، وممَّن يُذكر من أولئك القس (Idahosa) في نيجيريا، وهو دكتور، بروفيسور، كبير الأساقفة.[1]

ب- التَّرجمة:

كانت التَّرجمة ولا تزال وسيلةً مهمَّة في نشر المسيحيَّة، سواء ترجمة النُّصوص المسيحيَّة

(1) Ogbu، Kalu. The Big Man of the Big God، 23.

إلى اللُّغات الإفريقيَّة أم ترجمة المعارف والآداب الإفريقيَّة إلى اللُّغات الأوربيَّة الاستعماريَّة.

والدَّليل على ما مضى، أنَّ ترجمات الإنجيل إلى اللُّغات الإفريقيَّة (كليَّة أم جزئيَّة) قد بلغت حوالي (٦٨٠) ترجمة، ومعظمها قد وضعت منذ أوائل القرن التَّاسع عشر.

أما عن علاقة التَّرجمة باستراتيجيَّة «السِّياقيَّة» فواضحة؛ حيث إنَّ المنصِّرين قد عمدوا من خلال تلك التَّرجمات إلى مسخ الثَّقافات الإفريقيَّة وتشويهها، وخير مثال في هذا المجال ترجمة الكتاب المقدس باللُّغات الإفريقيَّة؛ حيث عمدوا إلى التَّوفيق بين مفهوم «الأقانيم الثَّلاثة»، وبين مفهوم «الإله» عند الأفارقة، وترجموا مثلاً «خراف الإله» إلى «ثيران الإله» في مجتمعات شرق إفريقيا وجنوبيِّها؛ لما للبقر من مكانةٍ خاصَّة في تلك المجتمعات.[1]

مثالٌ آخر أكثر دلالةً في تأكيد النَّزعة المغرضة عند المنصِّرين في نشاط التَّرجمة، ألا وهو: مبادرتهم لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللُّغات الإفريقيَّة، فقد كانت التَّرجمة الأولى لمعاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا في نيجيريا على يد الأسقف «ميخائيل ص. ك» (Bishop Michael Samuel Cole)، عام ١٩٠٦م.

وكانت التَّرجمة السواحيليَّة الأولى في زنجبار على يد المبشِّر غ. ديلْ (Goedfrey Del) عام ١٩٢٣م.[2] وفي جميع هذه التَّرجمات تحريفٌ واضحٌ لحقائق القرآن، وهدفٌ تبشيريٌّ صارخٌ لم يخفه المترجمون، ففي الحالة السَّواحيليَّة قال المترجم: إنَّه إنَّما وضعها من أجل «العثور على طريق آخر لمنع انتشار القرآن».[3]

ج - أدب الأطفال:

للمنصِّرين اهتمامٌ واضحٌ بأدب الطِّفل الإفريقي؛ حيث نشطوا في ترجمة القصص الإنجيليَّة إلى اللُّغات الإفريقيَّة، ونقل الأساطير والحكايات الإفريقيَّة مع تطعيمها بالرُّموز المسيحيَّة. كما اهتموا بالأغاني المسيحية والشَّعبية الإفريقيَّة للأطفال.

ومن دور النَّشر المسيحيَّة الشَّهيرة (African Christian Press، 1964) بغانا. وتنشر القصص والرِّوايات وكتب القراءة المصوَّرة للأطفال بالإنجليزيَّة واللُّغات المحليَّة، وقد توسَّعت هذه الدَّار إلى جزر المحيط الهادي، مثل: جزر سلمون، وغينيا الجديدة، ومنها أيضًا: (Editions

(1) Kombo، James H. Owino. (2007)، The Doctrine of God in African Christian Thought: The Holy Trinity، Theological Hermeneutics، and the African Intellectual Culture، BRILL، 199.

(2) Publisher: (London: SPCK، 1923)، 686 pages.

(3) Justo Lacunza-Balda. "Translations of the Quran into Swahili، and Contemporary Islamic Revival in East Africa"، in Eva Evers Rosander and David Westerlund، African Islam and Islam in Africa: Encounter between Sufi and Islamists، 106.

Haho،1983)، وهي لكنيسة البركة المشيخيَّة (Presbyterian) بتوغو.

وبما أنَّ الرُّسوم الكاريكاتوريَّة والهزلية المسلسلة (comic strips) تمثِّل قمَّة الاهتمام القرائي عنـد الأطفال؛ فإنَّ حركة التَّنصيـر قد وظَّفت هذا الجانب بإتقان بـدءًا بالإنجيل المصوَّر (Illustrated Bible)، ونشـر مجلاَّتٍ عالميَّة للرُّسوم المتحرِّكة التي روَّجت لأبطال قصصيَّة من الإنجيل، مثل شخصيَّةBishipBiglow، Reverend Fun، Altar Ego، Church Mice أو غيرها. ومن أشهر المشروعات العالميَّة للرُّسوم المتحركة مشروع (Global Comics Project، ومشروع (Comix35).[1]

في هذا الجانب أيضًا، لم تغب اسـتراتيجيَّة تطويع هذه الرُّسـوم للسِّياقات المحليَّة؛ إذ تطبع تلك الشَّـركات إصداراتٍ خاصَّة من تلك الرُّسـوم والمجلات بإفريقيا، وأخرى لآسيا وغيرها، فشـركة كوميكس٣٥، تنشر مجلة (The Pilot)، وهي نشرة خاصَّة بأطفال إفريقيا من غير المسيحيِّين، وتطبع مجلة (Manga Bible) المسلسلة إصدارات لإفريقيا، وزِّعت (٤٠،٠٠٠) نسخة منها بيوغندا وحدها.[2]

تجدر الإشـارة هنا أيضًا إلى أنَّ كثيرًا من هذه الرُّسـوم قد حُوِّلت إلى أفلام متحرِّكة أو ألعابٍ إلكترونيَّة من قبَل الشَّركات المتخصِّصة في الألعاب الإلكترونيَّة المسيحيَّة مثل شركة (Breakthrought Gaming)، و(Crave Entertainment)، و(Global ReligiousVideoGames) فـي الهنـد، وتعقد تلك الشَّركات ندوات وورش عمل سنويَّة مشتركة لتطوير الألعاب المسيحيَّة المستلهمة من الكتاب المقدَّس.[3]

ومـن الأفلام المتحرِّكة بلغات إفريقيَّة كثيرة: «Good News»، و«Words of Life»، وهي قصصٌ إنجيليَّة، وقد فوجئنا بكونها مشـحونةً بالمصطلحات الإسلاميَّة البنيويَّة، مثل: الله، والإيمان، والآخرة، والقيامة؛ حتى إنَّ المشاهد (إذا لم ينظر إلى الصُّور) قد لا يفطن إلى أنَّها مسيحيَّة.

د- الموسيقى:

كانت كنيسـة (Presbyterian) الاسـكتلندية في بدايات القرن العشرين من أوائل الكنائس التي سبقت إلى إدماج الموسيقى والرَّقص الإفريقي الشَّعبي في الطُّقوس المسيحيَّة، وعُرف فنانوها بـ(Church musicians). وفي الوقت الحاضر، فإنَّ للكنائس المسـيحيَّة حضورًا طاغيًا في الموسيقى الشَّعبيَّة يُعرف بـ(gospel music)، والموسيقى هنا تشمل الغناء والرَّقص، ويظهر

(1) www.worthytoons.com، accessed on : 14/11/2013.

(2) Shay Sayre & Cynthia King. (2010)، Entertainment and Society: Influences، Impacts، and Innovations، Routledge، 293.

(3) Ibid، 294.

توظيف إستراتيجية «السياقيَّة» في الموسيقى بتبنِّي الكنائس للغناء الإفريقي وآلات الطَّرب التَّقليديَّة، حتى أنَّ بعض الكنائس قد غدت «كنائس غنائيَّة» بكلِّ معنى الكلمة؛ حيث يشمل الغناء والرَّقص جُلَّ أنشطتها. وتتحوَّل الكنيسة إلى نادٍ رقصيٍّ بامتياز، والموسيقى فيها .. «صاخبة، يصرخ المغنِّي ويرقص الحضور على المسرح، يقفزون، ويتصبَّب منهم العَرَق، وتطغى أصوات الطبول على أصوات الآلات الأخرى».(١)

ومنذ سنواتٍ فإنَّ الموسيقى الإنجيليَّة هي الأكثر رواجًا في ساحل العاج مثلاً، وتتصدَّر الفرق الغنائية الإنجيليَّة الموسيقى المحليَّة. وقد أشار الباحث أغْبو إلى تحويل كثيرٍ من المغنِّين الشَّعبيِّين في بلاد إفريقيا إلى مغنِّين إنجيليِّين ومنصِّرين؛ لما لهذا النَّمط من مردودٍ ماديٍّ وترويجيٍّ كبير.(٢)

وفي كونغو مثلاً، وهي مركز الغناء والطَّرب بإفريقيا، يطلق على هذا النَّمط (mabinoyanzambe)، ويبرز الثِّقل الدِّيني المسيحي فيه باعتباره مقدَّسًا، بخلاف (mabinomabe)، بلغة لينغالا، وهو الغناء الشَّعبي البحت، ويدَّعي أصحابها أنَّها أغانٍ مستلهَمة من روح القدس (molimomosantu)، ويُعتقد أنَّ الاستماع إلى هذا النَّمط «المقدَّس» من الموسيقى يُحدِثُ معجزات شفائيَّة في السَّامع.

(1)King، Roberta Rose. (2008)، Music in the Life of African Church، BaylorUniversityPress، 93.

(2)Ogbu، Kalu. African Pentecostalism، 121.

المبحث السابع
التَّنصير وبثُّ الانحلال الخلقي

لا خلاف في أنَّ المسيحيَّة بوصفها دينًا سماويًا -في الأصل- تدعو إلى الفضائل، وسموِّ الرُّوح. غير أنَّ سجلَّها الأخلاقي على مستوى عالميٍّ حافلٌ بالانتهاكات الأخلاقيَّة الخطيرة، خاصَّة في الاعتداءات الجنسيَّة على الأطفال والنِّساء. وفي دراسة استطلاعيَّة للباحث آشوها (٢٠١٣م)، تبيَّن أنَّ نسبة (٧٠٪) من المستجوَبين المسيحيِّين بنيجيريا تعتقد أنَّ رجال الكنيسة فاسدون أخلاقيًا، وأنَّ نسبة (٤٢٪) منهم تعتقد أنَّ معظم الطُّقوس الكنسيَّة غير مسيحيَّة.[1]

قضيَّة راهنةٌ يمكن النَّظر من خلالها في السِّجل الأخلاقي للكنيسة المسيحيَّة، ألا وهي الدَّعوة العالميَّة الحديثة إلى الاعتراف الرَّسميِّ بالعلاقات المثليَّة (لواط وسِحاق)، ولا زالت الحكومات الإفريقيَّة تحت ضغطٍ مباشرٍ صارخٍ من لدُن القوى العالميَّة في هذا المجال (أمريكا وبريطانيا). غير أنَّ الحكومات الإفريقيَّة تستمدُّ قوَّتها من شعوبها التي تعارض هذا الأمر بشدَّة، وتُعرف حكومة يوغندا ونيجيريا وزيمبابوي بمواقفها الصَّريحة الرَّافضة للاعتراف بالحقوق المزعومة للمثليِّين.

فلا يزال نشطاء حقوق «المثليِّين» يتعرَّضون للضَّرب والقتل في بعض البلاد الإفريقيَّة (يوغندا وكاميرون مثلا)، دون أن تصدر إداناتٌ رسميَّة أو يُسجَّل تعاطُف شعبيٌّ نحوهم. وفي عموم إفريقيا كانت جمهوريَّة جنوب إفريقيا وحدها إحدى الدُّول السَّبع التي أجازت الزَّواج المثلي في قانونها (٢٠٠٨م)، وكان ذلك محظورًا في عموم الولايات المتحدة الأمريكيَّة ما عدا ولاية ماساشوست.[2] وليس ذلك غريبًا على هذا البلد.

في هذا الظَّرف، فإنَّ موقف الكنيسة المسيحيَّة المتراخي في هذه القضيَّة يقوِّض مواقف الحكومات والشُّعوب في وجه الضُّغوط الإمبرياليَّة: إذ إنَّ كثيرًا من الكنائس قد أجازت تعيين لواطيِّين، وحتى عقد أنكحة بين المثليِّين. هذا، ومن الإنصاف الإشارة

(1) Achoeah، J. E. (2013)، A Pragmasocioreligious،

(2) Mary Jo Weaver، David، Brakke. Introduction to Christianity، 232.

إلى أنَّ كنائس إفريقيَّة ورجالاتٍ مسيحيَّة قد عارضت بشدَّة موقف الكنيسة العالميَّة حول المثليِّين، واشتهر مثلاً في نيجيريا الأسقف (Rev. Nathan Nwachukwu) من الكنيسة الميثوديَّة، الذي قام بحملة معارضةٍ في إفريقيا ضدَّ المجلس العالميّ للكنائس، وهدَّد بانسحاب الكنائس الإفريقيَّة من المجلس.[1]

وقد يكون مستغربًا -وليس غريبًا- أن تكون الكنيسة الكاثوليكيَّة هي صاحبة الموقف المتراخي في معارضة العلاقات الجنسيَّة المثليَّة، ففي الحالة اليوغنديَّة مثلاً، ذُكر أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي أقل الكنائس اعتراضًا حول اللِّواط.[2] وفي نيجيريا ذكر الباحثان ويفر وبريكي أن معارضة كثيرٍ من الكنائس بإفريقيا للعلاقات المثليَّة، كانت سياسيَّة أكثر منها خُلقيَّة.. «طالما أنَّ الكنائس بإفريقيا تنافس الإسلام لاجتذاب الأتباع، وأنَّ اللِّواط مردودٌ في الإسلام، وحدُّه القتل في الولايات الشَّماليَّة المسلمة بنيجيريا، فإنَّ الكنائس المسيحيَّة لا ترغب أن تبدُوَ أقلَّ من الإسلام في الالتزام الخلقي».[3]

ولعلَّ من الدَّلائل الدَّاعمة لرأي الباحثين هذا ما ورد في دراسةٍ للباحثين ليندسي وأزوا حول معالجة العلاقات المثليَّة (لواط وسحاق)، في أفلام نوليوود: تبيَّن أنَّ هذا الموضوع قد احتلَّ موقعًا بؤريًا في مجموعة كبيرة من الأفلام منذ بداية القرن الحاليّ (٢٠٠٣-٢٠١٠م)، وبأسلوبٍ سافرٍ في عرض الأحداث.[4]... فهل كانت هذه الأفلام توطئة مرشِّحة لما نحن فيه الآن من ضغطٍ حادٍّ للاعتراف بالزَّواج المثليّ بإفريقيا، علمًا بأنَّ الكنيسة هي ذات يدٍ طويلة في هذه المؤسَّسة؟

يُضاف إلى موقف الكنيسة من اللِّواط والسِّحاق، مواقف بعض زعماء الكنائس الحديثة وتعاطيهم مع مرض الإيدز: حيث ظهر الدَّجالون مثل الفُطر من القساوسة الذين يدَّعون قدرتهم على علاج هذا المرض وغيره من الأوبئة بقوَّة المسيح. وقد وصف الباحث سميث ذلك بأنَّه «إحدى الإشارات الدِّينيَّة الأكثر خطورةً في (تفشِّي) مرض الإيدز».[5] لأنَّها تشجِّع

(1) Mathews A. Ojo. Religion and Sexuality: Individuality، Choice and Sexual Rights in Nigeria Christianity، ARSRC، 2005، 10.

(2)Sexual Orientation، Gender Identity and Human Rights، 418.

(3) Mary Jo Weaver، Introduction to Christianity، Op. Cit. 233.

(4)Lindsey Green and UnomaAzuah. The Video Closet Nollywood's Gay-Themed Movies، Transitions، Issue 107، 2012،http://www.academia.edu/3590070/_The_Video_Closet_Nollywoods_Gay_Themed_Movies._، accessed on: 14/11/2013

(5)Daniel Jordan Smith (2004) Youth، sin and sex in Nigeria: Christianityand HIV/AIDS related beliefs and behaviour among rural، Urban migrants ، Culture، Health &Sexuality: An International Journal for Research، Intervention and Care، 6:5، 425-437، 429.

- ولو بطريقة غير مباشرة- على الفساد.

هذا، وتتصدَّر نيجيريا -بإجماع الباحثين- الدُّول الإفريقيَّة في هذه الظَّاهرة، خاصَّة لدى كنيسة (Synagogue and Church of All Nation، SCOAN)، وزعيمها (TB Joshua)، الذي لا يفتأ يبثُّ مئات الشَّهادات الكاذبة من قِبَل الذين «شُفوا من مرض الإيدز» بفضل صلواته، وهذا كما يقول أحد الكُتَّاب: «يتناغم مع الطَّابع العام في نيجيريا؛ حيث تسمع عن شهادات المعجزات في كلِّ مكان».

وأفاد الباحث أغازُوِي أنَّ إعلانات «المعجزات» في التلفزيون النيجيري كانت تحتلُّ المرتبة الثانية في تحقيق الأرباح في الصناعة الإعلاميَّة، وذلك قبل حظرها الرَّسمي.[1] غير أنَّه على امتداد ستِّ عشرة سنة، لم تسجَّل حالة شفاء واحدة خارج إفريقيا.[2]

كما أورد الباحث شيما أغاذُوِي أنَّ عددًا من أولئك الدَّجالين قد حوكموا في بلدان غربيَّة كالولايات المتحدة وبريطانيا بجريمة الاحتيال والتَّضليل وجرِّ الضَّحايا إلى الموت، وانتهاك قانون السَّرطان (Cancer Act 1939) الذي يحظر كل ادِّعاء بعلاج هذا المرض بالوسائل الرُّوحيَّة. كما ذهب إلى تخوُّف باحثين كثُر من تنامي ظاهرة «الأنبياء» النِّيجيريِّين في دول إفريقيا، وأفاد أنَّ بعض الدُّول قد تنبَّهت إلى خطر أولئك؛ فحظرت دخول بعضهم أراضيها.[3] وقد وُجد أنَّ كثيرًا من أولئك يتعاطون السِّحر الإفريقيَّ الشَّعبي، ويتردَّون في الممارسات الجنسيَّة، وقد أدين كثيرٌ منهم في المحاكم.[4]

من الإنصاف الإشارة إلى أنَّ هذه الممارسات غير مجمَعٍ عليها عند الكنيسة المسيحيَّة. بل إنَّ كثيرًا من الكنائس تصف القساوسة المذكورين بدجَّالين، غير أنَّ شيوع هذه الظَّاهرة يتضافر مع السِّجل الكنسي (في مجال الفساد الجنسيِّ خاصَّة)؛ لرسم علاماتٍ تحذيريَّة قويَّة حول نوايا التَّنصير في إفساد الأخلاق.

ثمَّ إنَّ هذه الظَّاهرة منسجمة مع استراتيجيَّة «السِّياقيَّة»؛ إذ الغرض منه كسر المنَّاعة الرُّوحيَّة عند المسلمين أو غيرهم، وبعد تردِّي الفرد أو الجماعة في هاوية الرَّذائل، واستفراغه من ضميره ووازعه الرُّوحي، تأتي المسيحيَّة بوصفها «السوبرمان المنقذ» لأولئك «الخراف الضَّائعة» الباحثة عن الأمان وطريق الخلاص.

---

(1) Agazue، Chima. (2013)، The Role of a Culture of Superstition in the Proliferation of Religio-Commercial Pastors in Nigeria، AuthorHouse، 162.

(2) http://tbjoshuawatch.wordpress.com/ on: 26/03/2013، accessed on: 9/11/2013.

(3) Agazue، The Role of a Culture، Op. cit. 169.

(4) Elias Kifon، Bongmba (ed)، (2012). The Wiley-Blackwell Companion to African Religions، Willey-Blackwell، 169.

المبحث الثامن
التنصير المسلح[1]

تمهيد:

إذا كان ما سبق يشير إلى أن التنصير يعتمد بالأساس على الوسائل السلميّة الناعمة (دعم ومساعدات إنسانية، توفير الرعاية الصحية، التعليم وغيرها): فإن هذا لا ينفي وجود عملية تنصير بالقوة المسلّحة: من خلال بعض القوى الإفريقية الكنسية التي تستهدف تحقيق أهداف سياسية ممزوجة بأهداف التنصير، هذه القوى تحظى بدعم المؤسّسات الكنسية العالمية لتحقيق هدف التنصير من ناحية، والتمكين السياسي الذي يساهم ليس فقط في زيادة التنصير، وإنما في الحيلولة دون انتشار الإسلام، وهناك نماذج عديدة في هذا الصدد في إقليم جنوب الصحراء.

وربما نكتفي في الجزء الأخير من هذا الفصل بإعطاء نموذجين، هما حالة جنوب السودان قبل الانفصال، والتي أسفرت في النهاية عن الانفصال عام ٢٠١١م، والحالة الثانية هي الحالة الأوغندية خصوصًا أن الرئيس موسيفيني (ينتمي موسيفيني للتوتسي) يرى نفسه راعي التبشير والكنيسة في شرق إفريقيا.

نماذج من التنصير المسلّح في إفريقيا:

كما سبق القول: إذا كانت جماعات التنصير تعمد إلى اتباع الأساليب السلميّة من تقديم مساعدات وعلاج وتعليم: فإنها أيضًا تنهج الأسلوب القسري العسكري، من خلال دعم بعض الحركات السياسية ذات التوجّهات الدينية، من أجل الوصول إلى الحكم من ناحية، والتمكين للتنصير من ناحية ثانية.

وسوف نكتفي بإعطاء إشارة إلى نموذجين، هما جنوب السودان، وأوغندا.

١- التنصير المسلّح في جنوب السودان:

لقد كان السودان - قبل انفصال الجنوب- محط أنظار الحركات الكنسية بصفة عامة، ومجلس الكنائس العالمي بصفة خاصة.

يُعد السودان هدفًا استراتيجيًا مهمًا لدى مؤسّسات التنصير، بوصفه أكبر بلد عربي إفريقي من ناحية، ولكونه ذا موقع استراتيجي مهم يفصل بين الشمال العربي المسلم،

---

(١) د. بدر حسن شافعي- خبير الشئون الإفريقية - جامعة القاهرة.

والجنـــوب الإفريقي الذي يغلب عليه المســـيحية - من ناحية ثانيـــة -، لذا كان هدف هذه المؤسّســـات الكنسية تحويل جنوب الســـودان -تحديدًا - إلى دويلة مسيحية، يمكن فصلها وضمّها بعد ذلك إلى دول الجوار الجنوبي؛ في إطار ما يُعرف باسم «دولة التوتسي النصرانية الكبـــرى»، والتي تضم أوغندا - جنوب الســـودان - أجزاء من روانـــدا - بوروندي - الكونغو الديمقراطية: بزعامة الرئيس الأوغندي يوري موســـيفيني الذي يقدّم نفســـه بوصفه راعي الكنيسة في إفريقيا.

ولقد أكّد هذه الأهمية الخاصة لجنوب الســـودان القس أرشيد كون شو منذ عام ١٩٠٩م، حيـــث قال: «إن لم يتم تغيير هذه القبائل الســـوداء - أي: الجنوبيـــة -، والتي يدين معظمها بالديانات التقليدية - في السنوات القليلة القادمة، فإنهم سيصيرون «محمديين» - في إشارة إلى دخولهم في الإســـلام -، إذ إن هذه المنطقة اســـتراتيجية للتبشير، لأنها تمتد في شرق إفريقيا في منتصف الطريق بين القاهرة والكاب جنوب إفريقيا، لذا فإن الكنيســـة في حاجة إلى مكان لها هنا لصدّ انتشار الإسلام»، ولقد تم الأخذ بهذه التوصية في المؤتمر الإرسالي العالمي في أدنبرة عام ١٩١٠م.[١]

لـــذا لا غرابة في أن يقوم مجلس الكنائس العالمي، وكذلك المنظّمات الكنســـية الأخرى، بدعم القوى المتمرّدة في الجنوب منذ ما قبل الاســـتقلال، بدءًا من تمرّد «حركة الأنانيا»[٢]، ووصولاً إلى «الحركة الشعبية لجنوب السودان» بزعامة جون جارانج، ولم يقتصر هذا الدعم على تقديم المساعدات الإنسانية فقط، وإنما تقديم الدعم التسليحي أيضًا من خلال تقديم المال اللازم لشراء السلاح، كما لم يقتصر كذلك على حركات التمرّد العسكري فحسب، وإنما امتد أيضًا إلى القوى السياســـية الأخرى التي تطالب بانفصال الجنوب، أو منحه حكما ذاتيًا موسعًا - على أقل تقدير - مثل «حزب سانو».

---

(١) مصعب الطيب بابكر - الســـودان -: مدخل الصليبية إلى الجنوب، نقلاً عن د: حســـن مكي: مشروع التنصير في السودان في الماضي والحاضر (السودان: المركز الإسلامي الإفريقي، ١٩٩١م)، في:
www.meskat.net/report/south_crusade_gate.htm

(٢) تعد هذه الحركة من أوائل الحركات المســـلحة التي رفعت السلاح في وجه حكومة الخرطوم، مستغلة في ذلك طبيعة النشأة العسكرية للمنتمين إليها؛ إذ إنها تتكون من أعضاء الفرقة الجنوبية في القوات المسلحة السودانية التي كان مقر رئاستها في مدينة التوريت، والتي كانت قد أعلنت تمردها على الحكومة عام ١٩٥٥م بسبب قانون السُّـــوْدَنة، إلا أن النظام تمكّن من القضاء عليها، فعادت لتنظيم نفســـها أوائل الستينيات لمواجهة سياسة نظام عبود الذي عمل على دمج الجنوبيين ونشـــر الإسلام والعربية، والقضاء على الحركات التبشيرية في الجنوب، فتم إعلان قيام الحركة عام ١٩٦٢م، وحدّدت الحركة مطلبها الأساســـي في تكوين دولة فيدرالية في السودان يُمنـــح فيها الجنوب حكمًا موســـعًا، ثم عدلت عن ذلك بعدما قويت شـــوكتها، وطالبـــت بانفصال الجنوب عن الشمال.

«حركة الأنانيا» المتمرّدة والكنيسة:

لقد كان للدعم الكنسي لـ «حركة الأنانيا» -فضلاً عن الدعم الصهيوني- دور مهم في تحوّلها من ميليشيات عسكرية غير منظّمة، تفتقد التدريب والتسليح الجيد، وتنتشر بشكل عشوائي في مدن الجنوب دون قيادة مركزية، إلى ميليشيات منظّمة ذات قدرات تدريبية وتسليحية عالية، أجبرت حكومة الخرطوم بعد ذلك على توقيع «اتفاقية أديس أبابا» معها عام ١٩٧٢م، وهي أول اتفاقية تعطي الجنوبيين الحكم الذاتي في إطار السودان الموحد.

ولم تُخفِ الحركة هذا الدعم، فلقد اعترف بعض قادتها، مثل جوزيف لاقو، بأن الحركة كانت تتلقى الدعم من الكيان الصهيوني وبعض المنظّمات الكنسية وأوغندا[١]، وإلى الأمر نفسه ذهبت بعض الكتابات المتخصصة التي اتهمت كلاً من الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي الذي يضم الكنائس الأرثوذكسية / الأرثوذكسية والبروتستانتية التي لا تؤمن بسلطة بابا الفاتيكان الكاثوليكية، بدعم -ليس فقط- «حركة الأنانيا»، خصوصًا في محافظة الاستوائية الجنوبية، وإنما قوى التمرّد السابقة عليها، ومن ذلك قيام القس الجنوبي الكاثوليكي الأب ساترينو بالتنسيق بين رئاسة الكنيسة في جوبا وقائد أول تمرّد عسكري في البلاد الملازم أوليفر ألبينو عام ١٩٥٥م.[٢]

ولقد ازداد الدعم الكنسي للحركة منذ سبعينيات القرن الماضي: حيث سعت الحركة إلى التحوّل من مجموعة ميليشيات مسلّحة غير منظّمة وتفتقد إلى قيادة مركزية؛ إلى قوات مسلّحة منظّمة ذات قيادة عليا، ولقد تم ذلك تحت قيادة جوزيف لاقو الذي عمل على توطيد علاقاته بالكيان الصهيوني وأوغندا من أجل الحصول على السلاح من ناحية، وتدريب قواته في الداخل والخارج من ناحية ثانية، ولقد كان من نتيجة ذلك توحيد «الأنانيا» مع جناحها السياسي المعروف باسم «حركة تحرير جنوب السودان»، وكان ذلك أحد أسباب توقيع الحكومة السودانية لاتفاقية أديس أبابا مع الحركة، والتي كان مجلس الكنائس من بين القوى المشرفة على توقيعها، وأعقب ذلك اعتراف الحكومة السودانية بالفاتيكان، وإقامة علاقات دبلوماسية معه.[٣]

---

(١) حول هذه الجزئية انظر: التشكيلات السياسية والفصائل المسلحة في الجنوب السوداني، الجزيرة نت، في:
www.aljazeera.net/nr/exeres/adf1b674-c356-4877-a204-4819a6c38471.htm

(٢) سيدي أحمد بن أحمد سالم: الكنائس العالمية والتبشير في جنوب السودان، الجزيرة نت، في:
www.aljazeera.net/nr/exeres/3d289ff3-3011-48a6-af78-fbdec3603168.htm

(٣) المرجع السابق.

.حركة جارانج.المتمردة والكنيسة:

لقد نشـــأت «الحركة الشعبية لتحرير جنوب السودان» بزعامة جون جارانج في يونيو عام ١٩٨٣م، حيث كان جارانج قائدًا في الجيش الحكومي، وأمره الرئيس الســوداني - آنذاك - جعفر نميري بالذهاب إلى الجنوب للقضاء على حركة التمرّد هناك، والتي ظهرت بعد إلغائه اتفاقية أديس أبابا، ولكن بدلاً من أن يقوم جارانج بقمع التمرّد انضم إليه، وقام بحمل السلاح في وجه الخرطوم.

وتراوحـــت مطالبه بين المطالبة بانفصال الجنوب، وبيـــن حصول الجنوبيين على أقصى درجات الحكم الذاتي (مطالب «الأنانيا» نفســـها)، وأظهرت الحركة عدائها للعروبة والإسلام، وبالرغم من أن جارانج حاول في البداية إظهار الطابع السياســـي لحركته (الطابع الماركسي تأثـــرًا بنظام منجســـتو في إثيوبيا)؛ فإنه لم يســـتطع إخفاء البعد الدينـــي، والذي برز منذ تســـعينيات القرن الماضي: حيث تحالف مع الكنائس والمنظّمات التبشيرية، خصوصًا بعدما أعلنـــت الأخيرة دعمها له، وتبنيها لمطالبه في كلّ المحافل الدولية، ومن ذلك مطالبة مجلس الكنائـــس حكومة الخرطـــوم ١٩٩١م بضرورة توزيع العوائد النفطيـــة على كلّ الأقاليم، وهي النقطة التي دار حولها خلاف كبير بين الحركة والحكومة منذ مفاوضات نيفاشا عام ٢٠٠٢م، واضطرت الحكومة إلى القبول بتقسيم العوائد النفطية في اتفاق خاص بذلك.[1]

ولقد كان للدعم الكنســـي، فضلاً عن الدعم الصهيونـــي، دور مهم في تفوّق جارنج على معارضيه الجنوبيين بعد تصفيتهم وذويهم جســـديًا، وارتكاب جرائم فظيعة تتنافى مع حقوق الإنسان بحقهم، وهو ما فعله أيضًا في مواجهته مع الجيش الحكومي، ليثبت بذلك أنها حركة متطرفة حظيت بدعم كنســـي - واضح -، مكّنها في النهاية من الانفراد بالجنوب، والتفاوض مع الحكومة من موقف قوة.

ولم ينكر جارانج ذلـــك الدعم، أو ذلك الهدف الديني من تمرّده؛ حيث أكد في مقابلة مع مجلة نيوزويك ١٩٩٦/٣/٣م أن الأجندة العربية والإســـلامية في مقدمة الأسباب التي أطالت أمد الحرب مع الحكومة، كما أشـــار على هامش ندوة عُقدت في معهد بروكنز ١٩٨٩/٦/٩م تحـــت عنوان «الحرب الأهلية في الســـودان وآفاق الثورة» أن هـــدف الحرب في الجنوب هو «القضاء على الأقلية العربية المزيفة» حسب تعبيره.

---

(١) بدر حســـن شافعي: الحركات الكنســـية المتطرفة في جنوب الســـودان، مجلة المجتمع الكويتية، عدد ١٦٣٦، ٢٠٠٥/١/٢٢م.

والأمر نفسه أكدته مجلة نيوزويك في تقرير لها بعنوان «جنود المسيح في جنوب السودان»، نشرته في ٢٠٠١/٤/١٠م: حيث قالت فيه: «إن الحرب في جنوب السودان أصبحت حربًا صليبية»، وذكرت أن منظّمة واحدة فقط هي «الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية» قد وفّرت ١٧ مليون دولار لهذا الغرض، وأن من أكثر المنظّمات نشاطًا في هذا الشأن - والتي تجاوزت مهامّها الإنسانية فيما يتعلق بتقديم المعونة - هي «برنامج المساعدة الشعبية» النرويجي[١].

ويُلاحظ في هذا الشأن أن المنظّمات الكنسية لم تكتفِ بتقديم الدعم المالي الذي يُستخدم - معظمه- في شراء الأسلحة فقط، وإنما قامت بتقديم الدعم السياسي أيضًا للحركة، من خلال تأييدها مبادرة «منظّمة إيجاد» التي تقضي بحق تقرير المصير، والتي كانت الأساس التي انبثقت عنه «اتفاقية مشاكوس» والاتفاقيات التالية لها، والتي أعطت زخمًا أكبر لجارانج في تصفية معارضيه من ناحية، وللحصول على انفصال جنوب السودان من ناحية ثانية.

٢ - التنصير المسلّح في أوغندا[٢]:

تُعد أوغندا واحدة من أهم الدول، في شرق إفريقيا، التي تتم فيها عمليات التنصير ضد مسلمي البلاد، ويبلغ تعدادهم سبعة ملايين نسمة من إجمالي أربعة وعشرين مليون نسمة، أي: قرابة ٣٠٪ من حجم السكان، ولا يُخفي النظام الحالي (نظام موسيفيني الكاثوليكي) ذلك، بل يقدّم نفسه للغرب والمنظّمات الكنسية الكبرى بوصفه راعي التبشير والكنيسة في شرق إفريقيا، تمامًا كما قدّم نفسه للولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر بأنه راعي المصالح الأمريكية في المنطقة، خصوصًا ضد القوى الإسلامية.

لذا لا غرابة في أن تكون لأوغندا - بالرغم من أنها دولة حبيسة - أهمية استراتيجية؛ ليس في فكر الكنيسة فحسب، ولكن في الفكر الصهيوني أيضًا، وذلك بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي كنقطة تماس بين الشمال العربي المسلم، والجنوب الإفريقي ذي الأغلبية المسيحية.

---

(١) مصعب الطيب، مرجع سابق.

(٢) اعتمدنا في هذه الجزئية على مقال للكاتب بعنوان: نموذج «جماعة جيش الرب» في أوغندا، ملف الأهرام الاستراتيجي على الرابط الآتي:

http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/F11E39.HTM

ومـــن هنا كانت أوغندا إحدى الدول المقترحة لإقامة وطن قومي لليهود إبّان مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م، إلا أن الأمر استقر على فلسطين بالنظر إلى أهميتها لدى المسلمين.

ولا يُخفي النظام الأوغندي طموحاته التنصيرية والتبشـــيرية (معًا) المختلطة بالمصالح السياسية، حيث إنه يسعى لإقامة «دولة التوتسي الكبرى»، والتي تضم -بالإضافة لأوغندا- كلاً من جنوب الســـودان بعد انفصاله، وأجزاء من رواندا وبوروندي، وشرق الكونغو الديمقراطية؛ حيث أقلية التوتسي المدعومة من قبل الأنجلوفون والولايات المتحدة؛ في مقابل دولة الهوتو المدعومة من الفرانكفون.

ولا غرابة في أن تتلاقى طموحات موســـيفيني الاستعمارية التبشيرية مع طموحات إدارة الرئيس الأمريكي الأســـبق بيل كلينتون في إطار مشروعه الاستعماري الكبير المعروف باسم «القـــرن الإفريقي» Great Horn of Africa، والذي يضم إلى جانب «دولة التوتســـي الكبرى» دول القرن الإفريقي التقليدية الصومال وجيبوتي، إريتريا - إثيوبيا، بحيث يشـــكّل هذا المشروع الكبير حائط صدٍّ منيع ضد أي محاولة شمالية لنشر الإسلام جنوب الصحراء.

ومن هنا كان طبيعيًا في هذا الجو التنصيري والتبشـــيري العام أن تنشـــط المؤسّســـات والحركات التبشـــيرية، سواء تلك التي تمارس التبشير بأساليب سلمية، أو بأساليب عسكرية متطرفة، ومن أبرز هذه الحركات المســـلّحة ذات التوجهات الكنسية ما يُعرف باسم «جماعة جيش الرب» التي يتزعمها القس جوزيف كوني، وهي حركة مسلّحة ظهرت في البداية كطائفة صغيرة منتصف الثمانينيات من القرن الماضي تقريبًا بزعامة شقيقته، وتُدعي «أليس لاكوينا» التي ادّعت أنها على اتصال بالروح القدس الذي أمرها بإزاحة موسيفيني من الحكم وتنصيب نفسها مكانه، وزعمت أن إعجازها يتمثّل في نوع من الزيت المغلي من قِبل روح القدس الذي أخبرها بأنه مَن يتمسح به فلن تخترق جسده طلقات الرصاص في ميدان المعركة! وقد تزايد أتباعها شيئًا فشيئًا، خصوصًا من معارضي النظام، وعُرفت هذه الطائفة باسم «طائفة الروح القدس».

وتركز نشاطها في شمال البلاد لاعتبارين أساسيين، هما:

١- أن الشمال الأوغندي فقير اقتصاديًا مقارنة بالجنوب: ومن ثَم يمكن استغلال هذا الوضع الاقتصادي السيئ في عملية التنصير والتبشير من ناحية، وكذلك في جذب أنصار جدد في مواجهة النظام من ناحية ثانية، وخصوصًا أن الشـــمال يتمتع بقدرات تسليحية عالية مقارنة بالجنوب.

٢- اقتراب هذه المنطقة من جنوب السودان: وهي منطقة تنتشر فيها عمليات التنصير والتبشير بصورة كبيرة من ناحية، كما أنها يمكن أن تشكّل فناءً خلفيًا للحركة في عمليات الكرّ والفرّ من ناحية ثانية، وخصوصًا أن الجنوب السوداني ظلّ لفترات طويلة غير خاضع للحكومة المركزية في الخرطوم؛ لذا لا غرابة في أن تعمل كلّ المنظّمات التنصيرية والتبشيرية، سواء السلميّة أو المسلّحة، في الشمال الأوغندي، مما يفسّر أسباب تضاؤل عدد المسلمين هناك ليصبح ١٪ فقط.

الفصل الثالث

آثار التنصير.. قراءة في تداعياته على بنية المجتمع والدولة

الفصل الثالث

آثار التنصير.. قراءة في تداعياته على بنية المجتمع والدولة[١]

تمهيد:

لم تعد قارة إفريقيا كما كانت في نظرة قدامى الأوروبيين، المستعمرين منهم والمنصّرين، مجرد منطقة يتحتم تأمينها بغية الوصول إلى خيرات جنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية، كما تُحدّثنا كتب الجغرافيا، فقد أصبحت إفريقيا هدفًا في حدّ ذاته، بعد أن اتضح أنها قارة واعدة بالموارد الطبيعية والبشرية المختلفة، خصوصًا بعد أن أخذ الإسلام، ومعه الثقافة الإسلامية واللغة العربية، في القرون الأخيرة، ينتشر في الأقاليم المختلفة لقارة إفريقيا ويتبوأ مكانة متميزة.

إن عملية تحويل إفريقيا المسلمة إلى قارة مسيحية حلم قديم تقوده البابوية، وتدعمه الدول المسيحية ومجلس الكنائس العالمي، وكلّ الجهات المعادية القوية التي تعمل ضد الإسلام وعقيدته ودعوته في هذا العصر، منذ عهد الحروب الصليبية.

ويستمد هذا المخطط قوته من الإمكانات الضخمة التي تُسخّر له، ومن الدعم المادي الكبير الذي يُقدّم له سنويًا لدعم أنشطته وإرسالياته في مختلف دول العالم، خصوصًا في المناطق الإسلامية الفقيرة التي تعاني مختلف الكوارث الطبيعية والبشرية، لغزوها بالمنصّرين بما في أيديهم من غذاء ودواء وكساء مقابل التنصّر واعتناق النصرانية[٢].

---

(١) أحمد عمرو. باحث مصري.

(٢) انظر: أحمد أبو زيد: التنصير بالتبنّي أحدث صور استثمار الفقر، بتاريخ ٢٠/١٠/٢٠١٠م، على الموقع: http://almoslim.net./node/8546/

المبحث الأول

الآثار الدينية

١- التحول إلى النصرانية:

عملية تنصير إفريقيا بكل أقاليمها شـــرقًا وغربًا، شـــمالاً وجنوبًا، تتم بتنسيق كامل بين الفاتيكان ومجلس الكنائـــس العالمي، وغيرهما من الهيئات التنصيرية؛ من أجل تحقيق ذلك الحلـــم القديم، ولأجله قام البابا بولس الثاني بثلاث زيارات خلال خمس ســـنوات، زار فيها إفريقيا شرقًا وغربًا[١]، وقد حدّد البابا عام ٢٠٠٠م موعدًا لتحقيق هدفه، وهو تحويل القارة الإفريقية إلى قارة مســـيحية، وذلك نظرًا لما يتمتع به القادة المســـيحيون من سيطرة على شتى نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية في عدد من دول القارة الإفريقية، وقد أعلن البابا هذا الهدف صراحة لدى اســـتقباله وفدًا من أساقفة إفريقيا، قائلاً: «ستكون لكم كنيســـة إفريقية منكم وإليكم، وآن الأوان لإفريقيا أن تنهض وتقوم بمهمتها الربّانية، وعليكم أيها الأساقفة تقع مسؤولية عظيمة، ألا وهي تنصير إفريقيا»[٢]!

لقد وضعت المؤسّسات الكنسية الكبرى، وفي مقدمتها مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان، مخططًا لتنصير القارة الإفريقية.. وفي هذا الشأن نظّم الفاتيكان مؤتمر روما التنصيري في ١٩ فبراير ١٩٩٣م تحت شعار «تنصير إفريقيا عام ٢٠٠٠م»، حيث خصّص ميزانية أولية لهذا الغرض قدرها ٥،٣ مليارات دولار لأجل نشر المسيحية في إفريقيا[٣].

صحيح أن هذا الهدف لم يتحقّق بالنسبة المرجوّة، إلا أن الفاتيكان - تحديدًا- لم ييأس، وعمل على تأجيل تحقيقه من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠١٠م، ثم إلى عام ٢٠١٥م. بســـبب عدم تحقق النتائج المرجوّة لمجموعة من الأسباب سيأتي ذكرها.

لقد تحقّق قرابة نصف هدف الفاتيكان تقريبًا في إفريقيا جنوب الصحراء، حيث بلغ عدد النصارى في إفريقيا جنوب الصحراء -وفق بعض التقديرات الكنسية- ٥١٦ مليون مسيحي،

---

(١) انظـــر: أحمد أبـــو زيد، غزو تنصيري لإفريقيا.. تحت مظلة الإغاثة ومحاربـــة الفقر والجهل والمرض، بتاريخ ٢٠١٠/١٠/١٢م، على الموقع

http://www.alukah.net/culture/01775

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) أيمن شبانة: التنصير في إفريقيا.. جهد كاسح ونتائج كسيحة، موقع أون إسلام ٢٠٠٨/٧/٢٦م، في:
http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/africa-latin-america/108090-2008-07-26%2010-25-17.html

بنسبة ٦٢.٧٪ عام ٢٠١٠م، مما يعني أن الإقليم به ثالث أكبر كتلة مسيحية على مستوى العالم بنسبة ٢٣.٦٪، أي: قرابة ربع مسيحيي العالم، وذلك بعد القارة الأمريكية ٣٦.٨٪، وقارة أوروبا ٢٥.٩٪. هذه النسبة لن تتغير كثيرًا إذا ما أضفنا إليها نصارى دول الشمال الإفريقي والسودان، حيث يبلغ نسبة النصارى في مصر والسودان ٠.٠٣٪ من إجمالي سكان العالم.

ويُلاحظ أن أكبر زيادة في عدد المسيحيين في العالم كانت في إفريقيا جنوب الصحراء: حيث بلغت الزيادة ٦٠ ضعفًا خلال قرن من الزمان، فقد ارتفع عددهم من قرابة ٩ ملايين مسيحي عام ١٩١٠م بنسبة ١.٤٪، إلى ٥١٦ مليون مسيحي عام ٢٠١٠م ٦٢٪، في حين أن عدد المسيحيين في منطقة آسيا -المحيط الهادئ تضاعف عشر مرات، حيث ارتفع عددهم من ٢٨ مليونًا عام ١٩١٠م، إلى ٢٨٥ مليون عام ٢٠١٠م.

كما يُلاحظ أن معظم المسيحيين في إفريقيا جنوب الصحراء من البروتستانت ٥٧٪، وهذه النسبة تضم أعضاء الكنائس الإفريقية المستقلة، والأنجليكان، في حين يشكّل الكاثوليك ٣٤٪، أما الأرذثوكس / الأرثوذكس فلا تزيد نسبتهم عن ٨٪، وباقي المذاهب الأخرى لا تزيد عن ١٪[١].

جاء -تقرير عرض- مؤتمر كولورادو [٢] التنصيري عام ١٩٧٨م أن من بين ٢١٣ قبيلة إفريقية مسلمة، تم ٥٧ مليون شخص حتى منتصف عام ١٩٧٢م، وأن ثمة ٢٩ مليون شخص آخر في ٢٣٦ قبيلة إفريقية غير مسلمة تعيش في مناطق حدودية لم يتم تنصرهم بعد. وأن العمل جارٍ للوصول إليهم خلال ربع قرن من ذلك الوقت، وأما عدد من تم تنصيرهم من هؤلاء فيُقدر بـ ١٨ مليون شخص، وأن النصرانية تحقق حتى الآن نجاحًا في التنصير في وسط أصحاب الديانات التقليدية بصورة أكبر من الإسلام [٣].

لقد كان لجهود الكنيسة تأثير كبير في تغيير خريطة إفريقيا العقدية، فقد اعتنقت أعداد كبيرة من الوثنيين المسيحية كما ارتدت أعداد كبيرة عن الإسلام، وتحولت دول بأكملها

---

(1) Global Christianity Report (U S A:Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life، December 2011)،PP.53-55 «64»

(٢) مؤتمر كولورادو عقد في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركًا يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق. وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل، وتقديمه للمسلمين والكنائس الديناميكية في المجتمع المسلم وتجسيد المسيح، وتحبيبه إلى قلب المسلم، ومحاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين، وتحليل مقاومة واستجابة المسلم واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين وتنشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي.

(٣) د.عبد الرزاق عبد المجيد ألارو ، التنصير في إفريقيا، الكتاب الشهري لرابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة حق، ص ٩٤.

من أغلبية مسلمة إلى أقلية، ولا أدل على ذلك من تصريح أمين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالكونغو الديمقراطية: الذي أشار إلى تناقص تعداد المسلمين في الكونغو من ٢٠ مليون نسمة إلى ٥ ملايين!!

يقول الشيخ موديلو واماليما الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية الكونغو الديمقراطية: «إن المنظمات التنصيرية في القارة الإفريقية تقف وراء تناقص أعداد المسلمين من ٢٠ مليون نسمة غداة استقلال الكونغو في حقبة الستينيات إلى ٥ ملايين مسلم في الوقت الحالي، وشدد الشيخ موديلو واماليما على أن غول التنصير قد استطاع افتراس الجسد الإسلامي في الكونغو؛ مستفيدًا من معاناة المسلمين لعقود من الفقر الشديد والتهميش السياسي والاقتصادي على يد حكومات الكونغو المتعاقبة، مما أسهم في ارتداد ملايين المسلمين حرصًا على الحصول على الدعم المالي واللوجيستي الذي تقدمه آلاف من المنظمات التنصيرية المنتشرة في جميع بقاع البلاد.

٢- تشكيك المسلمين في عقيدتهم

لم تقتصر آثار الحراك التنصيري على مجرد تحويل أعداد من المسلمين إلى النصرانية، بل كانت المنظمات التنصيرية التي تفشل في تحقيق هذا الهدف تعمل على خلخلة عقيدة المسلمين، والتشكيك فيها، وذلك عبر وسائل وأساليب متعددة، مباشرة وغير مباشرة.

يقول المنصر المعروف صاموئيل زويمر الذي خاض تجربة التنصير في مصر وعدد من الدول الإسلامية، وقد أرسل إلى لوشاتليه[1] رسالة في أوائل العام ١٩١١م قال فيها: «إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد ومزية هدم، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب. والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير - الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخُلقية في البلاد العثمانية والقُطر المصري وجهات أخرى - هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسميًا من المسلمين: لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم، واعتنقوا النصرانية من طرف خفي» [2].

---

(١) آ. لو شاتليه أستاذ المسائل الاجتماعية الإسلامية في فرنسا وأحد المنصرين المستشرقين الفرنسيين في هذا القرن الميلادي. رأس تحرير مجلة العالم الإسلامي الفرنسية. انظر ترجمته في: الغارة على العالم الإسلامي.- مرجع سابق. - ص٥.

(٢) المصدر السابق.

لقد حرص المنصّرون في كل أرض إسلامية وطأتها أقدامهم على إثارة الشبهات، وبث الشكوك بين المسلمين خاصة إذا تلمسوا منهم ضعفًا في التمسك بعقيدتهم وجهلاً بأحكام دينهم.

٣- تربية زعامات تقود المجتمع بعيدا عن الأفكار الإسلامية:

من الآثار العقدية أيضًا ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين أو ما يُطلق عليهم النخبة وحتى عامة الناس بفصل الدين عن الحياة، أو ما يطلق عليه العلمانية، فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله -عزّ وجل-، وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق -سبحانه وتعالى-، والكون والإنسان.

لم يكن اهتمام المؤسّسات الكنسية ببناء الشخصية الإفريقية للأخذ بيد الإفريقي ليواكب ركب الحضارة والتقدّم، وإنما كان بهدف التأثير في تفكيره وسلب إرادته؛ حتى يسهل قياده، واستنزاف خيرات بلاده، حتى بعد الاستقلال، صرّح بذلك أحد مؤسّسي الأليانس فرانسيه بقوله: «من الضروري ربط المستعمرات بالبلد الأم بواسطة رابطة نفسية شديدة الصلة في مواجهة اليوم الذي ينتهي إليه سعيها للتحرّر القومي إلى شكل من الاتحاد الفيدرالي -حسبما هو محتمل-؛ حيث يصبحون ويظلون فرنسيين في اللغة والتفكير والروح؛... فكان محتوى التعليم أوروبيًا بحتًا، فعندما ذهب أطفال البمبا إلى المدرسة كي يتعلموا مقررًا دراسيًا عن حياة النبات تلقوا تعليمًا عن الزهور الأوروبية ولم يتلقوا تعليمًا عن أشجار إفريقيا»[1].

لقد تضافرت جهود سلطات الاحتلال مع جهود الكنيسة، فلم تقرّ من المناهج التعليمية إلا ما كان منسجمًا مع سياسات الاحتلال، ولم تحترم الثقافة الإفريقية إلا إذا كانت مورّثة للانقسام، باعثة على التنافر والاقتتال بين الأفارقة، كما حرص المنصّرون والمستعمرون على تقديم تعليم متواضع غير مواكب، وبالقدر الذي يحقّق عمليتي التنصير والتغريب.

وهناك دلائل كثيرة تقف شاهدة على ما أحدثه التعليم والثقافة الكنسية من عمق التأثير السلبي والاستلاب في الشخصية الإفريقية، أبرزها التخلّف العام، وفقدان الهوية والتبعية، «فبلدان إفريقيا في الغالب الأعم لا تتخذ من لغاتها المحلية لغات رسمية، كما أن نمط الاستهلاك الغالب فيها هو النمط الغربي..

لقد صرّح بعض الطلاب الذين ظهروا في إرسالية ليفنجستونيا وإرسالية بلانتاير في مالاوي بأنهم اسكتلنديون سود، أما الكريبوليون والسيراليون فكانوا يختارون لقبين أوروبيين، ويربطون بينهما بواصلة... كما جاءت أشعار سينغور الذي أعطى أعماله كلّ اختلاجات الروح

---

(١) أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامي. مرجع سابق. ص٨.

الكاثوليكية معبّرة عن الاستلاب الحضاري الثقافي الإفريقي»[١].

٤- وقف المد الإسلامي عن وسط وجنوب إفريقيا:

كان من نتائج الحراك التنصيري: وقف المد الإسلامي الذي كان يزحف على وسط وجنوب القارة الإفريقية بقوة، فقد تمكن المنصرون من وقف هذا المد، بل ومحاولة تنصير المناطق الإسلامية.

جاء في التقرير الذي عُرض - مؤتمر كولورادو التنصير عام ١٩٧٨م أن «المد الإسلامي - إفريقيا الذي يتقدم جنوبًا بشكل مطرد منذ القرن السادس الميلادي، تم إيقافه تمامًا منذ عام ١٩٥٠م نتيجة للعمل التنصير المكثف في جميع أرجاء المنطقة الوسطى والجنوبية من القارة، وأن نمو النصرانية - إفريقيا من ذلك الحين بات أسرع من نمو الإسلام فيها بمعدل ٦٪ سنويًا».[٢]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د.عبد الرزاق عبد المجيد آلارو، التنصير في إفريقيا، الكتاب الشهري لرابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة حق، ص ٩٤.

المبحث الثاني

الآثار الاجتماعية

من أهم تداعيات التنصير في إفريقيا على النواحي الاجتماعية هو محاولة طمس الهوية الإسلامية للدول الإفريقية المسلمة، ومحاولة فرض طريقة حياة مختلفة متطابقة مع الرؤية الغربية كبديل عن نمط الحياة في المجمعات الإسلامية، فأشاع المنصّرون طريقة حياتهم الاجتماعية.

١- غرس الروح القبلية:

في البداية اهتم المنصرون بدراسة المجتمعات الإسلامية، ومعرفتها معرفة وثيقة؛ حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح.

وقد تمكنت الحملات التنصيرية بالتعاون مع الاستعمار من إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت هيمنتهم. ففي الجزائر مثلاً حطّم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض، وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام.

وعملت الجمعيات التنصيرية، بجانب قوى الاستعمار، على إعادة تشكيل الخريطة السكانية والبنية الاجتماعية لسكان البلاد. وقاموا بمحاولات الفصل العِرقي بين القوميات الإسلامية، وإحياء النعرات القبلية. وإحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي: بالتركيز على فرنسة البربر، وتعليمهم اللغة الفرنسية، ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم.

وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة. ولعل قانون المناطق المقفولة في السودان كان مثالاً حيًا لذلك، وكذلك محاولات فرنسا في السنغال لفصل الجنوب عن الشمال، ومحاولات إيطاليا في الصومال.[١]

٢- ازدواجية الشخصية الإفريقية:

غيّرت الإرساليات التبشيرية مفاهيم الأديان التقليدية التي سادت في تلك المناطق، وعانى المتحولون عن الأديان القبلية إلى المسيحية غربةً؛ حيث لم يعتنق

(١) د.إجلال رأفت، السياسة الفرنسية في إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة قراءات إفريقية، ٢٧مارس ٢٠١٤م.

المسيحية في البدء إلا الغرباء وأصحاب المكانة الاجتماعية المنحطة، ورغم أن أصحاب المكانة الاجتماعية من التقليديين كانوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الكنسية الابتدائية غير أنهم كانوا (يفجعون) من الانتهاكات التي يمارسها أبناؤهم ضد المعتقدات المحلية بتحريض من القساوسة والمعلمين.

وتدريجيًا، ومع نشاط الكنيسة في التعليم، بدا أن الرضوخ للدين الجديد صار ضرورة تمليها الرغبة تبوء المناصب والحصول على الامتيازات: حيث ارتبط الرفاه والصعود الاجتماعي في المدن والمناطق بمستوى التعليم، وارتبط التعليم بالتنصير، كان من نتيجة ذلك أن تحولت المجتمعات، وشعر الأفراد بالانتماء لثقافة غريبة تنظر إليهم نظرة دونية ما جعل المجتمعات الإفريقية تكسى بقشرة غربية، لكنها تعيش في غربة وأزمات داخلية طاحنة، وأصبح الإفريقي المتعلم يعيش حالة من الانفصام والازدواجية في السلوك، الأمر الذي انعكس على استمرارية تخلف المجتمعات الإفريقية وتبعيتها للغرب، على الرغم من حصولها على الاستقلال.

٣- إضعاف المكانة الاجتماعية للمسلمين:

أما المجتمعات الإسلامية فقد رفضت في البداية التعليم المرتبط بالكنائس، ووقفت في وجه التنصير، وبدلاً من البحث عن بديل تعليمي إسلامي ينطلق من هوية المجتمع، فقد أخرج الآباء أبناءهم من المدرس، وتركوهم فريسة للجهل والفقر والبطالة، ومن ثَم كان من نتاج ذلك أن تكونت النخب السياسية الأولى والإدارية والاقتصادية في المجتمعات الإفريقية من غير المسلمين، وتولوا زمام الأمور في البلاد: وأصبحت المجتمعات الإسلامية فقيرة ضعيفة بعيدة عن الحكم والسلطة. ما أدى إلى العديد من الأزمات والمشكلات المجتمعية فيما بعد.

في حين أن المسلمين قبل قدوم المنصّرين والمستعمرين كانوا هم أصحاب المكانة الاجتماعية في المجتمعات الإفريقية؛ نظرًا لحرصهم على تعليم أبنائهم، وتهذيب سلوكهم، ولتفوقهم في التجارة، وتمتعهم بثقافة عالية اكتسبوها من دراسة دينهم، لكن هذه الأوضاع كلها تغيرت وتبدلت، وما زالت المجتم.عات الإسلامية حتى يومنا هذا تعاني من التهميش في معظم أرجاء القارة.

المبحث الثالث

الآثار الثقافية

١- اللغة:

اللغة هي وعاء الثقافة والحضارة، وأحد عوامل الوحدة بين المسلمين؛ لذلك كان اهتمام التنصير منذ نشأته بمحاولة طمس اللغة العربية، واستبدالها باللغات الأوروبية.

يقول «صموئيل» زعيم المنصرين في أوائل القرن العشرين: «يوم لا يبقى اللسان العربي هو لغة التجارة في إفريقيا، لا يبقى خطر من الإسلام؛ لأن مداريته حينئذ ستصير فارغة». لقد تغلغلت اللغة العربية في إفريقيا للدرجة التي صارت الأبجدية العربية تكتب بها معظم اللغات الإفريقية.

٢- تغيير حروف اللغة السواحلية كنموذج لطمس الهوية:

اللغة السواحلية كانت إلى وقت قريب تُكتب باللغة العربية، حتى جاء الأوروبيون، وعلى رأسهم الإنجليز، وأعلنوا حمايتهم على شرق إفريقيا ليحتلوها ويستعمروها، فبدأت المكائد فكان لهم مع اللغة السواحلية وأدبها موقفان متباينان في كل أنحاء شرق إفريقيا:

الموقف الأول أنهم أول ما قدموا ودخلوا بمؤسساتهم المختلفة أخذوا يستخدمون السواحلية، ويعتبرون أنفسهم محظوظين أنهم وجدوها منتشرة هذا الانتشار الواسع مما يسهل لهم مهامهم في المنطقة، خاصة وأن بعضهم جاء وهو متعلم لها ومتحدّث بها، ولكن سرعان ما توارى هذا الموقف في حدود عام ١٩٠٠م، أو بعده بقليل ليحل محله الموقف الثاني، وهو موقف على النقيض من الأول تمامًا لدرجة أنهم أصدروا الأوامر بمقاومتها ومقاومة رسمها وحرفها العربي الذي تستخدمه واستبداله باللاتيني.

قام ستير Steer ومن سبقوه من رفقائه، وأخذوا على عاتقهم منذ اليوم الأول من وصولهم لشرق القارة في التخطيط لتحويل رسمها من الحروف العربية إلى الحرف اللاتيني، ولم يصرحوا بالسبب الحقيقي من ذلك ويذكروه علانية إلا في عام ١٩١١م في دورية العالم الإسلامي The Muslim World عندما كتبوا تحت عنوان (الأبجدية العربية أم اللاتينية) ما ترجمته بالحرف الواحد: «من أجل مواجهة تقدم الإسلام في شرق إفريقيا، ويقال لنا: إن هذه تحقق لطمة قاسية للإسلام، وذلك ليس في شرق إفريقيا، وإنما في ألبانيا كذلك؛ حيث إن مسألة الأبجدية العربية مثارة».

ولعل الهدف الحقيقي وراء ذلك هو إبعاد المسلمين عن الرسم العربي الذي هو رسم

القرآن الذي هو دستور المسلمين.[١]

فمنذ البداية كان هناك مبشّرون أنكروا تفسير الكتاب المقدس باللغة السواحلية، والسبب الحقيقي في ذلك خوفهم من أن اللغة السواحلية تمتلئ بالكلمات من اللغة العربية واللغة العربية لها تأثير إسلامي الذي يمكن لهذه الكلمات أن تحدث تأثيرًا سلبيًا في الرسالة النصرانية.

ولكن بعض المبشرين خاصة الذين كانوا في صفّ David Livingstone كانوا يعتقدون بأن الرجل الإفريقي لا يمكن التأثير عليه (اعتقاديًا) إلا باستعمال لغته الأولى، يعني لغته الأصلية، وكان هناك كثير من الآخرين يؤمنون بأن الإسلام الموجود في اللغة السواحلية سيساعد في نشر النصرانية، والسبب في ذلك أن هذه الديانات جاءت من منبع واحد، وهو إبراهيم -عليه السلام-، وكل هذه الديانات تدعو إلى الإله الواحد.

من جهة أخرى لُوحظ بأن اللغات الإفريقية للذين يتبعون الديانات التقليدية ممتلئة بكلمات بعيدة عن العالم النصراني. فكثير من هؤلاء المبشرين كانوا على خوف من استخدام لغات أناس محليين في تفسير الكتاب المقدس: حيث كانوا يعتقدون أن استخدام هذه اللغات ستضلّ الرسالة الحقيقية لإله الحق.

وكمثال على ذلك نجد أن الشخص المسمى A.R Barlo المبشر من كنيسة اسكتلاندية Scotland وضّح بأنه لما كان يحاول تفسير الكتاب المقدس باللغة (الكيكويو) إحدى لغات القبائل الكينية، كان يجد صعوبات في تفسير بعض مصطلحات نصرانية: بسبب عدم وجود معان موحدة بين المصطلح النصراني مع هذه اللغة.

وضرب هذا المبشر المثال على كلمة SIN)) باللغة الإنجليزية؛ حيث ادعى أن من الخطأ تفسير هذه الكلمة باللغة (الكيكويو) «thahu»؛ لأن كلمة thahu في اللغة الكيكويو تعني «الرجل الذي تجاوز الحد في أفعاله، ولكن هذا المعنى لا يعني أنه تجاوز الحد في حدود الله. ولكن في اللغة السواحلية هذه الكلمة SIN لها نفس المفهوم الذي عليه الدين النصراني، ويفسر هذه الكلمة بأسهل أسلوب وهي: الذنب.[٢]

لقد رأى كثير من هؤلاء المنصرين أن أسهل لغة لتفسير الكتاب المقدس هي اللغة السواحلية: حيث كانوا يرون أن اللغة السواحلية هي جسر الذي يربط العلاقة بين المبشّر النصراني الإنجليزي والإفريقي الذي لا ينتمي إلى أي دين.

---

(١) إبراهيم معلم، تاريخ شرق إفريقيا، كينيا: بدون دار الطبع، تاريخ التأليف ١٩٩٥م، ص٣٣.

(2) Alamin Mazrui، «Language and Literature Translations «Paper presented at annual (CHAKITA) conference ، Pwani University 13/3/2010.

من جهة أخرى حتى المبشرين الذين يؤمنون بوجود العلاقة بين النصرانية والإسلام كانوا على حذر في تفسيرهم للكتاب المقدس أن لا يظهر أي أثر إسلامي داخل ترجمتهم، وهذا يعني أنهم كانوا يفسرون الكتاب المقدس بالتنقيح الشديد في بعض المصطلحات المتعلقة بالإسلام.

نأخذ المثال على ذلك الإنجيل المقدس Biblia Maandiko Matakatifu المعروف بـ (Union version) [1]، هذا الكتاب يستخدم عدة كلمات من اللغة السواحلية لها أصل إسلامي فيما يتعلق بأسماء الأنبياء، وكذلك الأولياء من الكتاب المقدس القديم Agano la Kale ، وكمثال على ذلك أسماء أنبياء مثل (سليمان، وموسى، ويوسف، وداود وهارون)، وكلمات أخرى مثل: (توراة، إنجيل، زبور)، وهذه كلمات سواحلية لها أصل عربي إسلامي، ولكن المبشرين عرفوا بأن هناك اختلافًا في الاعتقاد بين النصرانية والإسلام في المسألة المتعلقة باسم نبي الله عيسى -عليه السلام-، فالذين فسّروا مثل هذا الكتاب ابتعدوا من استخدام مصطلح عيسى Issa: لأنه مصطلح إسلامي. واستعملوا مكانها مصطلح Yessu Kristo ، وبهذا المعنى استطاعوا وضع الفاصل بين المسيح الذي يعتقده المسلم، والذي يعتقده النصراني، وبهذا الأسلوب الذي استخدموه استطاعوا أن يضعوا حدودًا في تمزيق وحدة اللغة السواحلية، وأصبحت اللغة السواحلية تنشق نصفين: النصف الأول تابع للديانة النصرانية، والنصف الثاني للدين الإسلامي.[2]

كان هناك بعض المبشرين المتشددين بالدين النصراني يرون بأن اللغة السواحلية ممتلئة بمصطلحات عربية إسلامية، وأن هذا أكبر عائق لنشر الدين المسيحي عند الرجل الإفريقي الذي يعيش في شرق إفريقيا، وكان هناك آخرون يؤمنون بأن اللغة السواحلية يمكن تنقيحها من الكلمات العربية الإسلامية حتى نجد اللغة السواحلية التي ليس لها أثر إسلامي يُذكَر.

بنى هؤلاء المبشرون طريقتين في تنفيذ خططهم:

الطريقة الأولى:

الحرب على معجم اللغة السواحلية ومفرداتها: لا لشيء إلا لاحتواء معجمها على بعض مفردات مقترَضَة من اللغة العربية التي هي لغة الإسلام الأولى.

وراحوا فعلاً -تساعدهم الحكومة الألمانية- يستخرجون كل الكلمات ذات الأصل العربي من السواحلية، ليس هذا فحسب، وإنما حاولوا كذلك تغيير الترجمة السواحلية لإنجيلهم

(1) Biblia maandiko matakatifu. Bible Society of Tanzania & Bible Society of Kenya 1997.

(2) Alamin Ibid. p. 5.

الذي تمت ترجمته، ليستبدلوا الكلمات ذات الأصل العربي فيها بأخرى غير عربية[1].

ومن هذا المنطلق أكد MENHOF أحد هؤلاء المبشرين بأن هذه الخطوات إذا تم تنفيذها لن تكون عائقة للمبشـــرين في تنفيذ أعمالهم التبشـــيرية، وذلك بإدخـــال الناس في الدين النصراني.

الطريقة الثانية:

لتنقيح اللغة الســـواحلية من الكلمات العربية الإســـلامية هي التـــي اقترحها Karl Roehl المبشّـــر الذي جاء من كنيســـة ألمانية لصاحبها Lutheran. وقد وافق Roehl رأي مَن سبقوه، وقال: الحقيقة أن الكلمات العربية الموجودة في اللغة الســـواحلية لها فكرة إســـلامية، وهذه الأفكار تختلف عن الأفكار المسيحية؛ إذ يظهر في كلام ROEHL أن الهدف الحقيقي لهؤلاء المبشرين **يتمثل في الأمور الآتية:**

١- أن تكون اللغة السواحلية خالية من الكلمات العربية.

٢- أن تكون لهذه اللغة حظا في المجتمع.

٣- أن تكون كلمات هذه اللغة بنتوية أي من أصل Bantu».

وأكّـــد Roehl على هذا قائلاً: «هذا هو هدفنا حتى نبعد اللغة العربية التي هي في أصلها لغة أجنبية في شرق إفريقيا، وأن نجعل مكانها اللغة السواحلية البنتوية».

وفي كلام Roehl هناك شيء يختفي وراء الستار، فليس الأمر قاصرًا على أن اللغة العربية هي لغة أجنبية، ولكن الهدف الحقيقي هو إبعاد الإسلام من هذه اللغة.

هذه الأفكار أصبحت تدقّ مســـامع المبشّـــرين، مما أدى بهم إلى عقد اجتماع في ألمانيا لمناقشـــة القضية، ولقد اجتمع أربع كنائس في سنة ١٩١٤م، وأقروا في هذا الاجتماع بوجود التفســـير الجديد للكتاب المقدس الذي يمكن استخدامه في جميع مدن شرق إفريقيا، وكان الهدف الحقيقي لهذا التفســـير الجديد للكتاب المقدس -كما أشار Roehl- هو الوصول إلى اللغة السواحلية الخالية من الكلمات العربية الإسلامية لتبقى هذه اللغة (بنتوية) بحتة: حيث زعموا أن الكلمات العربية لا يفهمها كثير من الناس الذين يعيشون في الساحل، والناس الذين يسكنون في المناطق البرية لشرق إفريقيا.[2]

بهذه المؤامرة الدنيئة أدى الأمر في النهاية إلى ولادة اللغة السواحلية المنقَّحَة، أي: التي ليس فيها كلمات من اللغة العربية، الطريقة التي استُخدمت للوصول إلى مطالبهم لتنقيح اللغة

---

(1) Shihabuddin Chiranguddin and Mathias Mnyapala, Historia ya Kiswahili, Oxford University Press Eastern Africa 1978 .p 6.

(2) Alamin, Ibid. P.8.

الســـواحلية هي طريقة الترجمة، وفي هذا الإطار تُرجِم كثير من الكتب من اللغة الانجليزية إلى اللغة السواحلية مثل كتاب (Kisiwa chenye Hazina) القرية التي فيها خزائن،Treasure island للكاتب R.L STEVENSON وغيرها من الكتب، مثل هذه الكتب أدت إلى تقوية اللغة السواحلية من الكلمات البانتوية، وتخفيف الكلمات العربية، بدأ هؤلاء المبشـــرون نشر مثل هذه الكتب في المدارس الاســـتعمارية ونشّط هؤلاء الأعداء حركات الترجمة، يهدفون من وراء ذلك إلى إبعاد أيّ كلمة عربية من هذه اللغة.

المبحث الرابع

الآثار السياسية

١- القضاء على الوحدة الإسلامية:

سعى الاستعمار -متخذًا من التنصير وسيلة- لضرب وحدة المسلمين أينما حل، واتبع استراتيجية: «شد الأطراف ثم بترها»، سواء في إفريقيا أو في عموم العالم الإسلامي، فقد أدرك الغرب النصراني أن وحدة المسلمين وتماسكهم هي سرّ قوتهم وسيادتهم على الأمم الأخرى[1]: ولذلك حاولوا عن طريق التنصير إثارة الفتن والاضطرابات.

ويمكننا أن نراجع في ذلك انفصال جنوب السودان في دولة نصرانية عن السودان الدولة العربية المسلمة، وكان ذلك في استراتيجية متحدة لعبت بها الحركات والإرساليات التنصيرية دورًا كبيرًا.

يقول المنصر لورانس براون: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير».

ويقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية..، ويجب أن نحوّل بالتبشير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين».

٢- إثارة الصراعات والحروب بين طوائف المجتمع:

لم يقتصر الأمر على التفريق بين المسلمين أو تهديد الوحدة الإسلامية وحسب، بل حرص المنصرون على شق معظم المجتمعات الإفريقية، ونجحوا في ذلك، وكان من آثار ذلك الحروب الأهلية في جميع أرجاء القارة، والتي لم تهدأ منذ وطئت أقدام المنصرين أرض القارة، وحتى وقتنا الحاضر.

كما أجّج المنصرون الصراع الديني بين المسلمين والنصارى، ففي معظم المجتمعات الإفريقية هناك صراع بين الجنوب المسيحي أو ما يشبهه وشمال مسلم، مع تفاوت النسبة العددية بين هؤلاء وأولئك. يتضح ذلك في دول مثل نيجيريا وإفريقيا الوسطى وساحل العاج

---

(١) محمد بن ناصر الشثري، التنصير في البلاد الإسلامية، أهدافه، ميادينه، آثاره، دار الحبيب، الرياض، ط:١، ١٩٩٨م.، ص: ١٧.

وكينيا والسودان، هي نماذج لهذا الصراع والحروب التي لم تتوقف.

٢- تمهيد الأرض للاستعمار:

كما كانت الإرساليات التنصيرية وأتباعها أداةً في يد المستعمر؛ يستعين بها في التجسس على المسلمين، وإثارة حالات الاحتقان السياسي والديني بين أبناء المجتمع الواحد، وفي هذا نجد كلام المنصّرين أنفسهم أكبر دليل على ذلك؛ حيث يقول أحدهم: «لقد تمت محاولات نشطة لاستعمال المنصّرين ليس لمصلحة النصرانية، بل لخدمة الاستعمار والعبودية»، كما يؤكد هذا الهدف أيضًا القرار الصادر عن مؤتمر اليونان سنة١٩٥٩م وجاء فيه «إن السياسة هي المجال الذي يجب على الكنيسة في دول إفريقيا وآسيا وأمريكا أن تعمل به»[١].

وقال زويمر في مؤتمر تبشيري أقيم بالقدس عام ١٩٢٨م والذي جمع فيه خلاصة أعمال المبشرين في العالم الإسلامي: « ... مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية».

إن كثيرًا من الدول الغربية التي تتبنى نشر النصرانية في إفريقيا علمانية في داخلها وفي نظامها، ففرنسا العلمانية التي كان شعار ثورتها «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس» هي صاحبة نشاط تنصيري كبير في إفريقيا، ومن أكبر الدول الداعمة للمنصرين، وكذلك بريطانيا والولايات المتحدة، وهذا يؤكد مدى علاقة الاستعمار بالنشاط التنصيري، يقول د. والتر رودني: «كانت البعثات التبشيرية جزءًا من قوى الاستعمار إلى حد كبير، مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود».

ويقول سونو: «اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الإفريقي، أما المنصرون فقد استهدفوا روحه! ماذا يعني ذلك؟! إنه يعني، وبكل وضوح، أن التنصير كان عبارة عن منوّم يسهّل إلقاء حبل الاستعمار على عنق الإفريقي» [٢].

وفي المقابل: فقد كانت مطالب المنصرين واضحة بأن يكون الاحتلال قوة من قوى التنصير، وفي ذلك يقول المنصر الفرنسي لافيجيري: «إن فرنسا حارسة المسيحية في إفريقيا، وإن عليها ليس فقط استغلال الثروات، وإقامة السلطة على العبودية، والقضاء على

(١) محمود عبد الرحمن، التنصير والاستغلال السياسي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط:١، ص: ٩٠.

(٢) محمود عبد الرحمن، التنصير والاستغلال السياسي، ص: ٢٩، مرجع سابق.

المنهزمين، بل تعمل على إنشاء شعب حرّ ومسيحي من المغرب الأقصى وحتى مصر، وإحياء بقايا أمة مسيحية قد انقرضت».

٤- السيطرة على الطبقات الحاكمة في إفريقيا:

تمكن المنصرون -من خلال مؤسساتهم خاصة التعليمية- من إيجاد طبقة من النصارى أو المسلمين الذين تشربوا أفكار الغرب، واغتربوا عن أصول مجتمعاتهم التقليدية، سواء كان ذلك المجتمع مسلمًا أم غير مسلم، كانت هذه الطبقة على قلتها فاعلة داخل مجتمعاتها ومؤثرة؛ لامتلاكها الوسائل العصرية، لذلك فمن الطبيعي عندما تم الاستقلال أُسندت إدارة وحكم هذه الدول لهذه الطبقة.

كانت هذه الطبقة في مجملها أكثر حرصًا على مصالح الاستعمار من نظم ومخططات الاستعمار نفسه، وكان أخطر ما قامت به هذه الطبقة هي قتل روح الوطنية والتحرر التي عمت القارة منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي، ولم تستغل هذه الروح في بناء مجتمعاتها والنهوض بها، بل ونكَّلت بالمعارضين لحالة التبعية التي استمرت تحكم سياسة وثقافة المجتمع.

وفي الدول الإسلامية كانت هذه الطبقة -حتى من ينتسبون للإسلام منهم- ذات توجهات علمانية: تعادي الدين، وتنكّل بالمسلمين، ورغم أن عددًا كبيرًا من الأقطار الإفريقية ذات أغلبية مسلمة، فقد حُكِمَت برؤساء نصارى أو علمانيين ينتسبون للإسلام، كان نتيجة ذلك أن الصراع قد احتدم داخل معظم هذه المجتمعات بين الحكام والجماهير المتطلعة للتعبير عن هويتها الإسلامية.

وبدلاً من أن تنشغل المجتمعات بالبناء والنهضة بعد رحيل المستعمر انشغلت بالصراع الداخلي الذي وصل إلى حد الاقتتال كما هو واقع بلدان مثل الصومال، وإثيوبيا ومالي، وكينيا ونيجيريا.

الفصل الرابع

واقع التنصير في البلدان الإفريقية

الفصل الرابع

واقع التنصير في البلدان الإفريقية

تمهيد:

نحاول من خلال هذا الفصل رصد الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية المختلفة، عبر رصد حركة التنصير في كلّ إقليم على حدة، لمعرفة الوسائل التي يستخدمها، والفئات التي يستهدفها، والمجالات التي يركّز فيها نشاطه من خلال ذكر تفاصيل هذا النشاط في الإقليم بشكل عام، ثم عرض نموذج لهذا الحراك في دول من هذا الإقليم.

وقبل أن نقسم قارة إفريقيا إلى أقاليم، لتوضيح عملية الحراك التنصيري، في كل إقليم على حدة، رأينا أن نسبق ذلك التقسيم باستعراض جدول يبيّن عدد النصارى في كل إقليم، ونسبتهم مقارنة بالسكان، ومقارنة بعدد النصارى عالميًا.

وفي البدء؛ لا بدّ من القول: إن ما سنستعرضه من أرقام ونسب - هنا - مأخوذة عن موسوعة وكيبيديا Wikipedia، وهي موسوعة غير مُجمَع على دقة المعلومات التي توردها وقيمتها، ولكن تكتسب معلوماتها قيمة في غياب المعلومات في غيرها، على كلٍّ فإننا يمكننا أن نأخذ تلك النسب والأرقام على سبيل المؤشرات لا غير.

تقدّم موسوعة وكيبيديا إحصاءات مهمة جديرة بالنظر والتأمل عن النصارى في إفريقيا، بعد أن قسمت القارة إلى خمس مناطق رئيسة، وذلك على النحو الآتي:

المنطقة	السكان	المسيحيون	نسبة المسيحيين	من نسبة المسيحيين عالميًا
شمال إفريقيا	١٦١,٩٦٣,٨٣٧	١٠,٣٥٨,٤٩٠	٦,٤٪	٠,٤٨٪
شرق إفريقيا	٢٢٥,٤٨٨,٥٦٦	١٠٥,٨٥١,٥٦٠	٤٦,٩٤٪	٨٧,٤٪

المنطقة	السكان	المسيحيون	نسبة المسيحيين	من نسبة المسيحيين عالميًا
غرب إفريقيا	٢٦٣,٩٣٥,٥٩٠	٨٥,٣٨٣,٤٧٤	٣١,٦٣٪	٣,٩٣٪
الجنوب الإفريقي	١٣٧,٠٩٢,٠١٩	٨٠,٢٧٨,٧٤٦	٥٨,٥٦٪	٣,٧٪
وسط إفريقيا	٩١,٥٦١,٨٧٥	٥٥,٦٦٨,٨١١	٦٠,٨٪	٢,٥٦٪
المجموع	٨٨٦,٠٤١,٨٨٧	٣٣٧,٥٤١,٠٨١	٣٨,١٪	٥,٢٥٪

إن القراءة الأولية للجدول أعلاه تعكس لنا الحقائق الآتية:

أولاً: أن نسبة المسيحيين في إفريقيا من جملة عدد سكان القارة هي ٣٨,١٪، و ٥,٢٥٪ من جملة المسيحيين عالميًا، والنسبة الأولى تدل على أن المنصّرين أفلحوا في أن ينصّروا أكثر من ثلث سكان القارة (ويأتي ضمنهم قدماء النصارى في مصر وإثيوبيا. وغيرهما).

ثانيًا: أن أكبر عدد للمسيحيين يوجد في إقليم شرق إفريقيا، يليه إقليم غرب إفريقيا، على الرغم من أن نسبتهم مقارنة بالسكان لكل إقليم تُعد أقل من إقليمي وسط إفريقيا والجنوب الإفريقي: اللذين يمثّلان أعلى نسبة للمسيحيين في إفريقيا مقارنة بعدد السكان لكل إقليم (٦٠,٨٪، و ٥٨,٥٦٪ على التوالي)، وذلك أن إقليمي غرب إفريقيا وشرق إفريقيا يتفوقان على إقليمي وسط إفريقيا والجنوب الإفريقي من حيث عدد السكان، وتفوّق إقليمي شرق إفريقيا وغرب إفريقيا من حيث عدد المسيحيين ربما يرجع إلى قدم حضور المسيحية وكثرة السكان في الإقليم الأول، وكثرة السكان وكثافة نشاط المنصّرين في الإقليم الثاني.

ثالثًا: أن إقليم شمال إفريقيا يضم أقلّ المسيحيين عددًا، ونسبة ضمن أقاليم قارة إفريقيا المختلفة، ويرجع هذا الأمر إلى عمليتي الأسلمة والتعريب اللتين انتظمتا، سلميًا، دول هذا الإقليم منذ وقت مبكر.

رابعًا: أن إقليم الجنوب الإفريقي يلي إقليمي شرق إفريقيا وغرب إفريقيا من حيث عدد المسيحيين: إذ يحرز المرتبة الثانية بعد إقليم وسط إفريقيا من حيث نسبة المسيحيين مقارنة بعدد السكان، وذلك أن إقليم الجنوب الإفريقي، كما سنعرف لاحقًا، لم تحظ دوله بانتشار الإسلام مثل بقية أجزاء القارة، كما أنه يُعَدّ من معاقل المسيحية بالقارة.

المبحث الأول

التنصير في شرق إفريقيا [١]

لإقليم شـــرق إفريقيا أهمية ذات أبعاد خاصة، لها دور مباشـــر في عملية اجتذاب أنظار حركة التنصير العالمية إليه، فهذا الإقليم:

أولاً: يشتمل على عدد من الأقطار ذات الوزن الديني المقدّر على مستوى إفريقيا والشرق الأوســـط، وربما العالمـــي، فإثيوبيا مثلاً تُعَدّ أقدم الدول التي دخلتهـــا اليهودية والنصرانية والإســـلام في إفريقيا، كما أنها أكبر الدول النصرانية التي ينتشر فيها المذهب الأرثوذكسي في إفريقيا.

أما كينيا التي تُعَد من الدول المهمة والمحورية لقيادة حركة التنصير في إفريقيا وجنوب غرب آسيا، فتُعد من أكبر الدول الإفريقية التي ينتشر فيها المذهب البروتستانتي.

ثانيًا: دول شرق إفريقيا مطلة ومشـــرفة على أهم الممرات المائية العالمية؛ حيث تتمتع تنزانيا وكينيا والصومال بســـواحل ممتدة على المحيـــط الهندي، كما تتمتع جيبوتي وإريتريا بموقع متميز على البحر الأحمر وباب المندب.

ثالثًا: ترتبـــط دول هذا الإقليم بعدد من الدول الغربية الكبرى، المؤثرة في إطار علاقات دينية وسياســـية، فالحضور الأمريكي ظل مرتبطًا بأبعاده البروتستانتية والسياسية في كينيا، وجنوب إثيوبيا وتنزانيا، والحضور الفرنسي مرتبط بالكاثوليك والوضع السياسي والاقتصادي فـــي جيبوتي، والحضور الإيطالي مرتبط بالكاثوليكيين الذين يشـــكّلون أقليات مقدّرة في كل دول شـــرق إفريقيا، وبخاصة إريتريا وجيبوتي وكينيا، أما الوجود البريطاني فقد ظل حاضرًا في إثيوبيا وإريتريا والصومال وكينيا وتنزانيا.. إلخ[٢].

وبعد أهمية الموقع المتميز لإقليم شرق إفريقيا؛ استفادت حركة التنصـير أيضًا من جملة السياســـات المهمة التي اتخذتها دول مفتاحية في هذا الإقليم، مثل كينيا وإثيوبيا، وقد كان لهذه السياسات التي ترتكز على إلزامية تسجيل الجمعيات والمنظمات، وربط الموافقة بمنح تراخيص المؤسســـات الإعلامية بموافقة وزارات حكومية؛ الأثر الكبير في تكبيل الجمعيات

---

(١) د. كمال محمد جاه الله، مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية.

(٢) طارق أحمد عثمان وعبد الوهاب الطيب بشير (٢٠١٠م): التنصير في شرق إفريقيا، النشاط التنصيري في إفريقيا، مرجع سابق، ص. ص (٦٧ - ١١٦)، ص. ص (٦٧ - ٦٨).

والمنظمات الإسلامية، وفي فتح الباب على مصراعيه للمنظمات والجمعيات الكنسية.

وإذا اتخذنا إثيوبيا نموذجًا في هذا المضمار؛ فإن السلطات في هذه الدولة تشترط تسجيل الجمعيات الإسلامية، وتوجب التجديد لها كل ثلاث سنوات، بل نجد أن هذه السلطات تعيّن شخصيات ضعيفة في إدارة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (الذي أُنشئ في عام ١٩٩٨م)، مما جعل هذا المجلس ضعيفًا، لا يقدّم للمسلمين والإسلام والتعليم الإسلامي ما يتناسب مع عددهم، ومع دورهم التاريخي والحضاري.

أما كينيا، وهي دولة محورية في الإقليم، تسيطر عليها حكومة مسيحية، فقد فرضت وألزمت كل المنظمات على القيام بالتسجيل لدى مسجّل المنظمات.

وقد خدمت هذه السياسة عملية التنصير في اتجاهين:

أولاً: فتحت الباب واسعًا للمنظمات والجمعيات المسيحية؛ لأنها تمثّل دين الدولة، خصوصًا المذهب البروتستانتي.

ثانيًا: وضعت العقبات والعراقيل أمام تسجيل المنظمات والجمعيات الإسلامية، ومن ثمّ وصمتها بعدم شرعيتها، وحظر عملها[1].

هذا، ومن ضمن السياسات التي اتخذتها حكومة كينيا، والتي استفادت منها حركة التنصير، موافقة وزارة المعلومات والاتصالات الإقليمية على منح تراخيص البث الإذاعي والتلفزيوني لعدد من الجمعيات المسيحية والإسلامية، وعلى إثر ذلك قامت الكنيسة الكاثوليكية بعمل إذاعة، وأغلب الظن أن الإمكانات المادية وقفت حجرة عثرة أمام الجمعيات والمنظمات الإسلامية من الاستفادة من هذه السياسة.

إن المطّلع على أهم وسائل التنصير في إقليم شرق إفريقيا ليقف على وسيلتين مهمتين، هما:

١- التنصير عن طريق التعليم.

٢- التنصير عن طريق الصحة والعلاج.

ففي هذا الإقليم تسيطر الكنيسة على مؤسسات التعليم المختلفة في غالبية الأقطار. كما وجدت المنظمات العالمية المختلفة بغيتها في استغلال أوضاع الإقليم، وما يتعرض له من كوارث طبيعية وبشرية.

إن التعليم في دولة مثل كينيا، وهي دولة تتميز بوجود أميّة عالية، كما تشير بعض المصادر، تسيطر عليه مؤسساتها الكنسية، مشيرة إلى أن ٩٥٪ من البرامج التعليمية تقوم بها الكنيسة، فلا غرو أن نقرأ أن الكنيسة معنية ببناء المدارس، وتتحاز في بنائها بالمناطق

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٧.

ذات التمركز المسيحي، كما أن الكنيسة في كينيا مهمومة بدراسة اللغات المحلية لترجمة الإنجيل إليها.

ومن جانب آخر: نجد أن المنظمات العالمية تنشط في هذا الإقليم متخذة من القضايا والمشكلات التي يمر بها ذريعة للتدخل وممارسة عملية التنصير، ولا عجب بعد ذلك أن يكون هناك حضور كبير لمنظمات عالمية، مثل: الصليب الأحمر الدولي، وأطباء بلاد حدود، والرؤية العالمية.. إلخ، وكلها تقوم بالتبشير عبر تقديم خدمة الصحة والعلاج، وعبر بناء المستوصفات والوحدات العلاجية ودور كفالة الأيتام.

مهما يكن من أمر: فإن الحراك التنصيري يبلغ مداه في هذا الإقليم في دولتين هما إثيوبيا وكينيا. أما الأولى فلأنها أكبر الدول المسيحية إفريقيًا، في مجال المذهب الأرثوذكسي، بالإضافة إلى رمزيتها الدينية بصفتها أول دولة إفريقية تدخلها الديانات السماوية الثلاث، علاوة على كثرة سكانها وتنوعها الإثني. وأما كينيا فلأنها من الدول المحورية في هذا الإقليم، ولموقعها الاستراتيجي، إضافة إلى أنها أكبر الدول الإفريقية من حيث المذهب البروتستانتي.

الحراك التنصيري في شرق إفريقيا

(إريتريا نموذجًا)[١]

أول هجمة تنصيرية عرفتها إريتريا من الأوروبيين كانت عام ١٥٤٠م، حين دخل البرتغاليون مدينة «مصوع»، وحوّلوا أحد مساجدها إلى كنيسة[٢]، وذلك حين أنزل «استيفانو دا جاما» إلى «مصوع» قوة تبلغ ٤٠٠ جندي بقيادة شقيقه «كرستوفر»[٣].

ثم توافدت إليها بعد ذلك الإرساليات التنصيرية بمختلف جنسياتها، فوصل إليها العازاريون الفرنسيون، وسبق وجودهم فيها الإيطاليون، وكان المنصِّر الفرنسي «أبونا بيكار» هو أول من وصل «كرن»، ودخلها عن طريق بلاد «المنسع»، وهكذا دخلت المسيحية الكاثوليكية «كرن» لتحلّ محلّ المسيحية القبطية قبل أن تصل إلى «أسمرا».

وفي ظل الوجود الإيطالي ظل العازاريون الفرنسيون يتمتعون بسلطات واسعة، حتى إن «فارديناندو مارتيني» عبّر عن قلقه «من السلطة المعطاة للرهبان الفرنسيين وحدهم على الأقلية الكاثوليكية، في «سجنيتي» و «أكلي جوزاي» »[٤].

تحدّث «أدولفو روسي» عن بعثة «لازاريستي» التي كانت في منطقة «تانتروي كرن» بقوله: «ولها مدرسة لتعليم السكان المحليين، يتخذها بعض الرهبان وسيلة للتبشير... وتمتلك هذه البعثة مطبعة صغيرة، تطبع فيها كتب التعليم المسيحي، وكتب العبادة باللغة المحلية، وبعض القرارات التي يصدرها حاكم البلاد»[٥].

وتضايق «أدولفو» من رئاسة الفرنسيين لهذه البعثة مستنكرًا ذلك: لكون المستعمرة مستعمرة إيطالية، وحكّامها الطليان، وفي هذا يقول معبّرًا عن امتعاضه وشدّة غضبه: «وعندما يزور البعثة مواطن إيطالي لأول مرة قد يصيبه شعور بغيض حين يرى أن البعثة يديرها الراهب الفرنسي الأب «كوليو»، وهو رجل طويل وفظّ، يقطن في هذا البقاع منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، ولا يهتم بالسيارة، واللغة الفرنسية هي لغة البعثة، ويتحدّث بها عادة

---

(١) د. جلال الدين محمد صالح، أكاديمي إريتري وأستاذ مشارك بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض.

(٢) انظر: عثمان صالح سبي: تاريخ إريتريا، ص ٦٤.

(٣) حراز، رجب: إريتريا الحديثة، ص ٢٩.

(٤) انظر: إريتريا في إفريقيا الإيطالية، ص ١٢٣.

(٥) إريتريا اليوم، ص ٨٢.

الطلاب الشباب الكهنة»[١].

ثم يلحّ على أن تكون البعثة تحت إدارة كهنة ورهبان إيطاليين، فيقول: «ولكن حكّام إريتريا اليوم هم الإيطاليون، وينبغي -سواء أكان ذلك حسنًا أم سيئًا- بذل كلّ جهد؛ ليكون على رأس هذه البعثات كهنة أو رهبان من الإيطاليين، وإلا فإن ما سنكسبه من ناحية مضحّين من أجله بالكثير؛ سنفقده من ناحية أخرى، وقد علمت أيضًا أن الأخوات الراهبات اللواتي يدرن مدرسة لأولاد السكان المحليين، ترأسهن راهبة فرنسية»[٢].

ثم أخرج الإيطاليون الفرنسيين فيما بعد، ربما لتنافس استعماري، وإلى تأثيرهم يعزو «فردينادو» تمرد «بهتا حقوس» إلى الإيطاليين، فهو قد تنصّر واعتنق الكاثوليكية على يد الرهبان الفرنسيين، بعد أن كان مسلمًا، وفيه يقول «فرديناندو مارتيني» في كتابه المذكور: «مسلم اعتنق الكاثوليكية مع زوجته... يقال: إن العازاريين الفرنسيين هم الذين أثاروه ضدنا -يعني ضد الإيطاليين-، وقد ساءهم إخراجهم من إريتريا، وهذا ممكن: لأن «بهتا حقوس» كان يحب العازاريين الذين اعتنق على أيديهم الديانة الكاثوليكية»[٣].

ومما يهمنا ذكره هنا هو أن الجنرال «باراتييري» حاكم إريتريا الإيطالي كان بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٩٤م موجودًا في «كرن» عندما بلغه تمرّد «بهتا حقوس»، ومن «كرن» أبرق إلى الميجر «توسللي» في «أسمرا» آمرًا إياه بالزحف إلى «سجنيتي» لقمع ثورة «بهتا حقوس».»[٤].

و«بهتا حقوس» هذا وُلد في «سجنيتي» عاصمة «أكلي جوزاي»، وكان حاكمًا لإقليم «أكلي جوزاي»، وفي عام ١٨٧١م قتل «الفيتوراي إيمبي» أحد أقارب «يوحانس»، وهرب لاجئًا إلى منطقة الحباب في الساحل الشمالي من إريتريا[٥].

كان «بهتا حقوس» من حلفاء الطليان قبل أن يتمرّد عليهم، ويشق عصا الطاعة، وكانت له وحدة ضمن الوحدات الإيطالية؛ حيث يقول «أدولفو» : «إن وحدة «بهتا حقوس» وحدها تكلّف في مسيرتها هذه خمسمائة ليرة يوميًا.. إن «بهتا حقوس» يعتنق المذهب الكاثوليكي، وعندما يتوقف للراحة أثناء المسيرة الطويلة تحت ظلال بعض الأشجار يحيط به عدد من الرجال المسلحين باعتبارهم حرس شرف، وما أن يجلس حتى يحيط به الخدم؛ ليقدّم أحدهم اللحم المشوي، والآخر يقطّعه له قطعًا صغيرة، وآخر يقدّم له كأس الطج، ورابع يقدم له كأس

(١) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٢) إريتريا اليوم، ص ٨٢.

(٣) إريتريا في إفريقيا الإيطالية، ص ١٠٢ - ١٠٥.

(٤) حراز، رجب: التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا، ص ٣٧٨.

(٥) حراز، رجب، المصدر نفسه، ص ٣٧٦.

الشراب المليء بالعسل المخمّر مضافًا إليه عطر بعض الأعشاب»[١].

ووفقًا لما ذكره «ألم سجد» أنه كان يقوم بممارسة النهب والسلب، ونتيجة لذلك يرى فيه بعض سكان المرتفعات: أحد أولئك الأشخاص الذين تركوا أثرًا سيئًا في حياتهم[٢].

وحرّض العازاريون الفرنسيون «بهتا حقوس» على هذه الثورة وهذا التمرد عن طريق أحد القساوسة الكاثوليك الإريتريين، وهو الكاهن «شيفلا مريام» من «أشرا»، وتمكّن هذا الكاهن من ترتيب اجتماع سري بين «الرأس منجشا» حاكم تجراي و «بهتا حقوس»، وفي هذا اللقاء السرّي حصل الاتفاق على هذه الثورة وهذا التمرد على الطليان الذين تفاجئوا به في منتصف ديسمبر ١٨٩٤م[٣].

هكذا ندرك أن للرهبان الفرنسيين وجودًا سابقًا للإيطاليين في مدينة «كرن»، وأن للغة الفرنسية وجودًا سابقًا على اللغة الإيطالية، وأن الطرفين كانا يقومان بدور سياسي تنافسي ضمن المخطط الاستعماري، مستغلين الدين في خدمة أهداف استعمارية، إيطالية أو فرنسية.

وما زالت آثار الإرسالية الفرنسية التنصيرية باقية فيها حتى الآن، فهم أول من أنشأ أول مدرسة تنصيرية في «كرن»، وتقع هذه المدرسة في «كرن لعالاي»، وما زالت حتى هذه اللحظة تقوم بنشاطها التعليمي على الأسس التي قامت عليها، وتُسمّى «مدرسة قدوس مكئيل».

بعد ذلك صارت الغلبة للبعثات الكاثوليكية الإيطالية التي نشطت وتكاثرت بكثافة، وأنشأت مدارس تنصيرية عديدة، في أزمنة مختلفة، ومما عرفناه من هذه المدارس مدرسة «سانتا أنتونيو»، ومن هذه المجموعات التنصيرية التي عرفتها أرض البجوس «مجموعة لاسالي» في «كرن لعالاي»، أسّسها قساوسة إيطاليون.

كذلك جاءت لاحقًا المجموعات البروتستانتية، ورئاستها في مدينة «جلب» منطقة «المنسع»، ولها فرع في «كرن»، وقساوستهم سويديون، وكانت مدارسهم مفتوحة للجميع، وخرّجت العديد من الطلبة، بعضهم واصل في المدارس الوسطى الحكومية، ومن أشهر قساوستها المنصّر «رودين».

ويعود وجودهم إلى عام ١٨٩٤م، حيث كان المنصّر السويدي «رودين» وزوجته يعملان في «جلب» ومعهما ابنتهما؛ كما يقول «أدولفو» مشيرًا إلى دورها في ترجمة الكتاب المقدّس إلى اللغة المحلية: «يقيم السنيور رودن هنا [يقصد جلب] مع زوجته السويدية، وابنته

---

(١) إريتريا اليوم، ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) ألم سجد: لن نفترق، ج ١ ص ٥٩.

(٣) حراز، رجب، مصدر سابق، ص ٣٧٧.

الشـــقراء التي وُلدت في «جلب»، وتترجم إلى لغة «التجري» الكتاب المقدّس والتوراة بذكاء ونباهة فائقين، وهي تقارن النص باســـتمرار مع النصـــوص العبرية، واليونانية، واللاتينية، والإنكليزية، والسويدية، والإيطالية، كما جمعت أجمل الأغاني الشعبية لقبائل «المنسع» بلغة «التجري»[١].

وحســـبما ذكر «روسي» كان ســـكان «جلب» وقتها ٧٠٠٠ نسمة، وكان لدى البعثة السويدية ستة عشر شابًا محليًا، يدرسون اللغة الإيطالية، بالإضافة إلى أشياء أخرى[٢].

وإلى جانب صور القديسين، كالعذراء مريم والمسيح عيسى عليهما السلام، كانت أماكن العبادة التابعة للبعثة الســـويدية تعلّق فيها صورة ملك السويد، وملك إيطاليا، ففي وصف له لمكان العبادة الذي دخله «روسي» في «محلاب» يوم ٢٨ يناير ١٨٩٤م يقول: «وعلى الجدران خريطتان ولوحتان زيتيتان، تمثّلان يســـوع وصعوده إلى السماء، وصورًا لملك إيطاليا، وملك السويد»[٣].

ويبـــدو أن «جيوفاني اســـتيلا» وصاحبه «جيزبـــي» هما أول مَن وطـــئ أرض «كرن» من الإيطاليين، حيث وصلا إليها عام ١٨٥١م، أي قبل دخول الاســـتعمار الإيطالي بـ(٣٨) ســـنة، و«أسّسا فيها إرسالية عزارية، وتولى فيها «استيلا» مهمة التنصير. حتى طرده منها «مينزنجر» عام ١٨٦٩م»[٤].

ولأن القوى الاســـتعمارية كانت تتنافس فيما بينها للاستيلاء على «كرن»: فإن «جيوفاني اســـتيلا» عمل بكلّ حماســـة لمصلحة الفرنســـيين، وعنـــه يقول المؤرّخ الأوروبي «ســـفين رينســـون»Seven Rupenson : «لقد كان تفكير «استيلا» الذي أسّس البعثة في «بجوس» عـــام ١٨٥٢م يبدو من الوهلة الأولى أنه لا يصب على أنه يمثّـــل الجماعة الكاثوليكية فقط، بل يمثّل محمية أو مســـتعمرة أوروبية أيضًا، إذ أكّد أن شعوب «بجوس» و «منسع» هي شعوب مســـتقلة، وأنهم نتيجة استقلالهم وعقيدتهم الكاثوليكية سوف يسعون لطلب حماية الحكومة الفرنســـية ضد غزوات النائب [يعني في مصوع] وحاكم تاكا [يعني كسلا]، وإذا حصلوا على هذه الحماية، فإن كثيرًا من القبائل المجاورة لهم، مثل البني عامر، والباريا، والكوناما، سوف تحذو حذوهم»[٥].

---

(١) إريتريا اليوم، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٤) انظر: الدكتور بيان صالح: الدعوة الإسلامية في إريتريا، ص٣١١ - ٣١٢.

(٥) بقاء الاستقلال الإثيوبي، ص١٦٨.

وهو الذي أكّد للحكومة الإيطالية إمكانية إنشـــاء مستعمرة مزدهرة في إقليم الحماسين الذي يعد من أغنى أقاليم الحبشة وأكثرها خصوبة[١].

وحســـب كلام «ألكس هاملتون»: فإن أول مدرسة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية في «كرن» بدأت عام ١٨٥٩م، غير أنها لم تستمر إلى ما بعد عام ١٩١١م[٢].

ويظهر لي أن إبعاد «استيلا» الإيطالي، من طرف «مينزنيجر» السويسري، من منطقة «كرن»، إنما هو لدواعي التنافس الاستعماري بين القوى الأوروبية، بمختلف مؤسّساتها الاستعمارية، وما المؤسّســـة التنصيرية إلا واحدة من هذه المؤسّسات الداعمة للاستعمار، والمهيأة له، أو الزاحفة معه، لنشـــر ثقافته، ومعتقداته، حتى يكون له بين الشـــعوب التي يحكمها مَن يواليه، ويرتبط به ثقافيًا، ومعلوم أن المنصّر الإيطالي «ســـابيتو» هو الذي مهّد لدخول الاســـتعمار الإيطالي إريتريا، وذلك حين اشترى قطعة أرض في «عصب» باسم شركة «روباتينو».

على كلٍّ: عندما دخل «استيلا» منطقة «كرن» اتبع خطة هادئة ومتأنية في سلوكه التنصيري بين «البجوس»: إذ بدأ أول ما بدأ بـ«التوفيق بين أُسر البجوس المتنازعة، وإزالة أسباب النزاع بينهم.. وعلّمهم احترام روابط الزواج، وعدم المساس بأملاك الغير، وبذلك أصبح بعد بضعة أعوام الواعظ، والحكم لســـكان إقليم البجوس، الذي كان يتكوّن من سبع عشرة قرية، وعشر قرى أخرى مجاورة لهذا الإقليم»[٣].

وكان «اســـتيلا» هذا يقوم ببث الفتن الطائفيـــة، كما كان القنصل البريطاني لدى الأتراك في «مصوع» يأتي للمنخفضات الإريترية ليؤيد «خلافات الأب «ســـتيلا» للكاثوليك في مناطق الهضاب ضد جيرانهم المسلمين في المناطق المنخفضة»[٤].

وهذا يشير إلى أن الأب «استيلا» Stella كان يحمل أهدافًا سياسية، تخدم جهة استعمارية بعينها، وهي هنا فرنسا. وللدلالة على ذلك يكفي أن نعلم أن «كونت بيسون»Count Bisson وهو فرنســـي اقترح على مصر فتح إثيوبيا في العام التالي سنة ١٨٦٤م، على أن يبدأ هو بتدريب القوات المصرية طبقًا للأسلوب الفرنسي، موضحًا أن ظروف غزو إثيوبيا قد أصبحت مهيّأة بفضل البعثة التبشـــيرية الكاثوليكية التي أرسل رئيسها الأب «اســـتيلا» Stella في «بجوس» برسالة ذكر له فيها أنه اتفق مع سكّان «تيجراي» على القيام بثورة ضد «تيودور»[٥].

---

(١) يحيى، جلال، مهنا، محمد نصر: مشكلة القرن الإفريقي، ص ٦٧.

(2) Keren The Essence of Eritrea p 23

(٣) د. بيان صالح: المصدر نفسه.

(٤) محمد، إبراهيم عبد المجيد: ثيودور الثاني إمبراطور إثيوبيا، ص ٤٠.

(٥) أنتوني سوريال عبد السيد، مصدر سابق، ص ٦٢.

وقد اتخذت الإرسالية التبشيرية الكاثوليكية من «بجوس» منطلقًا لها بسبب افتقارها إلى «الأمان الديني والسياسي في «تجراي»، وهو ما دفعها إلى الاتجاه شمالاً والاستقرار في «بجوس»، وقاد الإرسالية إلى منطقتها الجديدة «بجوس» كلٌّ من «سابيتو» و «استيلا»، وذلك في سنة ١٨٥٢م، حيث نقلوا مركز الإرسالية من «عدوة» إلى «أكلي جوزاي»[١].

وما زال في «أسمرا» «معهد كمبوني» الذي يُعدّ معلمًا من معالم التنصير في إريتريا، يحمل اسم المنصّر الإيطالي الشهير «دانيال كمبوني» حامل شعار «نحو إفريقيا مسيحية».

وطبقًا لما نشرته مجلة (World wide) الصادرة عن كنيسة جنوب إفريقيا، عدد أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٣م: «وُلد «دانيال كمبوني» في «ليمون سول جادرا» بشمال إيطاليا في ١٥ من مارس عام ١٨٣١م، وقادته فكرة التنصير للالتحاق بمعهد «دون مازا» في «فيرونا»، في العام ١٨٤٩م، وغادر إلى إفريقيا بعد ذلك بثلاث سنوات... تُوفي في الخرطوم بالسودان في ١٠ من أكتوبر عام ١٨٨١م».

لقد أدرك «كمبوني»، ورفاقه المنصّرون، بمختلف مدارسهم ومذاهبهم التنصيرية، أهمية التعليم في بناء أجيال تؤمن برسالتهم، وتسعى في نشرها، ومن هنا أصبح لهم وجود مبكّر في الساحة التعليمية، في كلّ إفريقيا، وعلى أساس من هذا الوجود تولّوا أمر التعليم في إريتريا منذ أمد بعيد.

وأكّد لي بعض الذين درسوا في «مدرسة كمبوني» بـ «أسمرا» أن قوانين «مدرسة كمبوني» كانت تمنع الطلاب المسلمين من إقامة الصلاة في المدرسة، أو الاستئذان للخروج لأدائها، وكانت لا تعطّل الدراسة يوم الجمعة، ولا لصلاة عيدي الفطر والأضحى، وتُنذر طلابها المسلمين من الغياب بمناسبة العيد، وإلا تعرّضوا للفصل النهائي من الدراسة، ولهذا كان الطلاب يتوجّهون صبيحة يوم العيد إلى المدرسة في حين يتوجّه آباؤهم إلى المصلّى لأداء صلاة العيد، وبلا شك؛ كان هذا من مقتضيات التربية التنصيرية في عزل الشاب المسلم عن قيم الإسلام قدر المستطاع.

يقول ممتاز العارف متحدثًا عن نشاط الإرساليات التنصيرية التعليمي في إريتريا: «وكانت الإرساليات التبشيرية الأجنبية التي بدأ نشاطها وفعالياتها منذ أمد بعيد: تُعنَى بتوفير قسط بسيط من الثقافة الدينية، وتعليم اللغات الأجنبية، في المدارس الخاصة الملحقة بها، وكان في مقدمة هذه الإرساليات البعثة السويدية البروتستانتية الإيفانجيلية»[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) إريتريا بين احتلالين، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

وشـــيّد العازاريون كما يذكر «فردينانـدو» «كنائس في كرن، وشينارا، وأكروا، والستيانا»[١]، وأقاموا «مطبعة تطبع كتب الصلاة بلغة الجئز...»، وكان منهم «الأب بيكار» الذي اســتقر في «بلاد البجــوس... وكان قد طرده إليها رأس ألولا»[٢]، وقد حاز هذا المنصّر على نفوذ قوي، مكّنــه «طيلة المدة التــي حكم فيها المصريون من منع بناء جامع فــي المنطقة»[٣]، أي: في منطقة «البجوس».

وفي سبيل دعم نشــاطهم التنصيري في منطقة «كرن» امتلك «الآباء العازاريون مصنعين كبيرين أحدهما في شــينارا، والثانــي في موداكا»[٤]، أيضًا امتلكوا أرضًا واســعة، وظّفوها للإنتــاج الزراعي، منها تلك «الأرض التي كانوا يملكونها على ضفة نهر عنســبة، وكانت تنتج فاكهة وخضارًا، يقدّر ثمنها بـ ٨٠٠٠ ليرة، وتكلّف العناية بهذه الأرض ٢٠٠٠ ليرة سنويًا»[٥].

واستغلوا حاجة أهل المنطقة إلى المال، وغفلتهم عن إدراك أهمية الأرض، وقيمتها العالية في الشأن الاقتصادي لهم ولأبنائهم من بعدهم، فأغروهم ببيع أرض واسعة مقابل ثمن بخس، من ذلك أن «ميخائيل» ترجمان البجوس -كما يســمّيه فردينانـدو- باع «قطعة أرض واســعة مقابل بقرة، وهذه الأرض تكفي لإقامة عشرين عائلة مزارعة بكاملها في إيطاليا»[٦].

نشاط المنصرين التعليمي بعد جلاء الاستعمار الأوروبي:

بعد جلاء المســتعمر الأوروبي من إريتريا بخروج الإنجليز منها، ومجيء العهد الفيدرالي، ثم الاســتعماري الإثيوبي، الــذي امتد لثلاثين عامًا، ظلت الإرســاليات التنصيرية تعمل في ميدان التعليم بكل نشاط وحيوية، ومن مدارسها في «كرن» المدرسة الإيطالية، وهي مدرسة تنصيريــة، المعلمات فيها راهبات، يُعرفن بأزيائهــن، وصلبانهن تلمع على صدورهن، وظلت تستقبل أبناء المسلمين.

كذلك توجد في «كرن لعالاي» مدرســة تنصيرية تُعرف بـ«مدرســة بادري»، تبدأ الحصة الأولى فيها بمحاضرة تنصيرية، وفي منطقة «دعاري» توجد مدرسة تنصيرية للصم والبكم.

كما أن منصّرًا كنديًا أو أمريكيًا -لســت على يقين من جنســيته-، يُدعى «مســتر هيو»

---

(١) إريتريا في إفريقيا الإيطالية، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

أسّس دارًا لرعاية الأيتام والمشرّدين، وكان يلتقطهم من الطرقات، ويلقي عنهم ملابسهم الرثّة والبالية، ويعالج أمراضهم، ويُسكنهم في مساكن داخلية، ثم يقوم بتدريسهم وتعليمهم، وقد خرّج منهم عددًا كبيرًا، وكان يأتي بالمسلمين منهم إلى جامع «كرن» لصلاة الجمعة، ليبدي حياديته، ويُعَمِّي على أهدافه التنصيرية، في حين أنه بفعله هذا إنما كان يؤدي واجبه التنصيري، وذلك من خلال نَصْرَنَة الإسلام في أذهان طلابه، وذلك باختصار العبادة في ساعة واحدة من يوم الجمعة، كما هي العبادة في العقيدة النصرانية، تكون في ساعة واحدة من يوم الأحد، ثم لا علاقة لهؤلاء الطلاب بالمسجد في الأوقات الأخرى من باقي الأيام، إنها أوقات خالصة له، ينفرد بهم ليوجّههم وفق رسالته التنصيرية.

وأجاد كثير من هؤلاء المنصّرين اللغات المحلية، فتحدّث عدد منهم «التجري»، و «البلين»، وبهذا كسروا حاجز اللغة، وتمكّنوا من مخاطبة الناس باللغة التي يفهمونها، ومعلوم عن المنصّر الهولندي «باندبل» أنه أقام بمدينة «بورتسودان»، وتعلم اللغة البيجاوية، ثم قام بترجمة الإنجيل إليها.

مستر ديفيد المنصر البريطاني:

وفي الستينيات عرف والدي - رحمه الله -، وهو الشيخ محمد صالح حاج حامد منشئ مؤسّسة «أصحاب اليمين التعليمية» بـ «كرن»، منصّرًا بريطانيًا يُدعى مستر «ديفيد»، وكان يجيد العربية بحكم أنه عاش فترة في مصر، وكان نشاطه التنصيري منصبًا على مناطق «الكنامة»، كما كان نشاط الوالد أيضًا يستهدفهم، وكانت المنافسة بينهما قوية، ومع ذلك كان يصطحب الوالد معه في سيارته كلما سافر من «كرن» إلى مناطق «البازا»، وكان يتحدّث معه عن أثر النشاط الإسلامي في «الكنامة»، ويقول له: «لا جدوى من إضاعة الوقت معهم، فإنهم لا يُقبلون على الإسلام»، بينما كان الوالد يؤكّد له خلاف ذلك، مستدلاً ببعض الظواهر الاجتماعية، ويقول له: «إنهم فقط يحتاجون إلى بعض المجهودات في تعريفهم الإسلام، وعندها لن يقبلوا به بديلاً».

كان هذا المنصّر حريصًا على تعلّم لغة «التجرايت»، وطلب من الوالد تعليمه مقابل مبلغ من المال، ثم قيل له: إن أنظف نطق للغة «التجرايت» هو نطق «المنسع»، عندها قرّر أن يدرسها على رجال من «المنسع».

نتائج التنصير الخطيرة:

لقد استطاعت الإرسالية التنصيرية خلال الحقبة الإيطالية أن تحمل عددًا من المسلمين على الارتداد والتنصر، وإن كنا لا نملك إحصائية دقيقة عنهم، ومهما كان: فإن أسماء أحفاد

هؤلاء المتنصّرين في العهد الإيطالي نجدها مقرونة بأسماء إسلامية، أما خلال الحقبة الإثيوبية فلم يسجّل لنا التاريخ نجاح هذه الإرساليات في تنصير نسبة كبيرة من الطلاب المسلمين الدارسين في مدارسها.

لكن من المعلوم لكلّ باحث في الشأن التنصيري أن هدف الإرساليات التنصيرية ليس هو إدخال الفرد المسلم في النصرانية فحسب، وإن كان لهذا الهدف أولويته وأهميته، وإنما أيضًا تحييده، وتشكيكه في الإسلام، إن لم يمكن تنصيره، باعتبار ذلك هدفًا تاليًا وتابعًا.

ونستطيع أن نجزم بأنها حقّقت على هذا الصعيد نجاحًا معتبرًا؛ إذ أوجدت - كما يقول صموئيل زويمر المنصِّر الأمريكي الشهير - من خلال مدارسها التنصيرية والمدارس العلمانية أجيالاً من الشباب المعادي لعقيدته وقيمه، وأجيالاً من الشباب الجاهل بإسلامه، المحايد الذي لا تثيره أية هجمة معادية يتعرض لها الإسلام، أيًا كانت طبيعتها، بل لجهله بالإسلام يردّد شبهات المنصّرين وتشويشاتهم التي تلقّفها سماعًا، من هنا وهناك، من دون وعي بمصدرها الأصلي، ومقصدها التخريبي، فتراه إذا ما تعامل مع الفكر الإسلامي أثار بعض الشُّبه الرائجة، ظنًا منه أنها منقصة تُحرج الإسلام والمسلمين، وذلك لجهله بها، وبمدلولها الشرعي، فهو أُميّ بالنسبة لقراءة الإسلام، وفهمه، لا يُحسن قراءة كتاب إسلامي، ولا فهم نصٍّ شرعي، ومع ذلك إذا ما ناقش الفكرة الإسلامية أثار هذه الشُّبه، لمجرد أن ما يثيره المنصّرون والمستشرقون شوَّش على فهمه المحدود القاصر، وهو عاجز عن ردّه.

مثل هؤلاء هم نتاج الهدف الثاني للنشاط التنصيري التعليمي والفكري في عالمنا الإسلامي بشكل عام، وقُطرنا الإريتري بشكل خاص، وهم الذين يعاني منهم الإسلام في إريتريا.

أضف إلى ذلك مناهج التربية العلمانية التي تلتقي المناهج التنصيرية في تحييد المسلم وتشكيكه، وإخراجه إلى الحياة جاهلاً بالإسلام ومحايدًا، يفتقد الغيرة على عقيدته الإسلامية، إن لم يكن مهاجمًا لها، ومشاركًا في العدوان عليها، ليس يهوديًا، ولا نصرانيًا، ولكنّه مهيأ لكلّ فكر وافد من ملاحدة الغرب وفلاسفتهم، ينقاد له بلا مقاومة فكرية، ولا معارضة نفسية.

نموذج لمقاومة المد التنصيري في إريتريا:

ظلت الإرساليات التنصيرية تلاحق الإريتريين حتى في مواطن هجرتهم بعد اللجوء، مستغلة حاجتهم إلى التعليم والصحة، بحكم أنهم يعيشون في معسكرات اللجوء التي ينقصها الكثير من ضرورات الحياة السليمة.

وممـا يحضرني ذكره هنا قصة الأخ محمد إدريس حدقي الذي وُلد بـ «كرن»، وعائلته معروفة من أشهر العوائل الكرنية، وعاش أول حياته في «كرن» إلى أن لجأت أسرته إلى

السودان، وعاش معها بمعسكر «ود الحليو».

كان محمد هذا يعاني ضعفًا حادًا في بصره كأخويه الكبيرين داود وعمر -رحمهما الله-. استغل فيه المنصِّرون حالته هذه، فحاولوا تنصيره من خلال تقديم خدمات تعليمية مهمّة له، إلا أنه كان فطنًا، وخلفيته الإسلامية تُعد كافية في حمايته من التنصّر. فما انطلت عليه غايتهم من هذه الخدمات التي يقدّمونها له، مع أنه كان شديد النقد للمؤسّسات الإسلامية بسبب عجزها وعدم كفايتها في تقديم خدمات مماثلة.

على كلٍّ؛ استطاع الشاب محمد أن يستفيد من خدمات المنصِّرين هذه من غير أن يغيّر عقيدته، فتخصّص في الأدب الإنجليزي، وعاد إلى «كرن» قبل التحرير، وقام بمبادرة تعليم المكفوفين الكرنيين في منزله بـ«كرن»، بعد أن عرفهم، وزارهم في منازلهم، ويعيش الآن بقية حياته في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد إخفاقه في فتح مدرسة تعليم المكفوفين بـ«كرن»؛ إذ حالت أنظمة الجبهة الشعبية بينه وبين جمع تبرعات من الخارج لفتح هذه المدرسة، الأمر الذي اضطره إلى مغادرة الديار والعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، عصمه الله في دينه وصحته.

المبحث الثاني

التنصير في غرب إفريقيا

يتميز إقليم غرب إفريقيا الذي يضم عددًا كبيرًا من الأقطار بمميزات مهمة، يأتي ضمنها أن هذا الإقليم من مناطق قارة إفريقيا التي ظلت بمنأى عن المسيحية القديمة، غير الأوروبية المصدر. كما أن بعض مناطقه شهدت قيام مراكز إسلامية تاريخية كان لها الأثر الكبير ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، هذا بالإضافة إلى أن هذا الإقليم يكثر فيه أتباع الديانات التقليدية.

يرى د. قيصر موسى الزين، الذي قدّم دراسة عن حركة التنصير في غرب إفريقيا. أن هناك تداخلاً بين المتغيرات من جغرافية وسكانية وتاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية مع ظاهرة التنصير وتغلغل نشاط الكنيسة والمؤسسات ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بها، وتأثير ذلك في مجتمعات غرب إفريقيا.

وأشار ضمن ذلك إلى أن خريطة التنصير وتأثيراته الاجتماعية والثقافية تزداد عادة باتجاه الجنوب الجغرافي في الإقليم، وذلك بسبب ضعف وجود التأثيرات الإسلامية ذات الجذور التاريخية التي تغلغلت في شمال الإقليم بحكم المجاورة للعالم الإسلامي القديم – قبل العصر الحديث –، خصوصًا من المغرب العربي[1]، وذلك أن دولاً مثل الكاميرون وغامبيا، ومالي والنيجر، ذات أغلبية مسلمة يضعف فيها التبشير المسيحي كثيرًا؛ مقارنة مع دول أخرى في الإقليم مثل بنين وبوركينافاسو وغانا.

يتركّز الحراك التنصيري في هذا الإقليم بصورة أساسية في مضمار التعليم، خصوصًا في بنين، حيث يمثل التعليم أداة مهمة، وقد ساهمت الكنيسة الكاثوليكية في تأسيس مجتمع النخبة في البلاد، خصوصًا في توغو التي اعتمدت الكنيسة فيها على إنشاء المدارس، ووفقًا لكثير من المصادر: فإن النصيب الأكبر في هذا المجال للكاثوليك، وقد بلغ عدد المدارس الكاثوليكية في توغو عام ١٩٧٦م ٢٣٦ مدرسة ابتدائية، و٢٩ مدرسة ثانوية[2]. ومن المتوقع

(١) قيصر موسى الزين (٢٠١٠م): التنصير في غرب إفريقيا، النشاط التنصيري في إفريقيا، مرجع سابق، ص. ص (١١٩ – ١٦٥)، ص ١٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٥.

أن يكون هذا العدد قد زاد زيادات واضحة في السنوات الأخيرة.

ولعل من أهم ما تقوم به الكنيسة وأخطره في إقليم غرب إفريقيا، والتي كسبت بمرور الزمن تقاليد راسخة في العمل التنصيري، أنها في الآونة الأخيرة دعت إلى مراجعة تلك التقاليد وتطويرها، خصوصًا بعد عام ٢٠٠٨م، وذلك طمعًا في اتّباع أساليب إبداعية جديدة تستلهم روح عصر العولمة وعصر المعلومات والإنترنت وغير ذلك لنشر المسيحية، وقد تبع ذلك، بل لازمه، إعلان حاجة الكنيسة القوية إلى منصّرين وقساوسة من ثقافات إفريقية، وذلك للمساعدة في توصيل المسيحية، وكأنها جزء من الثقافة الإفريقية المحلية، وليس بوصفها دينًا قادمًا من خارج القارة!

ولعل أهم ما طُرح في هذا المجال من مراجعات للتقاليد القديمة ما يمكن أن نسميه خطة جديدة لتنشيط حركة التنصير في الإقليم، وضخ دماء جديدة فيها.

ويمكن استعراض أهم ما طُرح في الآتي:

أولاً: إطلاق إذاعة تنصيرية جديدة قوية: ونعني به راديو حول العالم، الذي بدأ البث الفعلي من مركز بث قوي جديد يقع في جمهورية بنين، وذلك ابتداء من الأول من فبراير ٢٠٠٨م، وهذه الإذاعة تُبث بأربعين لغة، وتصل إلى ٦٣ مليون مستمع في إقليم غرب إفريقيا.

ثانيًا: إعداد حملة تنصيرية مبتكرة: في شكل رحلة، في أكتوبر ٢٠١٠م، من مراكز في المغرب إلى كازابلانكا، إلى داكار في السنغال، وبانجول في غامبيا، وفري تاون في سيراليون، وغانا وغيرها من أقطار غرب إفريقيا، وقد تم استقطاب الدعم لإعداد البرنامج.

ثالثًا: الدعاية السوداء: تروّج بعض المواقع الإلكترونية التابعة للكنيسة أخبارًا عن سوء معاملة القساوسة المسيحيين في غرب إفريقيا، إما بواسطة المسلمين، على المستوى الشعبي، أو بواسطة بعض الدول التي تضع قيودًا على نشاط الكنيسة لأسباب سياسية.

رابعًا: التغلغل الإسرائيلي في التنصير: هناك منظمة عاملة في غرب إفريقيا تنشط في الاهتمام بالدراسات اليهودية المسيحية، تسمّي نفسها «مسيحيون من أجل إسرائيل العالمية»[١].

خامسًا: المؤتمرات: من بين أهم المؤتمرات التي عُقدت في العام ٢٠٠٨م بغرب إفريقيا «مؤتمر منظمة حركة لوساني للقادة الشباب»، وقد عُقد في أبوجا بنيجيريا، ومن أهم المحاور التي ناقشها المؤتمر: الأيتام والأطفال في أوضاع هشة، والصلاة من أجل نجاح التنصير في الإقليم (غرب إفريقيا)، والذين لم يتم الوصول إليهم لتحقيق خلاصهم[٢].

وتبقى زيارة البابا بندكتوس السادس عشر إلى الكاميرون في مارس ٢٠٠٩م من الزيارات

---

(١) انظر: الموقع: www.c4israel.org/westafrica

(٢) انظر: قيصر موسى الزين (٢٠١٠م): «التنصير في غرب إفريقيا»، مرجع سابق، ص. ص (١٦٢ -١٦٣).

المهمـــة التي تدفع حركة التنصير، ليس في الكاميرون وحدها، لكن في إفريقيا عمومًا، وفي إقليم غـــرب إفريقيا على وجه الخصوص، وذلك أن البابا قابـــل فعاليات كثيرة، وتطرّق إلى موضوعـــات مهمة، وأظهـــر فيها انحيازًا واضحًا لمختلف القضايا الملحّة على ســـاحة قارة إفريقيا.

والذي يرصد تلك الزيارة لبابا الفاتيكان يعلم تمام العلم أن هذا الرجل استخدم في لقاءاته خطابًا دينيًا مؤثرًا وعاطفيًا، حاول من خلاله امتلاك قلوب سامعيه عبر الإشارة المباشرة إلى ما تعانيه قارة إفريقيا التي ينتشر فيها، بحسب قوله، ضحايا المجاعات، والأمراض، والظلم، والصراعات الدموية بين الإخوة، وكل أشكال العنف التي ما زالت، وللأسف، تصيب الراشدين والأطفال، دون أن تستثني المرسلين، والكهنة والرهبان والراهبات والمتطوعين[١].

والراصد لتلك الزيارة التي اســـتمرت عدة أيام يدرك خطورة الموضوعات التي تطرّق لها بابا الفاتيكان، ويأتي في جملتها، قضايا: المســـاواة بين المرأة والرجل، والتمييز ضد المرأة، والاســـتغلال الجنسي، وأعمال العنف، والبطالة، ومشـــكلة الإيدز، ومشكلات الأسرة، والبدع والخرافات، وأصحاب الحاجات الخاصة.. إلخ[٢].

وفي رأيي أن التطرّق إلى مثل هذه القضايا من شأنه أن يُكسب حركة التنصير مزيدًا من الأنصار، كما يشـــي بمدى مواكبة الحراك التنصيري للقضايا الملحّة لإنســـان إفريقيا الذي يعاني الأمرين، فأصبح كالغريق الذي يبحث عن أيّ أمل لنجاته.

---

(١) للتفاصيـــل الكاملة لزيارة بابـــا الفاتيكان لإفريقيا (الكاميرون وأنغولا) في ١٧- ٢٣ مـــارس ٢٠٠٩م، انظر الموقع: www.zenit.org

(٢) انظر: الموقع نفسه.

الحراك التنصيري في غرب إفريقيا

(بوركينافاسو نموذجًا)[١]

بوركينافاسو إحدى الدول الواقعة في غرب القارة الإفريقية، وهي من دول السَّهل الإفريقي، ويقدر نسبة المسلمين بـ٥٥,٩٪، ويقدر نسبة الكاثوليك بـ١٦,٦٪، والبروستانت ٣٪ والوثنيين ٢٣,٧٪، وأتباع الدِّيانات الأخرى يمثلون ٢,٠٪ في حين أنَّ العلمانيين يمثلون ٠,٦٪ [٢].

اللُّغةُ الرَّسمية للدولة هي الفرنسية، كانت تسمى بوركينافاسو باسم (فُولْتَا العُلْيا) غير أنَّه عقب قيام ثورة ٤ أغسطس عام ١٩٨٣م شهدتْ الدولة تغييرات كثيرة منها تغيير اسمها لتصبح (بوركينافاسو) ويعني (أرض الأحرار)[٣].

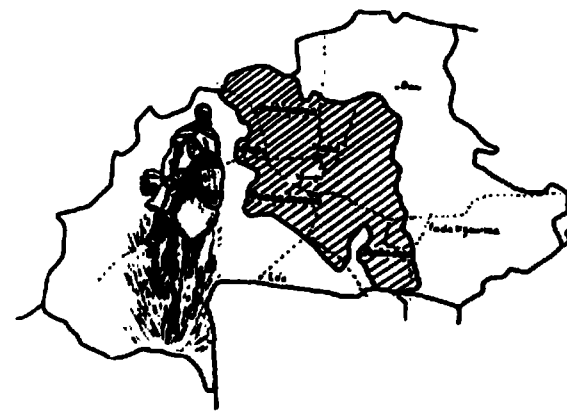

خريطة توضح أكثر الأماكن انتشارًا ونفوذًا للكنيسة في بوركينافاسو بشكل عام

بداية التنصير في بوركينافاسو:

التَّنصير هو الدَّعوة إلى الدِّيانة النَّصرانية، ومحاولة نشر عقيدتها في أنحاء العالم بالوسائل

---

(١) محمَّد الأمين سَوَادُغُو، باحث بوركينبي ومتخصص في الشُّؤون الإفريقية.

(٢) ينظر: notre nationalite burkinabe ou burkinabe ، jonas hien ، le pays N :3228،2004،p19

(٣) ينظـــر Du analyse ،2000 ،instutite national de la stutique et du recensement demographie: recensement general de la poplation et l habitat de 1996، vol :1 Des sultants Ouagadougou،p54

والإرســـاليات المتنوعة، باسم «التَّبشـــير» الَّذي هو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها بمختلف الوسائل والأســـاليب، ليتخذوا النَّصرانية دينًا لهم وإرجاع المُهَرْطَقين إلى الإيمان بما تقرره الكنيسة المعنية، وهذا ينطبق على التَّبشير في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث[١].

التَّنصير يدُّق ناقوس الخطر في بوركينافاســـو يتهدد الأمـــن الرّوحي للمجتمع البوركيني المسلم: فأنشطته تتزايد في كل يوم: فإذا كان المدَّ التَّنصيريّ حركة مستمرة في بوركينافاسو قبل استقلالها ١٩٦٠م إلى هذا الوقت، فإنّ هذه السنوات الأخيرة تشهد نشاطًا تنصيريًا أكثرَ من بقيَّة الســـنوات السابقة: تشـــهد الدولة تحركات من أساطيل حركات التَّنصير مستخدمةً في ذلك شـــتَّى السُّبل والوســـائل، وهدفُها الأســـاس الرَّغْبة في توثيق عُرى التَّواصُل لكسْب أتباع جدّد وعرقلة تعميم نور الإســـلام وشعاع شمسها، فكوَّنت جبهات صلبة عند التَّنصريين والمُستعربين وســـخرت كافة الإمكانيات المادِّية والمعنويَّة للخوض في الحرب على الإسلام بشكل سِرِّي ومُعلن في هذا البلد المسلم.

لقد وصف المنصرون بوركينافاسو بـ(الابنة البكر للكنيسة الكاثوليكية في غرب إفريقيا)، وربَّما تزوجَّت الآن وأنجبت أطفالاً، وأصبحوا مملكة خطيرة على المســـلمين في هذه الدولة، وربَّما هي عقيمة وشـــاخت فتسعى لجمع أطفال وهو خير للمسلمين، وأعتقد أنَّ حالها تتفق مع الصفة الثَّانية وهي العقم: حيث خيَّبت آمالهم بهذا البكر التي لم تنجب شيئًا لهم.

تعود الجذور التَّاريخية للحركات التَّنصيريَّة في بوركينافاسو إلى نهاية القرن التَّاسع عشر الميلادي، وهي فترة توسع الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا، وكان في طليعة المنصرين الَّذين دخلوا بوركينافاســـو أفراد من خلية «الآبـــاء البيض» التي كوّنها (الكردينال لافجيري)، وكان في مقدّمة هؤلاء المنصرين «الأب هجارد»، وبعد أن تمكَّنوا من تأســـيس مركز ســـيغو بمالي عام ١٩٩٥م انطلقوا نحو بوركينافاســـو فوصلـــوا إلى وغادوغو عام ١٨٩٩م ثم واصلوا زَحفهم باتجاه مدينة كُوبيلاَ (Koupéla)، ومن هناك تم تأسيس أوَّل مركز تنصيريّ في الأراضي البوركينية عام ١٩٠٠م، ثم مركز واغادوغو عام ١٩٠١م[٢].

لقد كان يسعى الاستعمار الفرنسي ليحتل بوركينافاسو المركز الرئيس للتنصير في غرب إفريقيا، وتحويلها إلى ســـياج منيع وجدار فولاذي في وجه الإسلام: لأنَّ مملكة موسي وقتئذٍ كانت متميِّزة بكثافة ســـكانها وبنظمها السِّياســـي والاجتماعي والحربي المتماسك، ولذلك

(١) ينظر: النصرانية والتنصير، محمد عثمان صالح. جامعة أم درمان الإســـلامية، د.ط.ت، ص: ٣١. وداثرة معارف القرن العشرين، محمَّد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧١م، ج٢، ص: ٢٠٥.

(٢) ينظر: Eglise et pouvoire au soudan Français et Missionnairesdans la boucle du Niger(1885-1945)، Joseph- Roger de Benoist،Editions Karthala paris،p33.

ركّزت عليها الأساطيل التَّنصيريَّة بشكل كبير، وجلبوا منهم عددًا كبيرًا إلى النصرانية.

دائمًا يستغل المنصرون النوازل كالكوارث، والجفاف، والأمراض الوبائية، وغيرها؛ لتنصير الشُّعوب لقد استغلوا الكوارث الطبيعية التي خيَّمت على المجتمع البوركيني؛ نتيجة للجفاف المتعاقبة على بعضها البعض وصفت بسنوات (القحط والمجاعة) في عام: ١٩١٥ و١٩١٦م و ١٩٢٩ و١٩٣٤، والجفاف في عام: (١٩١٨و١٩٧٣م) لتنشيط دائرة نشاطاتها، وترسيخ عملياتها التَّنصيريَّة، فالجفاف والجوع في منطقة السَّاحل، وهي منطقة يكون فيها المسلمون الأغلبية السَّاحقة، أعطى فرصة لهذه المنظمات التَّنصيريَّة، وأمثالها للظهور والتَّحرك: حيث تقوم بتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية في الوقت الَّذي تكاد الهيئات الإسلامية تختفي فيه عن السَّاحة نفسها[1].

المنظمات التنصيريّة في بوركينافاسو:

ينتشر في بوركينافاسو ما يفوق (٤٠٠) منظمة تنصيرية موزعة بين المدن والقرى والأرياف والأمصار تحت مسميات متعدَّدة، فيها كنائس ومنظمات خيرية وتعليمية وصحية، على رأس المنظمات الكنسية «مجلس الكنائس العالمي»، و«منظمات أوكسفام»، و«الكنيسة الإصلاحية الأمريكية»، و«جنود يسوع»، و«الحملة العالمية للتنصير»، و«منظمة التَّبشير البُروتَسْتَنْتِي»، و«رابطة الرُّهبان لتنصير الشُّعوب»، و«منظمة الإغاثة الكاثوليكية الأمريكية»، و«البعثة المعمدانية الأمريكية»، و«الاتحاد المسيحي للشبان العالمية»، و«هيئة الكنائس البروتستانت» وغيرها من المنظمات.

وتمارس هذه المنظمات أنشطتها بشكل مكثَّف في جميع أنحاء البلاد لدرجة أنَّ الفاتيكان قد دشَّن خلال العام الماضي «جامعة عالمية» في مدينة (بُوبُوجُولاَسُو) العاصمة الاقتصادية للدولة لتخريج القادة وصناع القرار في البلاد، بل إنَّه اختار هذه المدينة للوجود الإسلامي الكاسح بها، ومحاولة اختراق صفوف المسلمين، بل إنَّ الفاتيكان قد راعى مشروع بناء أكبر كنيسة في إفريقيا في البلاد بعد كنيسة (أبيدجان) في جمهورية كوت ديفوار المجاورة لتعزيز وجوده، وتقوم هذه المنظمات بدور كبير في كبح جماح أيّ جهود دعوية لدرجة أنَّهم يرسلون وفودًا تنصيريَّة كبيرة إذا وصل إلى مسامعهم أنَّ هناك داعية إسلاميًا ينشط في هذه المنطقة، فضلاً عن عدم التَّورع عن إنشاء كنيسة إذا أخبروا ببناء المسلمين مسجدًا رغم تراجع أعداد النَّصارى في البلاد، لدرجة أنَّهم مع الوثنيين لا يشكلون إلاَّ ٢٠٪ من مجمل

(١) ينظر: Les Christianismes en pays San (1913-1973) ،Maxime Emmanuel Zamane، Mémoire de Maitrise، Université de Ouagadougou، département d› Histoire et d› Archéologie، 1990، p72.

سكان البلاد، يتحركون بخفة مع دراية، ويتخذون وسائل متنوعة وفاعلة، لتمرير رسائلهم ويستفيدون من كل صراعات بين المسلمين[١].

أشهر الكنائس انتشارًا ونفوذًا في بوركينافاسو

١- الكنائس الكاثوليكية:

إنَّ الكاثوليكية أكثر الطوائف النصرانية أتباعًا في بوركينافاسو، والسِّر في ذلك هو أنَّ دولة فرنسا وكبار قادتها يؤيدون هذه الكنيسة، وبوركينافاسو مستعمرة فرنسية، اللُّغة الفرنسية فيها فرنسية والعُملة فيها فرنك سيفا، والدُّستور فرنسي التَّكوين، فمعظم النَّصارى ينتمون إليها، فنالت حظًا وافرًا من التَّرويج والتَّزعم والشَّعبية أكثر من زميلاتها بسبب الدَّعم الفرنسي المستعمر، وبالتَّالي فيها من الفُسحة والتَّمتع واللَّهو بشكل واسع، وكونها أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتُدْعَى (أم الكنائس ومعلمتُها)، تتمثل في عدة كنائس، تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة (بابا فاتيكان) عليها، وسميت بـ(الكنيسة الغربية) أو (الكنيسة اللاتينية) لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصَّة.

أمَّا كلمة كاثوليك فتعني «الجامعة»، وأوَّل من استعملها للدعوة لتأييد الكنيسة مقابل حركات الخُروج على مفاهيمها وعقائدها - الهرطقة - أسقُف أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثَّاني الميلادي[٢].

٢- الكنائس البروتستانتية:

تأتي هذه الكنائس الدَّرجة الثَّانية من حيث الأتباع والانتشار. وهي أكبر الطوائف النَّصرانيَّة في بوركينافاسو لها سبق الدُّخول إلى البلد، تدعمها الإنجليز والألمان، وهي لا تخضع لباب الفاتيكان في روما، وهي أصلاً ثاني أكبر المذاهب النصرانية في العالم، وتشرف عليهم في بوركينافاسو الكنيسة المعمدانية، ويدعون أنَّهم متمسكون ويظهرون بمظاهر المتشدِّدين أكثر من الكاثوليك، ويرجع السَّبب إلى نشأتها حيث ظهرتْ في أوائل القرن السَّادس عشر، واسم «البروتستانتية» تعني: نحلة الاحتجاج أو الاعتراض، وأطلق على معتنقيها اسم «البروتستانت» أي: المحتجين أو المعترضين.

---

(١) ينظر: les résultats d'une étude de Compassion internationale portant sur la cartographie des églises et missions évangéliques du Burkina Faso à Ouagadougou restitué، le jeudi 4 juillet 2013

(٢) ينظر: دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٠٠م، ج٢، ص:٣٢٠.

ويُطلق أيضًا على مجموعة الكنائس الغربية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لحركة الإصلاح التي تزعمها «مارتن لُوثِرْ» و«كَالْفِن» في ألمانيا، وقد دعا إلى ظهور هذه النِّحْلَة أمور كثيرة يرجع أهمّها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها من الانحرافات الأخلاقية والفكريَّة. فظهروا كدعاة إلى الإصلاح الدِّيني وتخليص النَّصرانية من هذه الأدران المختلفة، ولهم أتباع في بوركينافاسو.

٣- الكنائس الأُرْثُوذكسية:

تأتي في الدرجة الثَّالثة في بوركينافاسو من حيث الأتباع والانتشار، وهي قوِّية لها دعم داخلي وخارجي كزميلاتها الكاثوليكية والبروتستانت، ومعنى كلمة أرثوذكس باليونانية (الرَّأي القويم والإيمان المستقيم)، والأرثوذكسيون هم المسيحيون الشَّرقيون الَّذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية الرُّومانية عام ١٠٥٤م، وكوَّنوا كنيسة مستقلة في القسطنطينية عُرفتْ باسم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية[١]، ولديهم أتباع في بوركينافاسو.

٤- الكنائس المارونية:

تأتي الدَّرجة الرَّابعة من حيث الأتباع في بوركينافاسو، وهي آخر كنيسة أو طائفة وصلتْ إلى بوركينافاسو، انحصرتْ على أناس معنيين، وهم اللُّبنانيون، وليس لديهم كنائس في بوركينافاسو الخاصّة بهم، ومعروف أنَّ اللُّبناني في بوركينافاسو إمّا شيعي اثنا عشري وهم الأكثرية، أو نصراني ينتمي إلى طائفة المارونية، وهم قلَّة، وأوَّل اهتماماتهم النَّشاط التِّجاري، وغالبًا ما يذهبون إلى كنائس الطوائف الأخرى للعبادة.

والمارونية طائفة من طوائف النَّصارى الكاثوليك الشَّرقيين، يرون أنَّ للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة. ينتسبون إلى (القديس مَارُون)، ويعرفون باسم المَوَارِنَة متخذين من لبنان مركزًا لهم، وفيها أكبر كنيسة لهم[٢].

نسبة الكنائس والقساوسة في بوركينافاسو:

أكَّدت لجنة المسح الكنسي في دراستها «الكَرْتُغرافية» لمعرفة عدد الكنائس في بوركينافاسو، أنّ بوركينافاسو تحتضن بين أحشائها (٦٠٩٤) كنيسة، وفيها (٦١٦٦) قسيسًا، بينهم (٣٩) امرأة، وتمثل المناطق الرِّيفية النسبة الأكبر حيث تصل إلى ما فوق (٨, ٧٩٪)

---

(١) ينظر: Archbishop Michael، «Orthodox Theology،» The Greek Theological Review 3 (Summer: 1957): p. 13

(٢) ينظر: النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، مطبعة التقدم، القاهرة، ط١٩٧٧،١م، ص٣٠. ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، مطبعة يوسف، مصر، ط٣، ١٣٨٥هـ -١٩٦٦م، ص: ١٢٢.

من مجموع الكنائس في الدولة. ومعظمها في المناطق الشـــرقية التي تضم لوحدها (١٠٧٣) كنيســـة من بين مجموع الكنائس، كما تمثل (١١٢) كنيسة في مناطق «السّاحل». أما المناطق الوســـطى فهـــي أكبر المناطق تقاربًا بين الكنائس من حيث المســـافة تجـــد في كل (١٠٠) كيلومتر (٢٤) كنيسة، وهي نتائج إحصائية توصلت إليها اتحاد الكنائس والإرساليات التّنصرية الإقليمية والدولية المعروف بـ (Fédération des églises et missions évangéliques) (FEME)[١].

وتوصلتْ الدّراســـة إلى أنَّ الكنائس التّابعة للاتحاد (FEME) بما فيها الكاثوليكية موجودة في كل مناطق الدولة، وبلغ مجموع كنائسها (٥٧٥٣) كنيسة، ويقدر عدد قساوستها بـ(٨، ٥٣٪) من مجموع القساوسة في كنائس بوركينافاسو.

بينما الكنائس المعمدانية البروستانتية تمثل (١٢٨) كنيسة فقط. وللمركز الدولي الكنسي (٢١٣) كنيســـة، وُزعتْ في جميع أنحاء الدولـــة. ومن المؤكد وجود العديد من الكنائس وهي عبارة عن بيوت ومحلات خيام يجتمع فيها منصرون ومتنصرون.

كما كشـــفتْ الوثيقة أنَّ (٣، ٥٤٪) من مجموع القساوسة لم يتجاوز مستوياتهم التّعليمية الابتدائية والمتوســـطة، وأنّ (٦، ٣٦٪) منهم لم يتجاوز دراســـاتهم المرحلـــة الثّانوية، بينما (٢، ١٣٪) منهم من الّذين واصلوا الدّراسات الجامعية فما فوقها[٢].

هذه أرقام وإحصائيات من النصارى أنفســـهم والتّرويج أحد وسائلهم في التّنصير: فهذه الأرقام والنتائج فيها نســـبة من الصحة، ولكنها مبالـــغ فيها، وهي مادّة دعاية إعلامية للنشـــاط الكنســـي في بوركينافاســـو. فالحقيقة التي يمكن أخذهـــا وراء هذه الإحصائيات المغرضة هي أنّ هناك هجمة شرسة تُعدّ لها أساطيل التّنصير لهذا البلد المسلم، ومع ذلك نجد أنَّ النتائج الاستقطابية أقلّ من التّكلفة التي وُضعتْ لتنفيذ هذا الغرض، وهذا ما يخيّب آمال المؤسســـات التنصيرية في هذا البلد على الرّغم من كثرتها التي تقدر بـ٤٠٠ مؤسســـة تنصيريـــة التي تعمل في مختلف القطاعات التّعليمية والسياســـية، والاجتماعية والرّياضية، والطبّية والخيريّة، والقطاع الحكومي والخاص والمؤسسات الإعلامية.

يدرك بوضوح كل من يتابع النشـــاط التّنصيري في بوركينافاســـو أنّه ازداد نشـــاطًا مع

---

(١) ينظـــر: les résultats d'une étude de Compassion internationale portant sur la cartographie des églises et missions évangéliques du Burkina Faso à Ouagadougou restitué، le jeudi 4 juillet 2013

(٢) ينظـــر: les résultats d'une étude de Compassion internationale portant sur la cartographie des églises et missions évangéliques du Burkina Faso à Ouagadougou restitué، le jeudi 4 juillet 2013

بداية القرن العشـــرين بواســـطة الكاثوليك مع أعداد محدودة من المواطنين. وقد أدّى ذلك إلى مقاومة وطنية ضدّ الحركة التَّبشـــيرية التَّنصيرية الكاثوليكية، وخلال النصف الأوّل من القرن العشـــرين شمل التبشير التَّنصيري الكاثوليكي معظم البلاد، وأخذ يتوسع على حساب المعتقدات المحلية، وخاصَّة (الوثنية) في ظل تصاعد انتشار الإسلام بشكل كبير، ثم انضم إلى الحركة التَّبشـــيرية التَّنصيرية البروتستانتية بقية الطوائف، وارتبطت أهم المراكز التَّبشيرية في بوركينافاسو بالكنائس العالمية، مثل اتحاد الكنائس والمراكز التَّبشيرية الوطنية.

وتملك الكنيســـة الكاثوليكية وحدها في بوركينافاســـو أكثر من (٣٠) مؤسسة تعليمية في بوركينافاسو، وتســـتخدم هي والكنيسة البروتســـتانتية إذاعة وتلفزيون الدولة الرَّسمي لبث البرامج التَّبشيرية[١].

(١) ينظر: Une Église qui libère، P. Gabriel Pichard، 1999: P ;12 -32

أسباب ترحيب الناس بالمنظمات التَّنصيرية

قديمًا في بوركينافاسو

يرجع أهم أسباب ترحيب الناس بهذه الكنائس إلى أسباب عدّة، منها:

١- الفَقْر المدقع:

إنَّ الظروف الاقتصاديَّة التي كانت يعيشها الشَّعب البوركيني قاسية وقت دخول الاستعمار والمنصريين، عاش الشَّعب مضطهدًا في ظل وطأة الاستعمار، وكانوا يتطلعون إلى الحرية، وخدعتهم مختلف المؤسسات المنصريين أكّدوا لهم أنَّهم جاءوا لإنقاذهم من ويلات الفقر والاضطهاد والبطش من المستعمرين وتجار العبيد، فمعلوم أنَّ (٣٩٪) من سكان إفريقيا يعانون من سوء التَّغذية وهي أكبر نسبة في العالم، رغم أنَّ إفريقيا فيها الموارد والطاقات البشريَّة والطبيعية التي وهبها الله، إلاَّ أنَّها لم ينتفع أهلها بها، بل انتفع بها أناس غُرَباء عنها[١].

وقد أدرك المنصرون هذا الأمر، وأدركوا الصعوبة التي يعانيها كثير من الشعب البوركيني، فعملوا على تنصير بعضهم من خلال تقديم المعونات لهم، وقد جبلت النفوس على حبّ من أحسن إليها والقبول منه كما قال الشَّاعر:

أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبَهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ[٢]

٢- الجهل المظلم:

الجهل خطرٌ على الأمم، به تهزم، كما أنّها ترتفع بالتَّعليم إلى القمم، فإنَّه تنحط بالجهل وهو من أعظم وسائل التخلف الثقافي والاجتماعي والسياسي في إفريقيا.

فالشعب البوركيني كانوا مثل مواد خام طيِّب ومرن يسهل استخدامها لصناعة ما تريد، بل يمكن توظيفها كما يريد المخطط لها، الجاهل يرحب بكل ناعق: ظنًا منه أنّه يخرجه من مصائبه، فاشتغل التَّنصير طيب الشَّعب البوركيني مع جهلهم لاستخراج بعضهم في قالب تنصيري بطراز خاص، فلم يدرك من تنصر أنّه يهرب من (الاستعمار الديمغرافي) إلى

---

(١) ينظر: التَّنصير في إفريقيا .. الأهداف، والوسائل، وسبل المواجهة، مانع بن حماد الجهني، مجلة البيان، العدد: ١٥٣، ص: ٥٨.

(٢) قصيدة «عنوان الحكم»، للشاعر الأديب أبي الفتح البستي (٣٣٠-٤٠٠ هـ).

(الاســـتغلال الديني)، وهو أشدّ خطورة من الاستعمار الديمغرافي التي تزول بثورة السَّكاكين والأحجار والبنادق، بينما (الاســـتغلال الديني) لا يزول إلا بثـــورة الدماغ والعقول، وهي من أصعب الثورات في عالم المغريات، ولأنَّ (الاستغلال الدِّيني) مرتبط بالتَّعليم يذيب شخصية الآخر كليًا.

يقول محمَّد إقبال: «إنَّ التَّعليم هو الحامض الَّذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكوّنها كما يشـــاء، إنَّ هذا الحامض هو أشدُّ قوّةً وتأثيرًا من أيّ مادَّة كيماوية، وهو الَّذي يستطيع أن يُحوِّل جبلاً شامخًا إلى كومة تراب»[1]، وقد أدرك المنصّرون أهمية التَّعليم خاصَّة في القارة التي ينتشر فيها الجهل فعملوا على إيجاد المدارس والجامعات التَّنصيريَّة بغية تخريج أجيالاً مُستقبلية تخدم طموحاتهم وتكون تبعًا وتلاميذ لهم إلى الأبد.

٣- الأمراض الفتاكة:

إنَّ الثَّالوث الخطير الَّذي يوجد في بوركينافاســـو، وفي إفريقيا بشـــكل عام، هو: الفقر، والجهل، والمـــرض، ممَّا يجعل منها مرتعًا خصبًا للمنصِّرين، فقد اســـتغلوا علاج الأمراض المنتشـــرة في البلد لتحقيق أطماعهم، وحوَّلوا المهنة الإنسانية إلى وسيلة لاستغلال مآسي النَّاس، ولذلك تجدهم يقولون: «حيثُ تجد بشـــرًا تجد آلامًا، وحيثُ تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب: فهناك فرصة مناسبة للتنصير»[2].

ولهذا فإنَّ المعالجة في بوركينافاسو كانت لا تبدأ قبل أنْ يركع المرضى، ويسألوا المسيح أن يشـــفيهم، وهي رسالة مباشرة للمريض أنَّ الَّذي جاء بالشفاء هو المسيح، وعليه أن يتوكل عليه في جميع أموره الدنيوية، وهكذا فعلوا مع المجانين والَّذين يعانون من الأمراض العقلية.

٤- أسلمة المجتمع:

دخل الإسلام في بوركينافاسو في القرن الثَّامن عشر الميلادي، ومن المؤرخين مَن يرجّح القرن التَّاسع عشـــر لدخول الإسلام في بوركينافاسو، ودخل من المناطق الغربية وبالتحديد مدينة بوبوجولاسو العاصمة الاقتصاديَّة الحالية لبوركينافاسو، وثاني أكبر المدن في الدولة.

---

(١) الصراع بين الفكرة الإســـلامية والفكرة الغربية. أبو الحســـن الندوي. دار النـــدوة. لبنان. ط٢. ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م. ص: ١٦٩.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية. عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي». مصطفى الخالدي وعمر فروخ. ص: ٥٩.

والمناطق الشّـمالية (يَاتِنْفَا)[١]. يرى المنصّرون أنَّ هـذا خطر على تقدم تنصيرهم في ظل قبول ضعيف من الشَّـعب، يقول «بلس»: «إنَّ الدِّين الإسـلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التَّنصير بالنَّصرانيَّة في إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا: لأنَّ انتشار الإنجيل لا يجد معارضًا لا من جهل السُّـكان، ولا من وثنيتهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية»[٢].

وكما أنَّ فرنسـا راعية الكنيسة الكاثوليكية في بوركينافاسو وفي مستعمراتها: فقد كثفت جهودها لمحاربة الإسـلام فيها، يقول فيليب فونداسـي: «إنَّ من الضروري لفرنسا أنْ تقاوم الإسـلام في هذا العالم، وأنْ تنتهج سياسة عدائية للإسـلام، وأنْ تحاول على الأقل إيقاف انتشاره»[٣].

ويقول البابا بولس الثَّاني في كلمته التي ألقاها بمناسـبة ذكرى ميلاد المسـيح في روما عام ١٩٩٣م لدى استقباله وفد أساقفة إفريقيا «ستكون لكم كنيسة إفريقية منكم وإليكم، وآن لإفريقيا أن تنهض، وتقوم بمهمتها الرَّبانية، وعليكم أيُّها الأسـاقفة تقع مسئولية عظيمة، ألاَّ وهي تنصير إفريقيا كلِّها في عام ٢٠٠٠م»[٤].

---

(١) ينظر: التاريخ الإسـلامي، التاريخ المعاصر غربي إفريقيا، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مجلد:١٥، ص: ١٤٩.

(٢) الغارة على العالم الإسـلامي، آل شـاتوليه، ترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، دار المدني، د.ط، ت، ص: ٣٥- ٣٦.

(٣) الاسـتعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء، دراسة عن الإسلام في إفريقيا السوداء الفرنسية، فيليب فونداسي، ترجمة: دار الفكر لاسلامي، د.ط.ت. ص:٢.

(٤) التنصير في إفريقيا.. الأهداف، والوسائل. وسبل المواجهة. مانع بن حماد الجهني، مجلة البيان. جمادى الأولى ١٤٢١هـ أغسطس - ٢٠٠٠م، العدد: ١٥٣، ص: ٥٨ -٦٨.

أهم رجال التَّنصير في بوركينافاسو قبل الاستقلال

وصل التنصير إلى بوركينافاسو في القرن التَّاسع عشر الميلادي، وكان في طليعة المنصرين، مجموعة من «الآباء البيض»، التي كوّنها «الكردنال لافيجري» كما أشرتُ سابقًا.

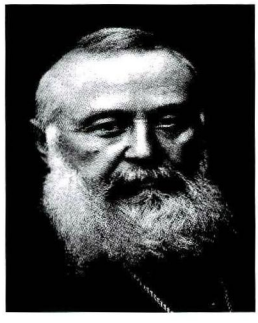

١- الكَارْدينال شَارل مارِسيال أَلْمان لاَفيجِري (Lavageriy):

لا يُذكر تاريخ التَّنصير في إفريقيا إلاَّ وذُكر معها المنصّر كاردينال لافيجري، كان من كبار المنصرين في القارة، وله اليد الطولى في التَّنصير في غرب إفريقيا بما فيها بوركينافاسو؛ فهو الَّذي نادى بفكرة «تنصير غرب إفريقيا بأيادٍ فرنسية»، وُلد في بيُون بفرنسا عام ١٨٢٥م، أُرسل إلى الجزائر عام ١٨٦٧م وقيل ١٩٦٨م كأسقف للكنيسة الكاثوليكية، ثم أصبح ممثلاً رسوليًا لبلاد ما وراء الصَّحراء عام ١٨٦٨م[١].

وهو مؤسس جمعية المبشرين بالجزائر التي تُعرف باسم (الآباء البيض) و(أخوات البيض)، من أخطر الَّذين توغلوا في إفريقيا شمالها وغربها، وفي الشام أيضًا وخاصة في المستعمرات الفرنسية، وهو فرنسي له رؤية ممنهجة لنصرنة المستعمرات الفرنسية، توفي عام ١٨٩٢م، ونُقلت جثته إلى روما عام ١٩٦٤م، يُعتبر هذا الكردينال الأب الروحي للتنصير في غرب إفريقيا، وإليه يرجع فكرة التنصير، وهو المخطِّط له، فالآباء البيض مروا من بوَّابته وبتوجيهاته، استخدم فكرة التَّنصير كمطية لتحقيق الأهداف التي تسعى فرنسا إلى تحقيقها في تلك الأصقاع.

توغل هذا الكردينال في داخل دول ما وراء الصحراء، للتبشير بمعتقداته، فأسس «جمعية الآباء البيض»؛ للاضطلاع بهذه المهمَّة المحفوفة بالمخاطر، وأصبح الميدانُ فسيحًا أمام البعثات التَّنصيرية الفرنسية التي تنتقل متزامنة مع تحركات الجيوش النِّظامية بعد أن احتلت فرنسا غرب إفريقيا[٢].

---

(١) ينظر: الحركة الطلابية التونسية ١٩٣٧-١٩٣٩م، ضيف الله، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان-تونس،ط١، ١٩٩٩م، ص١٢ -٣٣.

(٢) ينظر: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، سالم الحاج، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١، ١٩٩١م، ج: ١، ص: ٩٠.

ركَّز هذا الكردينال على الجزائر معتبرًا الجزائر بابًا نحو القارة الإفريقية التي أرسل إليها بالفعل عددًا من البعثات التَّبشيريَّة، وذهب إلى تونس منذ سنة ١٨٧٥م، وجعل التَّعليم مقدِّمة لعمله التنصيري فيها، فأسس «معهد القديس لويس»، وغيرها من المعاهد التَّنصرية. وهو ما جعله يسمى «جاثليق.. إفريقيا»، فالحديث عن رجال التَّنصير في بوركينافاسو يبدأ به قبل غيره[1].

٢- الأب هجارد بروسبير هوغستن (Hacquard، Prosper Augustin):

يعتبر «الأب هجارد»، منصِّر الشَّعب البوركيني، كان على مقدِّمة الَّذين دخلوا بوركينافاسو من مجموعة «الآباء البيض» التي أرسلها «الكردينال لافيجري» إلى غرب إفريقيا، دخل «هجارد» ومعه ستة آباء وثلاثة إخوة في مناطق «مُوسِي Mossi» وهم أكبر قبيلة شعبية في بوركينافاسو بعد تأسيسه مركز سيغو بمالي عام ١٨٩٥م، ثم انطلق والَّذين معه نحو بوركينافاسو مروا بمناطق بوبو سكان بوبوجولاسو الأصليين وسَامُو ومروا بمدينة (لاَ La) و(ياكو Yako)، ووصلوا إلى العاصمة البوركينية واغادوغو عام ١٨٩٩م عبر (سابتنغا Sabtenga)، ثم واصلوا زحفهم نحو مدينة «كوبيلاً Koupèla » كما ذكرتُ سابقًا، ووجدوا أتباعًا، يصل عددهم (١٥٠٠- ٢٠٠٠ شخص)، فأسس أوَّل مركز للتنصير في كوبيلا ١٩٠٠/١/٢٢م، وترك فيها (الأب بيير كناك Pères Canac)، و(الأب بيير مينت Pères Menet) و(الأخ سلستن Frère Célestin) إضافة إلى الصليب الهيكلي، ثم رجع إلى العاصمة وأسس مركزًا آخر في ١٩٠١/١/١م، كما أسس ثلاثة مراكز بمثابة كنائس في مدينة(فادا انغروما Fada N›Gourma)، في فبراير ١٩٠٠م.

الأب «هجارد» هو مهندس التَّنصير في بوركينافاسو، كان مستكشِفًا قبل أنْ يتحوَّل إلى منصِّر بقيادة لافيجيري، ولد في فرنسا عام ١٨٦٠م، وطلب الانضمام إلى خلية «لافيجري» «الآباء البيض»، وبعد خمس سنوات عُيِّن قسًّا مع زملاء له في الجزائر من قبل مؤسس المجموعة (كاردينال لافيجيري)، وُصف بالشَّجاعة والرُّومانسية المفرطة، وكان يتقن العربيَّة قراءةً وكتابة، تعلمها في الجزائر، وهو كاثوليكي.

(١) ينظر: الحركة الطالبية التونسية ١٩٣٧-١٩٣٩م، محمد ضيف الله، ص: ٢٣ -١٢.

وكان من الأوائل الَّذين اهتموا بالتَّعليم في مدرسة القديس «يوجين» في الجزائر، ثم وفد إلى غرب إفريقيا كما أشرت سابقًا إلى مناطق ذات نفوذ قبائل «موسي Mossi» في بوركينافاسو ثم إلى مناطق «غورما»، مات غرقًا في الماء بين النيجر وبوركينافاسو وهو في طريقه إلى سيغو جمهورية مالي، يوم الخميس ٤/٤/ ١٩٠١م، كان عمره (٤١) سنة[١].

٣- **الأب تمبلير** Père Templier :

هو أحد المنصّرين الَّذين دخلوا في بوركينافاسو، كان طبيبًا ومدرّسًا، وكان نشطًا في مجال التَّنصير، يتقن المكر والخداع، كُلِّف بمهمّة التنصير مع زملائه في وغادوغو عام ١٩٠٤م، وبعد ٣٣ شهرًا من الخدمة أقبل عليه (٧٠٠) من المواطنين لدينه ومعتقده، كان يقدم أكثر من (٥٠) درسًا متنوعًا في برنامجه التَّنصيري، وكان نشاطه يشمل من (١٠) إلى (١٢) كيلو مترات من العاصمة، زار ما يقرب من (٢٧) قرية على بعد (٥٠) كليو مترًا من العاصمة، وكان تركيزه على أن تكون الدولة علمانية مع ترك حرية كاملة للدين النصراني، ليكون الدين الأوَّل والأخير للدولة، مع النص على ذلك في الدستور، مع الاحتفاظ بعلمانية الدولة.

عمل الأب (تمبلير) في المستشفيات للعلاج، وكان في الغالب ميدانيًا ومجانًا، وكان يدرس أيضًا في المؤسسات التَّعليمية التَّابعة للكنائس، وكان له تأثير كبير على السُّكان المحليين، ولخطورة هذا الأب لم يُعرف له تاريخ ولادته ولا وفاته[٢].

٤- **ألفريد ديبان**، Alfred Diban:

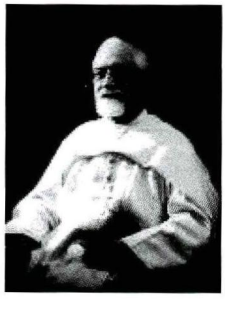

إنّ هذا الوجه الأبيض المائل إلى السُّمرة من أكبر الوجوه المثيرة في الكنيسة البوركينية الكاثوليكية، كان مدرسًا ومهندسًا وطبيبًا وعالمًا نفسانيًا؛ لارتباط حياته الوثيق بحياة الكنيسة في وقت مبكر في غرب إفريقيا عامّة وبوركينافاسو بخاصَّة، ابتداءً من

(١) ينظر: P;20 Une Église qui libère، par le P. Gabriel Pichard، 1999

(٢) ينظر: 21P; Une Église qui libère، par le P. Gabriel Pichard، 1999

سيغو في جمهورية مالي إلى واغادوغو عاصمة بوركينافاسو، وصل إلى وغادوغو ضمن وفود المنصرين المتوغلة في المنطقة والقادمة من مدينة سيغو عام ١٩٠٤م، وزار مدينة نافرونغو في بوركينافاسو عام ١٩٠٦م، وكذلك مدينة رِيُو عام ١٩١٢م، وتُومَا عام ١٩١٣م، كتب عنه المؤرخ البوركيني الشَّهير كي زربو/ ووصفه بـ « المسيحي الأوَّل لفولتا العليا»، لنشاطاته المكثفة وتنقلاته المتعدّدة، وأحبّه بعض السُّكان الذين تنصروا به، وقيل إنَّه كان يتمتع بأسلوب خاص في تنصيره، اهتم بالمسنين، وزعماء القبائل الوثنية، توفي ١٠/ مايو/١٩٨٠م[1].

٥- أسقف الأستاذ Monseigneur Lemaître:

هذا المنصّر بشكله الَّذي يميل إلى شكل المسلم، كان من أشرس المنصرين عداوة للمسلمين في بوركينافاسو، كان فيلسوفًا وسياسيًّا وعسكريًّا ومتعلمًا، اشتدت عداوته على المسلمين بدعم من الإدارة الاستعمارية المركزية في فرنسا، كان في مناطق ذات سلطة قبائل بُوبُو، وسَامُو، وتُومَا، وصل إليها في عام ١٩١٣م، كان يدرّب الوثنيين في مدرسة أسست لتعليم العقيدة النصرانية عام ١٩١٥م لمجابهة المسلمين.

وركَّز تنصيره في القبائل المتحمسة لحماية الوثنية التي يرون أنها تركة الآباء لا بد من حمايتها من خطر المسلمين الَّذين يحرقون الأصنام ويدفنونها ويطمسونها؛ يزرع في عقول السُّكان أنَّ النصرانية لا تحارب الوثنية ولا طقوسها، ولا تمانع شرب الخمر وحتَّى بعض الأصنام، بخلاف المسلمين الَّذين يحاربون الخمر الّذي يعتبر أكبر أدوات الطقوس عند بعض القبائل عند أصنامهم؛ فلا يقيم أيّ مناسبة اجتماعية سواء في الحزن أو في السرور إلاَّ والخمر أوَّل الأشياء التي تُقدم قبل كل شيء.

اهتم هذا المنصّر بالنساء والمطلقات والأرامل، حارب الزّواج التَّقليدي في القبائل والزَّواج الإسلامي يعتبرهما ظلمًا للمرأة، فرحبت به بعض النساء، فكان تركيزه إلى جانب المسنين على العنصر النسوي بشكل عام لمنح حرية لهنَّ، ومحاربة ما سماه بـ«ظاهرة هبة الفتيات»، و«الزِّواج الإجباري القبلي»، و«ظلم الإسلام للمرأة وإخضاعها لسلطة الرجل كليًّا»، أسس مركزًا له لتعليم النساء فقط عام ١٩٣٩م، وقبل ذلك أسس كنيسة عام ١٩١٩م، في مدينة «مانغا».

(١) ينظر: 21P; Une Église qui libère، par le P. Gabriel Pichard، 1999.

ثم غادر إلى «قرطاج» لمهمة تنصيرية، فناب عنه الأبMgr Thevenoud » جواني تيفينود «[١].

٦- النائب الرسولي جُواني تيفينود Mgr Thevenoud:

جواني منصّر فرنسي، مهندس في الزراعة ومتخصص في علم الاجتماع وعلم النفس والقانون والاقتصاد، كان ضمن الذين كان لهم تأثير واسع في بوركينافاسو، وُلد في فرنسا يوم ١٧/٣/ ١٨٧٨م، عُيّن رئيسًا للإرساليات في بوركينافاسو، كان له تأثير كبير في تأسيس الكنيسة بشكل عام في البلد، عاش (٤٦) سنة في وغادوغو، من ضمنها ٢٨ عام كأسقف، كان يحب الزراعة كثيرًا، وهو أوَّل من زرع شجرة (مانغا) في بوركينافاسو، وأوَّل من بنى سدًّا للمياه، كان مرشدًا قانونيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا للمنصرين البيض.

وكان يركِّز أيضًا على المسنين والنِّساء، وهو أوَّل من أسس مدرسة في مدينة (ببري pabre) عام ١٩٤٦م، التي تخرج فيها كثير من القادة منهم على سبيل المثال: أوَّل رئيس بوركينافاسو «مُورِيس يَامْوِوْغُو»، الَّذي أعلن استقلال بوركينافاسو عام ١٩٦٠م، حكم الدولة فيما بين عام ١٩٥٩م - ١٩٦٦م، وتوفي عام ١٩٩٣م.

وكذلك جوزيف كي زربو، المؤرخ البوركيني الشَّهير في العالم صاحب كتاب (إفريقيا السَّوداء)، توفي ٢٠٠٦م. توفي المنصر جواني عام ١٩٤٩م، وله العديد من المؤلفات منها: (المدرسة الإكليريكية في ببري)، (الأخوات السود)، وغيرها[٢].

٧- الأب كُوارنسون Père Goarnisson :

الأب كوارنسون، منصّر وطبيب ماهر، متعلم متقن، وهو من الشَّخصيات التَّنصيرية التي اهتمت بالجانب الطبي كثيرًا في بوركينافاسو، كان طبيب العيون، يعالج مجانًا، إلى جانب التَّعليم، اختار تعليم الأطفال، فتح مدارس الأطفال في عام ١٩٢٥م في مدينة (ببري pabre)، وتعلم اللُّغات المحلية

(١) ينظر، 1999، 23P; Une Église qui libère، par le P. Gabriel Pichard:

(٢) ينظر: 1999، 24P; Une Église qui libère، par le P. Gabriel Pichard:

وأتقنها، فتح عيادات خاصّة التَّابعة لمختلف الكنائس[١].

يلاحظ المتتبع لحركة المنصرين في بوركينافاسو وتاريخهم أنّه ازداد عدد المنصرين بين ١٩١٩م - ١٩٣٩م، بعد الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد الثَّانية؛ حيث ارتفعت من (٤٥٤٣,)، إلى (٤٦٣٧٥,)، المسيحي، وكان يعمّدون الَّذين دخلوا في دينهم، ثم إنشاء (٣٣) كنيسة في نفس الفترة وخاصة ١٩٢١م، وزاد عدد المنصرين أيضًا من ٣٩ من عام ١٩٢١م إلى ١٥١، وفي عام (١٩٢١م) تم إنشاء محافظة الرسولية في بوبوجولاسو عاصمة الاقتصادية لجمهورية بوركينافاسو، وتطوّرت نفوذ المنصرين خلال الفترة نفسها، فأسسوا كنيسة في مدينة (دَانُو) و(جِيبُوغُو) وزادوا تمددًا فوصلوا إلى مدينة (نُونَا) و(دِيدُوغُو) عام ١٩٤٧م[٢].

(١) ينظر، 1999، par le P. Gabriel Pichard، Une Église qui libère؛ 24P:

(٢) ينظر: LANGEWIESHE Katrin، 2003، Mobilités religieuses. Changements religieux au Burkina Faso، Lit Verlag، coll. « Mainzer Beiträge zur Afrika-Forschung »، 8، 438

وسائل المؤسسات والمنظمات التَّنصيريَّة في بوركينافاسو

أهم وسائل التنصير في بوركينافاسو:

هناك جملة من الوسائل التي تتخذها المؤسسات والمنظمات التنصيرية كأداة لها في تنصير الشُّعوب: تستخدم هذا الوسائل للخداع والتَّغرير والاستغلال، وأحيانًا الضغط عليهم، والاستفادة من الأزمات، بل أحيانًا يعمدون إلى صناعتها وافتعالها، وسبب ذلك أنَّ التَّنصير لا يملك الرَّصيد الفطري والعقلي، والحُجَّة والبُرهان لنشر مذاهبه، لاسيما في الأوساط الإسلامية، حيث تتسم عقيدة المسلمين بالوضوح والعقلانية، بينما تتميز العقيدة النصرانية بكثير من الغموض والألغاز والطلاسم، الأمر الَّذي يجد معه المنصرون صعوبة شديدة في إقناع المسلمين بها، ولهذا قد يمكثون للسنوات الطوال دون أن تفلح جهودهم في تحقيق أهدافها. ممَّا يضطرهم إلى اللُّجوء إلى المكر والخداع، واتخاذ أكثر من وسيلة والتي تتمثل في الأمور التَّالية:

١- الدعوة الإرسالية للأفراد:

كانت الطريقة القديمة في التَّنصير في بوركينافاسو تعتمد على دعوة الأفراد، أي: الاتصال بالفرد المراد تنصيره، والحديث معه لوجده، ومناقشة ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والثَّقافية، ثم إغراؤه بالدخول في النصرانية.

وقد لاحظ المنصرون أنَّ هذه الطريقة شديدة البطء، قليلة الجدوى، لا تؤتي أُكُلها في كل وقت، وأدركوا أنَّ من يتحولون إلى النصرانية عن طريقها يعانون من الحصار الاجتماعي من ذويهم فيردونهم إلى الإسلام أو إلى الوثنية، فلجئوا إلى ما يمكن أن يسمى بـ (التَّنصير الجماعي) الَّذي يمكن أن يتم فيه تنصير أسرة بأكملها، أو قبيلة بأكملها، أو مدينة بكل ما فيها دفعةً واحدةً، وهكذا ينعدم الضغط الاجتماعي على الأفراد.

ولكي تكون هذه الوسيلة ناجحةً فلا بدَّ -كما يقول المنصّرون- من وجود أزمات ومشكلات تدفع النَّاس إلى أن يكونوا خارج حالة التَّوازن التي اعتادوها، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية مثل الفقر والمرض، والكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعة، والحروب الأهلية، أو السِّياسية، وقد ترجع إلى عوامل معنوية كالتَّفرقة العنصريَّة.

٢- الإغراء الإرسالي للنساء:

يركِّز المنصّرون على الشَّـرائح الضعيفة في المجتمع، فكانوا يتصلون بجملة من النِّساء التي في حالات اجتماعية صعبة؛ مثل: المطلقات، الأرامل، المطرودات بتهمة السِّـحر وقتل أطفال النَّاس، والمطرودة بسـبب حمل غير شرعي في القبيلة، أو سوء الحظ؛ لأنَّه مات على يديها أكثر من رجل، كما يهتمون بالأطفال وخاصَّة الأيتام واللُّقطاء وأولاد الزنى، وحتَّى أطفال الكتاتيب التَّابعة للمسـلمين الَّذيـن تمردوا وهربوا من بطش بعـض المعلمين وقمعهم لهم، وتعذيبهم وتجويعهم. والأيتام المشـردين والمرضى والمجانين والفقراء ونحوهم، يسـتغلون أوضاعهم لتنصيرهم من خلال مراكز خاصَّة للنِّساء من هذا النوع؛ فهذه الشَّرائح بحاجة فعلاً إلى الاستقرار والعِلاج؛ وكثير من هؤلاء لا يلتفتون إلى مَن يقدم لهم الخدمة بقدر ما يلتفتون إلى الخدمة نفسها، فالحاجة تذل أصحابها وتضعفهم. لقد بنوا مؤسسات كثيرة في كل ربوع الدولة لاحتواء هؤلاء الشَّرائح من المجتمع.

٣- الإحصائيات الإرسالية:

يعمل التَّنصير بجدٍّ على نشر الإحصاءات الكاذبة المضللة عن أعمال التَّنصير ونجاحاتها في الدولة، فتقدم تقارير ومنشـورات عن نجاحاتها، والإشـارة إلى بعض إخفاقاتهم، لتغري الممولين بمواصلة البذل والعطاء؛ فإنّ أموالهم لم تذهب سـدًى، وقصدهم وراء الإشارة إلى إخفاقاتهم: تخدير المسـلمين، فلا يتحركون لمواجهة التَّنصير، لقد نشرتْ بعض مجهوداتهم من خلال دراسـتهم السَّـالفة الذكر وعدد الكنائس والقساوسة، فهذه النسبة مشكوكة فيها؛ لأنَّ من تقاريرهم التي لم يتأكد عليها أي منظمة مسـتقلة، فالقول: إنَّ في بوركينافاسو فاسو (٦٠٩٤) كنيسة، و(٦١٦٦) قسيسًا، دراسة يحتاج إلى التَّحقيق؛ لأنَّ عدد النَّصارى لا يتجاوزون ١٠٪ من مجموع السُّـكان في بوركينافاسـو اللّهم إلاَّ إذا كان لكل كنيسة عدد بسيط جدًا من العابدين.

وهكـذا يرجع المنصرون إلى الخِداع فيما ينشـر من إحصاءات كاذبة عن نتائج التَّنصير لهـدف حجب الحقائق، والتَّقليل من أعداد من يسـتجيبون للتنصيـر، والحديث عن إخفاق مساعيهم في تحقيق أهدافهم، وقد قيل لأحد كبار المشرفين على التَّنصير في إفريقيا: «إنَّا نسمع من آنٍ لآخر أنَّ التَّبشير في إفريقيا قد أخفق، ألاَّ تخرجون إلى أقاليم أخرى للتبشير؟ فضحك قائلاً: إنا نحن الَّذين ننشـر هذه الأخبار، وننشـرها في مقابل دفع أجرة لها، وذلك أنَّ التَّبشـير في إفريقيا ناجحٌ كل النَّجاح، وبلغ من نجاحه أنْ أصبح شوكة في ظهر السُّودان، (ثم ذكر أنَّ هذا النشـر يحقّق فائدتين): إحداهما: أنَّ المسـلمين حينما يقرءونها يستمرون

فـــي نومهم، فلا ينالنا منهم معارضـــة أو أذى. أمَّا الثَّانية أن تنهال علينا التَّبرعات من أغنياء المسيحيين؛ لأنَّ المسيحيين أينما كانوا يسرهم أن ينجح التَّبشير[1].

٤- التركيز الإرسالي على المناطق:

ركَّز التَّنصير في بوركينافاسو في أوَّل دخوله لها على المناطق النَّائية، ولهذا كان بدايتهم في مدينة «كُوبيلا Koupéla» كما ذكرت سابقًا، وهي مدينة في محافظة «كُورِتِنْغَا Kouritenga»، وهـــي كانت قرية نائية في عـــام ١٩٠٠م، هكذا يصل التَّنصير إلـــى كل أمثال هذه المناطق المحتاجـــة إلى الدعم المادِّي والمعنـــوي لضعف الخدمات فيها، فينفردون بتلك الشَّـــرائح الاجتماعيـــة، يقدمون لهم الدِّيانة الجديدة مغلَّفة بالخدمات التَّعليمية والصِّحية والاجتماعية ونحوها، والإنســـان عبد الإحســـان، وكثير من تلك الأوســـاط لا يفرقون بين الدِّين السَّليم والخاطئ، يرحب بمن يهتم بهم، ويقدم لهم خدمات جليلة: فيقع فريسة في هذه المصيدة.

٥- مخاطبة الإرسالية للطَّبقة الفنية:

إذا ما أسَّس التَّنصير مراكزه في المناطق النائية رجع إلى المدن وإلى الطبقات الميسورة، فيخاطبـــون الغرائز لدى الطبقات الميســـورة؛ عن طريق الفـــنّ، والأندية الخاصَّة، وصناعة النجـــوم لتكون بدائل تبعد المســـلم عن مبادئه وقيمه، بتغيير اهتماماتـــه، وأولوياته، وهكذا فعلوا في بوركينافاســـو رجعوا إلى العاصمة واغادوغو بعد مدينة «كُوبيلا» ليستقطبوا الطبقة الميسورة الحال، فأسسوا لهم مدارس «مقعدية» يجلس الأطفال على المقاعد لتلقي الدروس، وهي رســـالة مقصودة وقتئذٍ، ليس غرضهم تحســـين الأوضاع التَّعليمية بقدر ما هو طريقة لمحاربة التَّعليم الإســـلامي المتمثل في الكتاتيب التي هي للمسلمين، ويجعلونها للبدو؛ حيث يشـــعلون النَّار ليلاً ويجلسون على الأرض أو على جلود الخِرفان لتَّعليم القرآن الكريم والعلوم الإســـلامية بخلاف المؤسســـات التَّعليمية التَّابعة للتنصير، ولهذا لما بدأ التَّعليم المدرسي العربي الإســـلامي الحديث رفض بعض الآباء أن يسجلوا أبنائهم فيها: لأنَّها تشبه المدارس التَّنصيرية في الشَّكل وطريقة التَّعليم، فاستمروا بتأييد طريقة الكتاتيب في التَّعليم والتَّربية، يـــرون أنَّ الجلوس على الكراســـي أو على المقاعد للتَّعليم قِلَّـــة أدب من التَّلميذ في حضرة أستاذة، ولما عرفوا أنَّها أسلوب حديث لتقوية التَّعليم قَبِل بها معظمهم ورفض بها البعض.

واســـتغلت المنظمات التَّنصيريَّة في بوركينافاســـو تصرفات بعض أصحاب الكتاتيب في بوركينافاســـو باعتمادهم عليها كمصدر دَخْلٍ لمُحاربة الإســـلام، وتأسيس منظمات لاحتواء

(١) ينظر: أوربا والإســـلام، عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، مطابع الأهرام التجارية، مصر، ط١، ١٩٧٣م، ص: ١٩٩-٢٠٠.

تلاميذ الكتاتيب، وإعادة تكوينهم، وتوفير أعمال لهم، وهذه خطوة خطيرة لمستقبل الكتاتيب في بوركينافاسو، فهي مؤسسة تعليمة قديمة كانت مرموقة في كل ربوع إفريقيا لها سلبياتها وإيجابياتها، فيها تربية دينية صحيحة، وتعليم ديني لغوي صحيح، لكن أصبحتْ معظمها الآن بوابة لتشريد الأطفال وتحويلهم إلى متسوِّلين على الطُرقات واستعبادهم وضربهم وتحميلهم ما لا يستطيعون من الأستاذ، وهي سلبيات يجب تقويمها.

٦- التعليم الإرسالي:

التعليم ركيزة مهمة للمنصرين لتشويه عقل الطفل مبكرًا، يقول المنصر «جون مُوط»: «إنَّ الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكرًا جدًا، من أجل ذلك يجب أن نحمل الأطفال الصِّغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرُّشد، وقبل أنْ تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية»[١]، فعملوا على الإكثار من المدارس ورياض الأطفال، إنشاء الجامعات والكليات، وهذه الوسيلة من أخطر ما يعوّل عليه المنصرون في الاتصال بأبناء المسلمين؛ حيث يكون المدرسون نصارى، والجوّ الَّذي يعيشه الطلاب جوًا نصرانيًا، حيث الرُّموز والملابس والاحتفالات، والأعياد والهدايا، والزِّيارات المنزلية، والرِّحلات التَّرفيهية أو التَّعليمية، يجبرون الطلاب على دخول الكنائس، والاستماع إلى مواعظ الأحد الدِّينية، والقيام بالطقوس النَّصرانية.

أضف إلى ذلك ما تتمتع به هذه المدارس من إعداد جيِّد ومتميِّز من حيث البنية التَّحتية من مبانٍ ومرافق، ونحوها، ومن حيث الرِّعاية الأكاديمية والصِّحية والاجتماعية التي يجدها التَّلميذ في مثل هذه المؤسسات، في مقابل الوضع السَّيئ للمؤسسات التَّعليمية الحكومية أو الإسلامية من مدارس في الأكواخ وفي مبانٍ قديمة ضيِّقة، الأمر الَّذي يجعل أولياء الأمور يدفعون بأبنائهم إليها، وشُوهد أبناء بعض الدُّعاة من المسلمين فيها وحتَّى بعض أبناء المؤسسي المدارس العربيَّة والإسلامية في إفريقيا، مع ما يُعرَف للمعلم من تأثير قوي على شخصية التِّلميذ، تلك الشَّخصية المتلقية والمقلِّدة، والتي تنظر إلى المعلم على أنَّه مصدر معرفتها وثقافتها، وهو القدوة الثَّانية بالنسبة له بعد البيت، وربَّما تكون أقوى لعدد السَّاعات التي يقضيها التِّلميذ في المدرسة، وفي هذا الجّو النَّصرانيّ المؤثر.

أشار المؤرخون إلى أنَّ المدرسة الأولى التي أسستها الكنيسة الكاثوليكية في بوركينافاسو هي المدية الإكليريكية في مدينة (بَبْرِي pabre) وهي منطقة تبعد عن العاصمة بـ(٢٢) كيلو مترًا، تقع في الشَّمال الغربي للعاصمة، أسسها النَّائب الرَّسولي جواني نيفينود في عام ١٩٤٦م كما أشرتُ في ترجمة الرَّجل؛ حيث تخرج فيها أوَّل رئيس لجمهورية بوركينافاسو

(١) التَّبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ٦٨.

«مُورِيسْ يَامُوْوْغُو»، ثم المؤرخ الشَّهير «جُوزيف كِي زربو»، وغيرهما.

لقد فتح التَّنصير مدارس كثيرة في معظم مناطق بوركينافاسو، وكانت تدرس فيها النصرانية بوصفها مادَّة أساسية بجانب المواد لأخرى، وتفرض على التَّلاميذ حضور قداسة يوم الأحد وعيد (بَابَا نُويل) وأعياد نهاية السنة الميلادي، وغيرها من الأعياد النصرانية التي تصور وكأنَّها أعياد اجتماعية لصالح المجتمعات، وهكذا تخرج القادة السِّياسيين الأوائل في بوركينافاسو في السِّتينيات أي جيل الاستقلال، ولعل تصريحات أسقف مدينة واغادوغو في بداية تأسيس المدارس التَّنصيرية خير دليل على ما ذكرنا: حيث قال: «لا بدّ لنا من مدارس تنصيرية مهما سيكلفنا الثَّمن، من معلمين منصّرين، لا بدّ أنْ نُكوِّن قيادات سياسية، الَّذين سيتولون مسئولية قيادة هذا البلد في المستقبل»[1]. فكان إعداد القادة والزعماء السياسيين أسلوبًا تنصيريًا مهمًا ركزوا عليه واهتموا به كثيرًا، قال أحد المنصرين: «كنا نُحضِر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء من إفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن، والنرويج وبلجيكا، وباريس، فتتغير ملابسهم...»[2].

والأمثلة واضحة في بوركينافاسو، فمعظم قادة بوركينافاسو اليوم والأمس من الخريجين في هذه الجامعات والمعاهد، ومعظم درسوا في أوروبا وأمريكا، وطافوا بهم في هذه العواصم ولقّنوهم دروسًا، وفي غرب إفريقيا قادة كثيرون مثل ليوبولد سنغور في السنغال، وجولبوس نايريري في تنزانيا، ويوري موسيفيني في أوغندا، وآسياس أفورقي في أريتريا، ودانيال أرب موي في كينيا وغيرهم كثيرون، وبعض الجنود يتم تدريبهم في عواصمهم.

لقد تطوّر التَّعليم التَّنصيري في هذا العصر بشكل لافتٍ للنظر، بيَّن (jean ilboudo) جِيَان إِلْبُودُو بأن: «تكوين المنصرين المحلّيين كان مهمّة كبيرة شغلت بال المنصّرين منذ السَّاعات الأولى من قدومهم إلى بوركينافاسو: حيث لا بدّ لتكوين هؤلاء المنصرين من تنصيب مدارس للسيطرة على عدد كبير من المناطق، حتَّى لا يسبق إليها المسلمون. ومن هذا المنطلق نفهم وجود المراكز التَّنصيرية في المدن الكبرى في البلد: بأنَّها إجراءات استراتيجية تنصيريَّة لاحتلال المنطقة»[3].

كان التَّنصير ذكيًا في عمليته التَّنصيريَّة التَّعليمية: حيث كان ينتقي من الطلبة الأذكياء والنُخبة الَّذين يمتلكون مؤهلات القيادة لتكوينهم تكوينًا خاصًا يخرجهم بعد ذلك رجالاً تابعين لهم، يقول فريدرك جيرم: «كان يختار القس جواني تيفينود من الطلبة الموسي الطلاَّب

(1) Vivante Afrique ،no 23،Novembre-Decembre،1962.p11

(٢) التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا، منشورات، جامعة أفريقيا العالمية، ص: ١٨٣.

(3) Le Christianisation du moogo(1899-1949)،jean ilboudo،thèse de doctorot 3è cycle،1985،p209

الممتازين الَّذين عُرفوا بالذكاء الفائق، وكان من بين المنصرين الَّذين كُلفوا للقيام بهذا المهام: مونومبو كالينزاغ، وهنري جيسو، وبيرنانرد تيبو، وفرانسوا بودا، وكانوا يقومون بتكوين هؤلاء ويأمرهم أنْ يتصرفوا تصرف الشَّخصية القيادية المسئولة، لا كشخصية «الموسي» التَّقليديّ، وكان يرسِّخ دومًا في عقولهم أنَّ واجبهم الأوَّل هو العمل على تقدّم المسيحية، ويبيِّن لهم أنَّ دوره كقسيس هو أنْ يُعلمهم تعاليم المسيح في مجال السِّياسة»[1]، أي: ربط النصرانية بالسياسة، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده، فيعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، وغرس مبادئ التَّربية الغربيَّة وأنماط السُّلوك الغربيّ في نفوس المسلمين وحياتهم: حتَّى يشبوا مقلِّدين للغرب الكافر وقد استخفوا بالأخلاق والقيِّم الإسلامية.

يسعون إلى برمجة الأطفال نفسيًا من خلال محو الأمية، ففي المؤسسة التَّعليمية يتم -وبهدوء وتركيز شديدين - تغيير الرُّموز الدِّينية لدى الطفل المسلم برموز أخرى، وثقافته الدِّينية بثقافة أخرى، وأمنياته وتطلعاته ومعاييره بأخرى مغايرة، وهكذا ينسلخ عن دينه وثقافته وأمته شيئًا فشيئًا، ليُشَكَّل تشكيلاً جديدًا، فهو إن لم يترك دينه ويتحول إلى النصرانية فعلى أقل تقدير -وهو هدف لا بأس به عند المنصرين- تضعف معرفته بالإسلام، وينهار تمسكه به، ويبرد حماسه له، ويكون مستعدًا للتخلي عنه متى ما كان الوقت ملائمًا.

كما عمل التَّنصير على توفير المعلومات عن النصرانية، ونشرها بمختلف صور النشر والتوزيع، وذلك عن طريق ترجمة الأناجيل، والكتب الدينية إلى اللُّغات المحلية، حتَّى لا تكون اللُّغة حاجزًا يحول بينهم وبين الاطلاع على تلك الكتب والنشرات.

وتشير المعلومات إلى أنَّ الإنجيل تمت ترجمته إلى (٤٠٠) لغة إفريقية، وأنَّ العمل جارٍ لترجمته إلى (٢٠٠) لغة أخرى. وفي المناطق التي تعمّها الأمية أعدت ترجمات على أشرطة (كاسيت) مصحوبة في بعض الأحيان بموسيقى محلية[2].

وقد ترجمت المنظمات التَّنصيريَّة دروسًا إلى لُغة موري لقبيلة (موسي)، باعتبارها أكبر لغة شعبية في بوركينافاسو يتكلم بها معظم أبناء القبائل الأخرى في البلد، وباعتبار أنَّ معظم سكان العاصمة من الناطقين بها، وكذلك ترجمت الدروس والمنشورات النصرانية إلى جُولاَ وفُلاَتة، وغُورُمَاتسي، وسِينُوفُو، وسَامُو، باعتبارهن أهم لهجات بعد شقيقتها موري.

---

(1) Comment perdre le pouvoir? Le cas de Maurice yaméogo، Fréderic Guirma، Collection Afrique Contemporaine، 1991،vol:12 p49-50

(٢) ينظر: خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عُقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة١٩٧٨ . دار مارك للنشر، ١٩٧٨م، ص: ٥١٠-٥٢٠.

والغرض من المنصّر استغلال حبّ الناس للتعليم والخروج من تيه الأمية إلى نور العلم والمعرفة لزرع العقيدة النصرانية، وكان ذلك عقبة كبيرة أمام المسلمين، ويعاني منها أبناء المسلمين الآن في الجامعات، وفي تعيين الموظفين في الدولة، يقول أنور الجندي: «كانت أعقد المشاكل التي واجهها العالم الإسلامي هي مشكلة التَّعليم والثَّقافة، فقد أحسّ المسلمون مدى حاجاتهم إلى توسيع مجال التّعليم، وتجديد مجال الثّقافة كعامل هام من عوامل النّهضة. وعرف النفوذ الاستعماريّ هذا المقتل في حياة المسلمين فحاولوا أن يستفيدوا منه إلى أبعد الحدود، وكان الاستعمار حين عاد إلى عالم الإسلام في طوره الجديد قد أعد مخططه على النحو الّذي يكفل له تغيير العقيدة الإسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية عن طريق التَّعليم»[١].

وفي مقدّمة أهداف التَّعليم التَّنصيريّ الَّذي تؤسس الدولة المستعمرة مؤسساته أو تشرف على مناهجها وبرامجها بسلطة إدارتها الاستعمارية: تربية أجيال من أبناء المسلمين تدين بالولاء والطاعة للمستعمرين حكومةً وشعبًا. وتنسلخ عن ولائها للإسلام وولائها لأمتها الإسلامية، وتقتبس المفاهيم والعادات الغربيَّة، وكل أنواع السّلوك التي يأتي بها المستعمرون، وتتقبل مجتمعاتها الأنظمة التي تزينها لها الدوائر الاستعماريَّة أو تفرضها عليها[٢].

وعملوا بجدٍّ في إعداد منصّرين من أبناء القبيلة، ليتولى عملية التَّنصير أناسٌ من أهل البلد، حتى تكون النتيجة مثمرة، فيوظفون حديثي الاعتناق بعقيدتهم ويخصصون لهم رواتب مجزية للقيام بذلك؛ لأنَّ المنصّرين المحليين أعلم بطبيعة بلدهم، وأكثر تأثيرًا في مواطنيهم، خاصَّة إذا كان هؤلاء المنصرون قد ارتدوا عن الإسلام، فهم يقدمون بذلك نموذجًا عمليًا لنجاح عملية التنصير، وهذه هي الفتنة عينها. ومع ذلك يجد هؤلاء المنصرون المحليون السند والتَّوجيه والتَّدريب من المنصّرين الأجانب[٣].

٧- التّطبيب الإرسالي:

ظهر أهميّة العلاج كوسيلة للتنصير في الرُّبع الأخير من القرن الثَّالث عشر الهجري التَّاسع عشر الميلادي، عندما تكوّنت الجمعيات الطبيَّة في أوربا وأمريكا، والتي تختص بتأهيل الأطباء والممرضين للعمل في مراكز التَّنصير، قام المنصرون على اختلاف انتماءاتهم

(١) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، أنور الجندي، الموسوعة العربية الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ج٤، ص:٣٣٣.

(٢) ينظر: غزو في الصميم، سلسلة أعداء الإسلام، عبد الرَّحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م، ج٥، ص٢٧ - ٣٠.

(٣) ينظر: الجذور التَّاريخية لإرساليات التَّنصير الأجنبية في مصر، خالد محمد نعيم، ط١، ١٩٨٨م، ص: ١٥.

الكنيسة، وجمعياتهم التَّنصيرية في تحريك التَّنصير من خلال الطب[١].

يُعتبر الطب من أكرم المهن الإنسانية، وهو ركيزة أساسية في حياة المجتمعات، ولا غنى لمجتمع عنه، وبما أنَّ المرض والصحة مرتبطان بحياة الإنسان، فإنَّ هيئات الإرساليات التَّنصيرية قد اتّخذت العلاج وسيلة للتوصل إلى الهدف.

ولمّا كانت محاولة الدعوة الفردية والجماعية المجرّد والدَّعوة الخالية من إغراءات غير مجدية وقليل الجدوى في دعوة الناس للنصرانية، سلكت الإرساليات طريقًا آخر في دعوة الناس في بوركينافاسو. ومن ذلك: الدعوة من خلال المستشفيات والمراكز الصحيّة التي استغلوها كوسيلة خداع وأداة للرق ونشر الاعتقادات النصرانية، استخدموا الدواء في نشر (الإنجيل المزور) بين المرضى، في مستشفيات أو مستوصفات أو في مخيمات علاجية لتحقيق أهداف المنصرين.

قال المنصرون: «إنَّ الطبيب المنصر بإمكانه أن يصل بتبشيره إلى جميع فئات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم، ثم إنّهم افترضوا أن يكون الطبيب المنصّر نسخة حية من الإنجيل، ليتمكن من تغيير الذين حوله، ويجعل منهم نصارى، أو يترك في نفوسهم أثرًا عميقًا على الأقل»[٢].

فالتطبيب أسلوب مهم كان له نصيب كبير في تنصير البوركينين يقول أحدهم: « أرجو ألا يعتقد أحدٌ بأنني أقلل من شأن الجوانب الأخرى لنشاطنا عندما أقول بأنّها غايات في ذاتها، ولكنَّها وسائل نبيلة تستحق الإعجاب لتحقيق غاية، لقد كان الربّ - يعني المسيح عليه السَّلام. تعالى الله عما يقولون - يتنقل لفعل الخير، ولكنَّه نادرًا ما كان يبرئ المريض، أو يحيي الموتى إلاَّ عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الرُّوحي»[٣].

تتمتع المؤسسات الطبية الإرسالية بإمكانيات هائلة، في مقابل ضعف أو غياب الرِّعاية الصِّحية الحكومية، أو الإسلامية، أضف إلى ذلك ما يتمتع به الطبيب أو مقدم الخدمة الصِّحية من نظرة خاصَّة ومحترمة من قِبَل المجتمع الرِّيفي ومجتمع المدينة باعتباره شخصًا يسعى في إسعاد الآخرين، ورسم البسمة على شفاههم، فوظف هذه النظرة الإجلالية لتحقيق أهداف التَّنصير، يقول المنصّر موريسون: «نحن متفقون بلا ريب على أنَّ الغاية الأساسية من

---

(١) ينظر: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، إبراهيم عكاشة، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٧هـ، ص٢٧.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الخالدي وفروخ، ص٥٩.

(٣) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا، عمر سالم عمر بابكور، منشورات جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٧هـ، ص: ٢٩٤.

أعمال التَّنصير بين المرضى.. أنَّ ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحيَّة»[١].

ولهذا نجد الطبيب يمارس هذه المهنة بأخلاقية عالية؛ من حيث حُسن المعاملة لمراجعيه، وإظهار الاهتمام البالغ بهم، بل وبمرافقيهم أيضًا، وإدخال السُّرور والطمأنينة على نفوسهم، الأمر الَّذي ربَّما لا يجدونه مع الأطباء الآخرين.

التَّطبيب مدخل يحظى بتقدير الشُّعوب؛ لأنَّه يخفف من معاناتهم، كما أنَّه يقدّم فرصًا كبيرة لمقابلة الطبيب بكثير من الناس، ولما كان المسلم هو الذي يطلب مقابلة الطبيب النصراني لمعالجته، كانت تلك الفرصة سانحةً للمنصرين في استغلالها لدعوتهم، وربما يُصوّر للمريض أنَّ الطبيب النصراني يمارس مهنة المسيح الذي كان يقدم خدماته الصحية للناس وللفقراء منهم، وهنا ربما يتذكر المريض المسلم، أو يُذكّر بما ورد في القرآن الكريم عن المسيح عليه السَّلام من أنَّه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ويُصور له أيضًا التَّضحية التي قدمها المسيح من أجل الناس: حيث فدى البشريَّة بدمه الطاهر، فكذلك هذا الطبيب الَّذي جاء من بلده الأوربي تاركًا بلده وأهله ووظيفته وراحته هناك، ليعيش بين مرضاه الجدّد في وسط الأدغال والغابات والأحراش، إنّه يمارس مهنة المسيح. هكذا يقدمون صورة خطيرة للبسطاء، يقولون للناس: «إنّ المسيح كان معلمًا ومداويًا وفي الواقع كان طبيبًا، إنّ ما نفعله هو السير على خطاه»[٢].

وتقول المنصرة إيراهايس ناصحة الطبيب النَّصراني الذاهب في مهمة تبشيرية: «يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرّز - فتبشر- لهم بالإنجيل، إيّاك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق»[٣].

إنَّ المجال الطبي من أوسع الأبواب التي دخل منها الداعون إلى النَّصرانية في بوركينافاسو، ولم يكن علم المهنة، ولا تخصصها مانعًا لمثل هؤلاء من استثمار المجال الَّذي يعملون فيه في الدعوة إلى النصرانية، وترى بعض الدراسات الإفريقية أنَّ الوسيلة الأولى في عمليَّة التَّنصير هي: التَّنصير من خلال تقديم الخدمات الصِّحية والطبية[٤].

وما لبثت أنْ أفصحت عن وجهها الحقيقي: حيث كشف بعض المسلمين في بوركينافاسو خطورة بعض الأطباء في المؤسسات كمراكز للتنصير. فقلَّت أعمال التَّطبيب إلاَّ من الأدوية

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ٥٩ - ٦٠.

(٢) الإسلام والتحدي التَّنصيريّ في شرق أفريقيا، عمر سالم عمر بابكور، ص: ٢٩٥.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ٦٢.

(٤) ينظر: دراسة في حركات التَّبشير والتَّنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصَّحراء، الهادي الدالي. وعمار هلال. الدار المصرية اللّبنانية. القاهرة. ص:٧١ - ٧٢.

العاديـــة حتَّى أصبحتْ في النهاية مراكز مهجورة لا تعمل إلاَّ للتنصير المحض، يقول المنصر رايد: «إنّنا نحاول أن ننقل المســـلم من محمد إلى المسيح، ونحن لا نحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لنا في الإنسانية، ولولا أننا نريد أن ننقله إلى صفوف النصارى لما ساعدناه»[١].

٨- الإعلام الإرسالي:

إنَّ وســـائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتليفزيون، وسينما ومسرح، بالإضافة إلى وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت كلّها تسهم في حملات التَّنصير، وهي من الوسائل المختفية، أما الوســـائل الإعلامية الصريحة فهذه موجودة وكثيرة وتوجَّه إلى عدة لغات، وتغطّي عددًا كبيرًا من ســـاعات البثّ، كما اهتم المنصّرون بالمطبوعات والنشرات وإصدار الجرائد والمجلات التَّنصيرية، فأنشـــئوا المطابع لذلك، وحرصوا أنْ يتولى الكتابة المبشرون الحاقدون وبعض الوطنيين العلمانيين.

لقد جاء في تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي عن النشاط التَّنصيري في إفريقيا: لقد تمّ توزيع (٦١٠) عناوين لكتب تنصيرية مطبوعة بلغات مختلفة، ومئات الملايين من الكتب المطبوعة، والتي تم نشـــرها، و(٢٤,٩٠٠) مجلة متنوعة يوزع منها ملايين النســـخ، ووزعوا (١١٢) مليون نسخة إنجيل في عام ١٩٨٧م، تم ترجمة الإنجيل إلى (٦٥٢) لغة ولهجة إفريقية مقابل سبع لغات تم ترجمة القرآن لها فقط، و(٥٤٤٥) لغة ولهجة تم ترجمة وتسجيل الإنجيل في أشرطة، وتم توزيع عشرات الملايين من هذه الأشرطة[٢].

اســـتخدم التَّنصير المحطـــات الإذاعية -خاصَّة FM- والتِّلفازيـــة باللَّهجات المحلية في بوركينافاسو لتحقيق الغرض التَّنصيري، وما يملكه التَّنصير في بوركينافاسو من هذه المحطات يفوق التَّصوّر، فضلاً عن الاستفادة من المحطات الرَّسمية والمحلية، وكذلك يهتمون بإصدار مجلات وصحف وكتيبـــات صغيرة ومطويات بغرض التَّنصير، وأخيرًا اســـتخدموا الإنترنت بإقامة مواقع خاصَّة بهم، ويحرصون على المحافظة على أسمائهم الإسلامية كمادَّة إعلامية، ولديهم مواقع على الإنترنت تطعن في الإسلام بطريقة مباشرة ودون مواربة.

لقد كان الإرسال الإذاعي الموجّه إلى المسلمين من أهم القضايا التي طُرحت في مؤتمر كولـــورادو ١٩٧٨م، بحيث انصبَّ اهتمام المؤتمرين على كيفية اســـتغلال هذا الإرســـال في تنصير المسلمين، وضرورة تطوير الأســـاليب المتبعة فيها، وكان هذا التَّطوير يعتمد أساسًا على: مرحلة الاســـتقطاب، والتَّلبيس: وذلك بتقديم رسالة نصرانية في وعاء إسلامي، وربما

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ١٩٣.

(٢) ينظر: التنصير في إفريقيا السنغال أنموذجًا سيدي غالي لو، مجلة البيان العدد: ١٥٤، ص:٨٠.

من خلال شخص يحمل اسم مسلم[١].

وقد عمدت الدَّوائر التَّنصيرية إلى اتخاذ وسائل الإعلام بكل أنواعها في لتبليغ خطابها الديني في بوركينافاسو، فأنشأت محطات إذاعية مسموعة ومرئية في جميع أنحاء البلاد، وهي تبث بمختلف اللُّغات المحلية، كما أنّها تصدر الجرائد والمجلات التي تعبّر عن وجهة نظر المسيحية في مختلف القضايا التي يعيشها البلد، منها على سبيل المثال:

١- (إذاعة ماريا)، مقرها واغادوغو العاصمة، أنشأت عام ١٩٩٣م، وهي مرتبطة برابطة إذاعات ماريا في إيطاليا، وبدعم منها؛ حيث بلغت تكلفة عشرة ملايين فرنك سيفا، ولها فروع في مدينة كُوبيلاَ، ومدينة كَاياَ.

٢- (إذاعة التَّنصير والتَّنمية)، مقرها العاصمة، بدأت بثها رسميا في ٢ يوليو١٩٩٣ م في واغادوغو، تتبعها ثلاث محطات فرعية في مدينة بوبوجولاسو، وفي مدينة واهيغويا، وفي مدينة ليوو.

٣- (إذاعة النور والحياة والتنمية)، مقرها العاصمة واغادوغو، وهي الإذاعة التنصيرية الثَّالثة في واغادوغو تأسست عام ١٩٩٥م. وهي تابعة للكنيسة الإنجيلية.

٤- (إذاعة التحالف المسيحي) مقرها بوبوجولاسو.

٥- (إذاعة التَّنصير بالجنوب الغربي) مقرها مدينة غاوًا.

٦- (إذاعة سيدتنا للساحل)، مقرها واهيغويا. وقناة مرئية اسمها (صوت الحياة) مقرها في العاصمة واغادوغو بدأت بثها في عام ١٩٩٦م، وتبث برامجها كل يوم من السَّاعة السَّابعة إلى العاشرة مساء، ويبلغ قوّة بثها ٢٥ كلم خارج العاصمة[٢].

يستخدمون كل الوسائل التي تساعد في إحداث التَّأثير المطلوب، من الموسيقى الشَّعبية والغربية بلهجات مختلفة، إضافة إلى الألعاب الرِّياضية والرِّحلات التَّرفيهية والكشفية، والمناسبات الاجتماعية، والزِّيارات والمجاملات العائلية، وبعض الأحداث العالمية أو المحلية لتوظيفها في خدمة أهدافهم.

٩- الإفادة من دستور الدولة وقراراتها السياسية والاتفاقيات الدولية:

يستفيد التَّنصير من الاتفاقات والإعلانات الدولية فيما يتعلق بـ«حقوق الإنسان» للضغط على الحكومات الإفريقية بما فيها الحكومة البوركينية؛ لتمرير أعمال التَّنصير بدعوى رعاية حقوق الأقليات الدِّينية، ومنع اضطهادها فيها، وتمكينها من إثبات وجودها، ويقصدون بذلك

---

(١) ينظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، عبد الفتاح أبو المعال، دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان-الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ص:١٤.

(2) ينظر: Tudescq، ellises، Editions Marketing،S.A.1999,paris،p17 Les Medias en Afrique، Andre-Jean

النَّصـــارى، ومن ذلك بناء الكنائس والمـــدارس التَّنصيرية، وحرية الدعـــوة إلى النصرانية، ومحاربة الإسلام، ويستقلون الصراعات السِّياسية وخاصة الطائفية بين المسلمين والنصارى لدعم النصارى سياســيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وينجحون في ذلك حيث لا توجد من يجابهها بالمثل، يتوافدون إلى بوركينافاسو وإلى المناطق المنكوبة من الكوارث كالفيضانات والجفاف، والمجاعة، ونحوها، وهذه مرتع التَّنصير الخصب؛ حيث حالة الفوضى وفقدان التوازن الأمني والاجتماعي والنفســي لدى أصحاب هذه الشريحة، مما يجعلهم نهبًا لمنظمات التنصير بلا منافس يُذكَر، بل أحيانًا تحت رعاية دولية وقانونية، فتقام معسكرات الإيواء لتنفذ فيها برامج متكاملة: ظاهرها الرَّحمة وباطنها العذاب والسَّلخ من الدِّين والهوية، فمثلاً استغل المنصرون الكـــوارث الطبيعية التـــي خيّمت على البوركينيين نتيجة الجفـــاف المتتالية بين (عام ١٩١٥ و١٩١٦م)، وكذلك جفاف (١٩١٨ و١٩٢٩م)، و(١٩٣٤ و١٩٧٣م) توصف هذه السَّنوات بسنوات القحط والمجاعة في بوركينافاســو، استغل التَّنصير لاســتقطاب السكان الحيارى لتوسيع نشاطاتها التَّنصيرية[١].

١٠- الرَّبط بين الإسلام والجنس العربي:

والزَّعم بأنَّه دين العرب لا غيرُ، لضرب عالمية الإســـلام، ولإثارة النفرة منه باعتباره دينًا عنصريًا، وهو الأمر الَّذي تعاني منه الكنيســـة الغربيَّة، ويعاني منه الاستعمار الأوربي، وعلى هذا تُفسَّـــر أخطاء العرب بأنَّها مبادئ إســـلامية، كما تفسَّـــر أخطاء المسلمين بأنَّها مبادئ عربية.

١١- إثارة الشُّبهات بقصد تشكيك المسلم في دينه:

وتحويـــل الثَّوابت إلى متغيرات، وموضع للنظر والاحتمـــالات، والأصول إلى فروع وأمور هامشية، والمحاســـن إلى مســـاوئ، والمفاخر والأمجاد في تاريخنا إلى مخازٍ ينبغي التَّبرؤ منهـــا، أو الخجـــل عند ذكرها، منها: القرآن مســـتفاد من الكتب القديمـــة؛ العهدين القديم والجديد، تاريخ الصحابة والمسلمين حافل بالحروب والدمار، الحضارة الإسلامية ما هي إلاَّ سرقة للحضارات القديمة، الطعن في بعض الأحكام الشرعية مثل: الجهاد والطلاق، والتعدد والميراث، والحجاب، وغيرها[٢].

---

(١) ينظر: Les Christianismes en pays San (1913-1973)، Maxime Emmanuel : Zamane، Mémoire de Maitrise، Université de Ouagadougou، départementd، Histoire et d، Archéologie، 1990، p72.

(٢) ينظر: الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة أ.د. حسن محمد عيسى عبد الظاهر وآخرون وما بعدها. صدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ٤٣٦.

قال أحدهم: «يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن)، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، لنقضي تمامًا عليه، يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحًا»[1].

١٢- الرقص والغناء الإرسالي:

يعرف عن الشُّعوب الإفريقية بصفة عامَّة أنها شعوب تحب اللَّهو والرقص والغناء، فأدخلت الإرساليات الرقص والغناء في وسائلهم إلى بوركينافاسو، فاخترعوا أغاني شعبية بطريقة غربية، ويكثرون من الحفلات داخل الكنائس، فيحضرها العامة من الناس من غير النصارى، وأحيانًا يحفظ الصغار والفتيات أغانيهم التي نُسجت بلهجات محلية، وبهذا يستدرجون الشباب خاصة وهم هواة الرقص.

١٣- الأعياد النصرانية:

استطاع النصارى أن يحوِّلوا عيد (بابا نويل) و(عيد نهاية السَّنة الميلادي) وهي تصادف ليلة الـ٣١ ديسمبر من كل عام احتفالاً بانتهاء عام وبدء عام جديد، إلى أعياد وطنية عالمية؛ فهذان العيدان من أخطر أعياد النصارى على الإطلاق؛ يجلبون الشَّباب والفتيات المسلمين فيهما إلى الهلاك، وشرب الخمور، وهتك الحرمات.

لقد استفحلت الظاهرة في بوركينافاسو، وإذا لم ينجحوا في استقطاب الشباب إلى النصرانية فإنَّهم نجحوا في تدميرهم أخلاقيًا؛ حيث تكثر في هذه الأيام الخمور، وتزدحم بيوت الدعارة، وتكثر حوادث السَّيارات والدَّراجات النَّارية، وتدخل الدولة في تأهب أمني واستنفار شديدين.

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، وعمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م ص:٤٠.

المحور الثّاني
نتائج التّنصير وآثاره في بوركينافاسو

التّنصير في بوركينافاسو بين النجاح والإخفاق

تختلف نتائج التّنصير وآثاره على الناس في بوركينافاسو من منطقة لأخرى، فالمناطق الشّرقية دون المناطق الجنوبية أو الشّمالية أو الغربيّة، وقد تحدثتُ عن ذلك سابقًا، للتنصير خطة خاصّة لكل منطقة في بوركينافاسو؛ ذلك أنّ المنصرين يهدفون من وراء عملهم إلى تحقيق النتائج الآتية:

١- نقل البوركينيين من الوثنية أو من الإسلام إلى المسيحية (النصرانية):

إنّ أوّل أهداف التنصير هو تحويل الشعوب إلى النصارى، وقد أخفق المنصرون إخفاقًا ذريعًا في تحقيق ذلك في بوركينافاسو، إذا تابعنا ما ينفقون على حركاتهم وإغراءاتهم، فنادرًا ما يسجل في الدولة أن مسلمًا قد تنصر وارتد عن الإسلام، هناك حالات مُفَبْركة وأحيانًا صحيحة، ولهذا لا يزالون يشكلون ١٠٪ من مجموع الشّعب في بوركينافاسو بينما نسبة المسلمين تتصاعد كل سنة.

وفي المقابل نجد أنّ كثيرًا من المسيحيين في بوركينافاسو يعتنقون الإسلام. كفة الإسلام قد رجحت على كفة المسيحية من حيث القدرة على جذب الوثنيين واستقطابهم، فكثير من السّلاطين التّقليديين تابوا ويتوبون، ولذا فإن أتباع الكنيسة في بوركينافاسو إما مسيحيون وراثة أو وثنيون اعتنقوا المسيحية فيما بعد، أمّا أن يكون فيهم مسلمون متنصرون فلا تكاد تجد من بينهم إلاّ قليلاً. كما أنّ غالبية النّصارى في بوركينافاسو من قبيلة موشي، وغورماتي، وداغاري، وبوبو، وهي القبائل كانت أشدّ تشبثًا بالوثنية.

وممّا أفشل مشروع التّنصير الوجود الإسلامي الشّديد والقوي في بوركينافاسو وجهاد الآباء والأجداد لمقاومة التنصير جهاد كبير، لا يسع المجال لذكرهم جميعًا، فقد بينوا للناس كره المنصرين للسود، واستخدامهم سياسة التفرقة العنصرية، يقول فليب رفنه: «وفدت المسيحية إلى إفريقيا، مع المستعمرين الأوروبيين؛ إذ جاء المبشرون في أعقاب المستعمر، وتدخل المبشرون في السياسة، ورأى الإفريقيون هؤلاء الأوروبيين، يمارسون

التفرقة العنصرية»[١]. واكتشف الأفارقة أنهم يتاجرون بالسود ويستخدمونهم كالعبيد.

٢- تغريب المسلمين في كل ربوع بوركينافاسو:

وتدمير المناعة الإســـلامية النبيلة في نفوسهم، وزرع الشُّكوك في معتقداتهم الإسلامية أو في قيمة تاريخهم، من خلال معتقدات مسمومة مدروسة وهادفة.

فإذا فشـــل التَّنصير في بوركينافاسو في تحويل المســـلمين إلى النصارى، على رغم من جهودهم المادِّية والمعنوية الخيالية، وأســـاطيلهم القوِّية والمتطورة، فإنَّهم نجحوا في تحقيق الهدف الثَّاني المتمثل في تغريب المســـلمين عن الإســـلام، وزرع الشَّكّ في نفوسهم، وهدم الإســـلام في نفوســـهم، وتحويلهم من الإســـلام إلى عالم الغرب لتدميرهم روحيًا، وصبغهم بصبغة علمانية إباحية.

والهدف منه إفســـاد عقيدة المســـلمين وتغريبهم وجعل الإسلام شكلاً في نفوس بعض الفتيات والشـــباب، وهذا ما يحدث في الواقع، فقد أصبح الإســـلام بدون المسلمين، لا فرق بين أبناء المســـلمين والنصارى فـــي اللِّباس والأخلاق والتَّصرفات، إلاَّ أنَّ هذا يحمل اســـم المسلم والآخر نصراني، إعجاب كبير بالموضة الغربية: حيث السُّفور وشرب الخمور المحلية والإقليميـــة والدولية، والزنى واللِّواط، والابتعاد عن الله عمليًا، لتجد أبناء بعض أئمة والدعاة وشيوخ الدين خبراء في الفساد، ويديرون بيوت الدَّعارة والخمارات وغيرها في واغادوغو.

(١) - استعمار إفريقية، زاهر رياض، الدار القومية، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ -١٩٦٥م، ص : ٣٥.

دور الجمعيات الإسلامية
في وقف زحف الأساطيل التنصير على بوركينافاسو

لقد عملت الجمعيات الإسلامية في بوركينافاسو لوقف زحف التَّنصير فيها بكل جدّ وبحماسة شديدة، عبر مشاريع دعوية وتأسيس مؤسسات تعليمية، إلاَّ أنَّ هذه الجمعيات مع تعددها بدلاً من التَّعاضد والتَّنسيق لمواجهة العدو المشترك، عبر العمل الجماعي، تحوَّلت إلى التَّشرذم والتَّفرق؛ فدور الجمعيات الإسلامية في درء أخطار التَّنصير في بوركينافاسو كان ولا يزال ضعيفًا لعدة أسباب، من أهمّها:

١- غياب وحدة العمل الإسلامي في بوركينافاسو، وهو سبب غياب رئاسة إسلامية موحِّدة فاعلة تحتوي حقيقة جميع الفرق والمذاهب، ويقبلها كل الفرق والطوائف: للإشراف على شئون الإسلام والمسلمين في مواجهة التَّنصير وأساطيله.

٢- ضعف الإمكانيات المادِّية للجمعيات الإسلامية، مقارنة بالإمكانات الكبيرة للمؤسسات التَّنصيرية، وغياب التَّنسيق بينها في ظل تضافر الجهود بين المؤسسات التَّنصيريَّة على الرغم في اختلافها الكنيسة والمذهبية.

٣- غياب خطة علمية مدروسة واضحة وواقعية لمجابهة خطر التَّنصير، وعدم تركيزها على الأولويات، واستغلالها لصالح الدعوة، وردع التَّقدم التَّنصيري التَّغريبي.

٤- افتقار العناصر القيادية في كثير من الجمعيات إلى ثقافة إسلامية مؤصلة، وكفاءة إدارية للتعامل مع التَّنصير، بخلاف الجمعيات التَّنصيريَّة التي يقودها علماء ومتخصصون في كافة المجالات الدِّينية والفكريَّة، والثَّقافية والطبية، وغيرها.

٥- وجود جمعيات وَهْمية أو شكلية لتحقيق مصالح شخصية؛ ممَّا يعيق جهود الجمعيات الصَّحيحة، ويشوّه سمعتها في سعيها لبيان خطر التَّنصير.

٦- غياب امتيازات وحصانة دبلوماسية حكومية، أو دولية للجمعيات الإسلامية الحقيقية، بينما تتمتّع المؤسسات التنصيرية بامتيازات كبيرة تحميها الهيئات الدولية والقنوات الدبلوماسية.

المبحث الثالث

التنصير في وسط إفريقيا

الأوضاع في وســـط إفريقيا قد تكون أسوأ من شرق وغرب إفريقيا: إذ إن المسلمين في معظم دول الوســـط هم أقلية، مقارنة بدول شـــرق وغرب القارة، فيما عدا دولة تشاد والتي تتجاوز فيها نسبة المسلمين ٨٥٪ من تعداد السكان.

كما أن الكنائس الغربية اهتمت بدول وسط إفريقيا منذ وقت مبكر بشكل خاص، وكثفت جهودها في هذا الإقليم لبناء حاجز نصراني في الوســـط يفصل شمال إفريقيا المسلم عن جنوبه الوثني، ومن ثَم وقف التمدد الإسلامي في القارة.

الحراك التنصيري في وسط إفريقيا

(الكونغو الديمقراطية نموذجا)[١]

تُعَدّ (الكونغو) عملاق منطقة إفريقيا الوسطى من حيث المساحة والإمكانيات الطبيعية، وتتميز بموقعها الاستراتيجي في قلب القارة، وتشكّل محورًا للانطلاق لبقية دول المنطقة، لذلك سعت الدول الغربية لفرض سيطرتها على الأوضاع فيها، واعتبارها قاعدة للانطلاق نحو المناطق الأخرى، وكذلك للحدّ من انتشار الإسلام واللغة العربية فيها، وقطع التواصل مع العالم الإسلامي والدول العربية، وللسيطرة كذلك على مواردها.

فالكونغو تمتلك ما قيمته ٢٤ تريليون دولار أمريكي من الثروة المعدنية غير المستغلة، وهي تعادل إجمالي الإنتاج المحلّي لأوروبا والولايات المتحدة معًا، كما تمتلك أكبر احتياطي من الكوبالت، وكميات ضخمة من (الماس، والذهب، والنحاس، واليورانيوم) الموجود في العالم: وهذا يجعل منها أغنى دولة محتملة في العالم[٢].

مدخل تمهيدي:

اهتمّت أوروبا والكنيسة بمنطقة (الكونغو) قديمًا، وذلك لموقعها المميز في قلب القارة الإفريقية ومواردها الضخمة، وصل إليها البرتغاليون عام ١٤٨٢م، وهم أول مَن نزلوا على مصبّ نهر الكونغو، وأقاموا علاقات دبلوماسية مع (مملكة الكونغو)، وتمّت زيارات منها إلى البرتغال والفاتيكان مقرّ رئاسة الكنيسة الكاثوليكية، ولذلك اتخذت مملكة الكونغو (الكاثوليكية) ديانة رسمية لها، ونصّبت عددًا كبيرًا من مواطنيها كهنة كاثوليك.

وكذلك أرسل ملك بلجيكا ليوبولد الثاني منذ العام ١٨٧٥م بعثات لاكتشاف مناطق حوض الكونغو، وأنشأت بلجيكا محطات علمية وتجارية وتبشيرية، لفرض سيطرتها على تلك المناطق وما حولها، لأهميتها الاقتصادية، وقد عمل الاستعمار البلجيكي على تنصير الرجل الإفريقي، وتحويله شيئًا فشيئًا إلى رجل بلجيكي في تفكيره وسلوكه الاجتماعي ومعتقداته.

ونالت (الكونغو) استقلالها في ٣٠ يونيو ١٩٦٠م، وكانت تُسمّى (زائير) بين عامي ١٩٧١م

---

(١) د. جمال عبد الرحمن يس، جامعة إفريقيا العالمية.

(٢) تحدي الكونغو.. دراسة حالة من حالات الضغوط في دولة مستقلة، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ص ٣٢.

و١٩٩٧م، ثم أصبحت تُعرف باسم (الكونغو)، وتُدعى أحيانًا باسم (الكونغو كينشاسا) نسبةً إلى عاصمتها؛ لتمييزها عن (جمهورية الكونغو) التي تُسمّى أحيانًا (الكونغو برازافيل)[١].

ولا تزال (الكونغو) حتى اليوم هدفًا لعملية التنصير وجهود الكنيسة، من خلال أساليب ووسائل متعددة، وهذا ما يهدف الباحث إلى كشفه وبيان خطره، لعلّ ذلك يدعو إلى مؤازرة المسلمين لإخوانهم في ذلك البلد.

الاستعمار رائد التنصير في الكونغو:

ترسّخ الإسلام في (الكونغو) قديمًا، ومنذ عام ١٨٣٠م أخذ في الانتشار بفضل التجار العرب الذين قدموا إلى (الكونغو) بغرض التجارة، فدخلها من الكاميرون والجابون وبلاد السودان، وأسلمت أعداد كبيرة من الناس، خصوصًا في المناطق التي تقع شرق الكونغو (جوما - مانيماما)، وتمّ إنشاء المساجد، وترسَّخ النظام الإسلامي في حياة السكان، حتى مجال القضاء، فأصبحت هناك محاكم للمسلمين وأخرى لغير المسلمين.

وحتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر أصبح جزء كبير من (الكونغو) يدين بالإسلام، ويُدار وفق نظام الخلافة الإسلامية، وكان الخليفة في ذلك الوقت هو الشيخ عبد الرحمن الشهير باسم (تيبوتيبو)، ويشهد لذلك أنه عندما وفد ممثل بلجيكا (ليفنجستون) ووجد المسلمين حينها أكثر نظامًا. طلب التفاوض معهم؛ حتى يدخل (الكونغو) من خلال الجزء الأكثر نظامًا واستقرارًا وأمنًا[٢].

عمل الاحتلال على محاربة الإسلام والتمكين للمسيحية، والتي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الدخول للكونغو بعد الإسلام، ولكنها سرعان ما انتشرت بفضل دعمها بالإمكانيات من قِبَل الكنيسة والدول الغربية، وبخاصة بلجيكا و(الفاتيكان)، والتي تمّ توظيفها في بناء الكنائس والمدارس والمستشفيات والمراكز الثقافية والأندية والجامعات، وغيرها من المؤسسات التي تمّ طبعها بالطابع النصراني.

استفادت الكنيسة من سياسات الاحتلال البلجيكي، والقوانين والإجراءات التي وضعها لمحاربة الإسلام والمسلمين، وخدمة الكنيسة، والمواطنين الغربيين الأجانب الذين يعملون في المشروعات التنموية في (الكونغو)، وبخاصة إنتاج المعادن، كما أنّ الحرب الطويلة التي مرّت بها البلاد والفقر والأمراض وضعف الوعي لدى المسلمين الكونغوليين ساهم في تقوية

(١) محمود السيد: إفريقيا والأطماع الغربية، الناشر مؤسسة شباب الجامعة.

(٢) نور الدين عوض الكريم إبراهيم: أساليب المنصّرين في الصدّ عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ص ١١٨.

شوكة الوجود الكنسي بالكونغو، وكانت البعثات التبشيرية التنصيرية التي وصلت للبلاد جزءًا من قوى الاستعمار إلى حدٍّ كبير، مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود الغربيين[١].

وقد استطاع الاستعمار البلجيكي -الذي كان أهمّ أهدافه نشر المسيحية في القارة الإفريقية- أن يغرس روح الكراهية المفرطة نحو الإسلام والمسلمين في (الكونغو)، خصوصًا في منطقة (كاسونجو)، حيث تعرّض المسلمون للاضطهاد والتعذيب والسجن، والنفي والقتل، وأكبر شاهد على ذلك إبادة الاستعمار في ١٨٩٣/٤/٢م لما يقارب خمسة وأربعين ألف مسلم[٢].

الكونغو وخريطة المشروع التنصيري لإفريقيا:

يُعَدّ الكرسي البابوي (الكونغو) رأس الحربة للتنصير في القارة الإفريقية: لذلك اهتمّ بها من خلال الزيارات والمؤتمرات التي عُقدت بشأن تنصيرها، وما يؤكد ذلك زيارة البابا يوحنا الثاني في العام ١٩٨٠م لها، وافتتاحه لبعض المشروعات التنصيرية، والملاحظ أنّ الوفود البابوية لم تنقطع عن زيارة (الكونغو الديمقراطية).

كما عُقدت العديد من المؤتمرات وورش العمل الداخلية والخارجية[٣]، والتي بحثت جميعها سبل تطوير العمل التنصيري، والحدّ من المدّ الإسلامي الذي يشكّل حجر عثرة أمامه، وذلك بمساعدة عناصر من مبعوثي الفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي، وغيرهما من الواجهات الكنسية العالمية.

يمثّل المسلمون في (الكونغو) ما بين ١٠ - ١٥٪ من عدد السكان، أي حوالي ٩ ملايين مسلم، ويلاحظ أنّ معتنقي الإسلام أكثر من عدد الذين وُلدوا مسلمين، ومع ذلك تشير معظم الإحصائيات إلى أنّ عدد المسلمين في (الكونغو) تناقص إلى أقلّ من النصف، فبعد أن كان عددهم ٢٠ مليون نسمة عقب الاستقلال في مطلع الستينيات من القرن الماضي: تناقص الآن إلى قرابة ٩،٦ ملايين مسلم!

---

(١) تقرير وضع الإسلام والمسلمين في جمهورية الكونغو الديمقراطية، إعداد الشيخ عبد الله بالكثار وآخرين، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، منظمة الدعوة الإسلامية، الخرطوم ٢٠١١م، غير منشور.

(٢) أكّد ذلك محافظ الكونغو لاحقًا السيد بيكر في العام ١٩٢٢م، حيث تمّ العثور على مقابر جماعية لحوالي ٦٠٠٠ ألف مسلم من الذين قُتلوا في منطقة (كيروندوا). انظر: التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، ص ١٩٠.

(٣) توفيق وهبة: الإسلام في مواجهة أعدائه، مجلة المجتمع، العدد ٤٨، ١٩٨٠/٥/٢م، ص (٤٢٤، ٤٤٥)، أهم المؤتمرات الكنسية التي تُعقد بصورة منظمة: مؤتمر المفكرين الكاثوليك في (كينشاسا)، وخلاله يتمّ وضع السياسات والخطط للعمل التنصيري في البلاد، كذلك هنالك مؤتمرات للأساقفة.

وذلك يعود إلى الآتي[1]:

١- السياسات الاستعمارية التي ربطت التعليم الأكاديمي بالتنصّر:

فقد حرم ملك بلجيكا المسلمين وأبناءهم من التعليم إلا إذا تنصّر الأبوان، ولا تزال آثار هذا الحرمان باقية حتى اليوم؛ فانتشار الجهل في أوساط المسلمين الكونغوليين (٨٠٪ أميون) أثّر سلبًا في أوضاعهم الاجتماعية، ومشاركتهم في القطاع الحكومي، ومعاناتهم كسب لقمة عيش كريمة؛ حيث إنّ (٩٠٪ عاطلون).

٢ - فرض الحرب والقتال:

خصوصًا في المناطق التي يتمركز فيها المسلمون، وكان نتيجة ذلك أن مات وتشرّد الكثيرون، وتفكّكت كثير من أسر المسلمين، كما استغلت الكنيسة ظروف الحرب لإجبار المسلمين على ترك الإسلام.

كما قامت حركة التنصير في (الكونغو) بالهيمنة على كلّ البنى التحتية والأنشطة في البلاد (السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والتربوية)، وذلك من خلال الآتي[2]:

١- سياسيًا.. السيطرة على اتخاذ القرارات ورسم السياسات وتوظيفها لمحاربة المسلمين: حيث لم يتمّ الاعتراف بالإسلام بوصفه ديانة في (الكونغو) إلا بعد زمن طويل، وذلك بعد الاستقلال عام ١٩٧٢م، بواسطة المرسوم الدستوري رقم ١٩٤/ ٧٢؛ من قِبَل الرئيس (موبوتو سيسي سيكو).

٢- تربويًا.. بربط التعليم بالكنيسة: وتوظيف مناهجه لفرض عقيدتهم وأفكارهم، وحرمان المسلمين منه، والتضييق على تعليمهم الخاص.

٣- إعلاميًا.. الهيمنة على الإعلام ووسائله: فهناك أكثر من ١٥٠ قناة تلفزيونية وإذاعية للحركات التنصيرية، وليس للمسلمين أية وسيلة إسلامية لنشر دعوتهم.

٤- فتح الباب للمنظمات الطوعية التنصيرية، وبخاصة منظمات الإغاثة الغربية المنتشرة وسط المجموعات المسلمة: وذلك للمساهمة في تنصير المسلمين، ونشر المفاهيم المخالفة للإسلام بينهم.

٥- الحدّ من نشاط التجار المسلمين: فركزت الكنيسة على الدخول في الأنشطة التجارية والزراعية، وأنشأت لها مشروعات حول محطات الإرساليات لتدريب المنصّرين،

---

(١) مقال: التنصير في غرب إفريقيا.. العمل بعيدًا عن ضجيج الإعلام، همة برس، خاص بموقع المسلم، ١٤٣٠/٧/٧هـ.

(٢) تقرير: وضع الإسلام والمسلمين في جمهورية الكونغو الديمقراطية، مرجع سابق، جريدة الشعب: ٢٠١٢/١٠/٢م مقابلة مع الشيخ فامبا علي حميدي مفتي الكونغو الديمقراطية.

والاستفادة من الجدد منهم في الوقوف ضد التجار المسلمين، ويؤكد ذلك تصريح منظمة (كاريتاس) الكنسية في (الكونغو)؛ بأنها تمد المزارعين المستهدفين بالتنصير بالبذور والأسمدة للتغلب على البطالة، وتساعد المنصِّرين على فتح مشروعات، مثل المخابز وورش العمل وغيرها.

ونلاحظ اعتماد الكنائس، وبخاصة الكاثوليكية. في نشرها للنصرانية في (الكونغو)، على العديد من الخدمات التي تقدّمها في مجالات الصحة والتعليم والإغاثة، وإنشاء المراكز التنصيرية؛ حيث تمتلك الآلاف من المدارس والمستشفيات وعشرات الجامعات وكليات اللاهوت، إضافة إلى المراكز الصحية وملاجئ العجزة والمعوقين، ومعسكرات مرض الجذام، كما لها منظمات للشباب وتدريبهم، ودور للمرأة، ومعاهد فنية، ومعسكرات ومراكز تدريب متخصّصة في مجالات عديدة[١].

أدّت هذه الجهود التنصيرية إلى اعتناق قرابة ٧٥٪ من الكونغوليين النصرانية، واستفاد المشروع التنصيري من معاناة المسلمين الفقر الشديد والجهل والمرض، والتهميش السياسي والاقتصادي، وذلك بمساعدة الحكومات الكونغولية المتعاقبة، وأسهم ذلك في ارتداد ملايين المسلمين للحصول على التعليم والدعم المالي الذي تقدّمه الآلاف من المنظمات التنصيرية المنتشرة في (الكونغو)[٢].

(١) مقابلة أجريت مع مجموعة من طلاب الكونغو الديمقراطية، ٢٠١٢/٧/٢٥م، بالسودان - الخرطوم. ومقابلة مع الشيخ موديلو واماليما - أمين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في الكونغو الديمقراطية -.

(٢) مقابلة مع قسيس كونغولي اهتدى للإسلام، المرصد، مركز مبارك قسم الله الخرطوم، ع ٦، مايو ٢٠١١م.

المؤسسات التنصيرية.. استراتيجياتها وأساليبها

نشطت المؤسسات التنصيرية في (الكونغو) نشاطًا واسعًا في بداية عملها، خصوصًا في أواسط القبائل الوثنية، منذ أواخر القرن قبل الماضي، وبعدها أخذت تتقدّم شيئًا فشيئًا إلى مناطق المسلمين، واتبعت عدة استراتيجيات، واستخدمت وسائل وأساليب مختلفة.

من هذه الأساليب ما يأتي[1]:

١- استغلال التعليم في عملية التنصير، وتشجيع الاطلاع على المجلات الخليعة، ومشاهدة وسماع الإذاعات المسموعة والمرئية، والمراسلة بين الجنسين، والموسيقى والغناء والرقص، وربط الشعائر الدينية المسيحية بها لجذب الإنسان الإفريقي.

٢- توفير مكتبات تنصيرية ضخمة في شتّى المدن والقرى، ومطابع كثيرة، وقامت منظمة (كوردید) الهولندية بطباعة الأناجيل والكتب التنصيرية باللغات واللهجات المحلية لتوزيعها على المسلمين في مناطق النزاعات.

٣- إنشاء ملحقات اللاهوت، لتخريج أساقفة ومعلّمين لتدريس الدين المسيحي، وتحفيز المنصّرين بالابتعاث.

ومن الوسائل والأساليب كذلك[2]:

١- دعم النشاط المحلّي للمسيحيين في البلاد.

٢- الاهتمام بالخدمات الصحية، وتقديم العلاج والأدوية للمرضى.

٣- بناء الكنائس في المناطق التي لم تعرف النصرانية، ومن سياستهم في ذلك أنه كلما قام المسلمون بتشييد مسجد أسرعوا ببناء كنيسة أو أية مؤسسة كنسية في الأرض المجاورة لهذا المسجد.

٤- استغلال بعض منظمات الأمم المتحدة المتخصّصة في تنصير مسلمي الكونغو، مثل منظمة AAB التي لها العديد من المكاتب في مدن الكونغو المهمّة، مثل: (كسنجاني، وكيفو، ولومومباشي)، ذات الأغلبية المسلمة.

٥- تقديم الدعم والمساعدات للفقراء؛ ومن ذلك ما تقوم به منظمة (مجد يسوع)، ومنظمة (الإخوة الكومبونيون)، التي رصدت مئات الإعانات لكفالة الأيتام وتمويل نفقات تعليم

---

(١) لقاء مع الشيخ جمال لومومبا رمضان، رئيس المجلس الأعلى بالكونغو، شبكة الإسلام اليوم، ٢٠١٢/١٠/١م.

(٢) أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في إفريقيا، مرجع سابق، ص ٢٠١.

أغلب الأطفال في المدارس؛ لإغرائهم بالارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية[١]، مستغلين عجز كثير من الأسر المسلمة عن دفع المصروفات الدراسية التي تتراوح ما بين (٢٠ - ٥٠) دولارًا، فيضطرون إلى ترك الدراسة[٢].

٦- تقديم المعونات والإغاثات مستغلين أجواء الصراعات والحروب، ومن ذلك تقديم المعونات الطبية والغذائية لنحو ثلاثين ألف مهاجر شردتهم الحروب، وغالبيتهم من المسلمين، ما دفع أعدادًا منهم للتنصّر.

٧- نشر الخرافات، والوعود، والادعاءات، للترغيب في المسيحية.

إضافة إلى اتباع ما تقدّم اتبعوا الأسلوب المباشر والدعوة العلنية متى كان ذلك ممكنًا، في قاعة خاصة أو في حديقة، وفي شكل أحاديث مباشرة أو حوارات أو ندوات أو مناقشات، لمجموعات صغيرة، ودراسات إنجيلية في الكنائس والبيوت وأماكن العمل، وهذا الأسلوب المباشر يفضله المنصّرون؛ إلا أنه يحتاج إلى حكمة وحنكة منهم، خصوصًا في المجتمع الكونغولي الذي تتعدد فيه القوميات والديانات.

أما أسلوب المحاضرات والمناظرات العامّة؛ فتعتمد عليه الكنائس غير الكاثوليكية، وبخاصة البروتستانتية، والبروتستانتية المستحدَثة التي انشقت عنها، وبدأت تنتشر في البلاد، وكذلك الكيمبانجية[٣].

يلاحظ مما تقدم أنّ التنصير في الكونغو اتبع استراتيجيات عديدة؛ منها ما يتصل بالكوادر والنُّخَب والقيادات، ومنها ما يركز على المؤسسات، وعلى رأسها مؤسسات الدولة، إضافة إلى التنمية والخدمات، ومن الاستراتيجيات التي انتهجتها بعض المنظمات التنصيرية استراتيجية (من بيت إلى بيت)، والتي تعمل على توصيل الكتيبات التي تدعو للنصرانية إلى جميع بقاع البلاد[٤].

كذلك إشعال الحروب في مناطق تركّز المسلمين، مثل: مناطق كيفو، ومنطقة سيكك، ومنطقة ماسيس التي تضمّ عددًا من المنشآت الإسلامية الكبيرة، وبخاصة المساجد الأربعة التي شيدتها (منظمة الدعوة الإسلامية) في ٢٠١١م، إلا أنه نتيجة لعدم الاستقرار والأمان

---

(١) تصريحات الشيخ موديلو واماليما، الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية الكونغو الديمقراطية، موقع المسلم اليوم.

(٢) الشيخ جمال لومومبا رمضان، مرجع سابق.

(٣) (كميبانجو) رجل ادّعى النبوة، وأنه أرسل إلى شعب أسود لينقذه - وذلك حسب اعتقاده -، وكان يفعل بعض الخرافات والدجل وبعض الأمور الخارقة للعادة، فعدّه الناس في الكونغو نبيًا، فنشأ هذا الدين، وله انتشار كبير حاليًا في الكونغو الديمقراطية.

(٤) كرم سلبي: الإذاعات التنصيرية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩١م، ص ٤٥.

فقد هرب المسلمون إلى رواندا والحدود المجاورة، فهُجِرَت المساجد، ودُمِّر بعضها: نتيجة أعمال العنف والقتال، ففي رمضان الأخير صعُب على المسلمين أداء شعائرهم الإسلامية، وبخاصة إقامة صلواتهم الخمس[١].

كما استخدم التنصير العديد من الوسائل والخطط بعيدة المدى؛ حيث لجأ إلى تنويع الكتاب والخطاب المقدّم للمسلمين الكونغوليين، من خلال مادة تراعي الجوانب النفسية لهم وعدم استفزازهم، وتنبيه الذين تدرّبوا على العمل وسط المسلمين على عدم تقديم عقيدة الثالوث الأعلى، مع إعداد مراكز التدريب المهيأة لاستقبال المنصّرين من المسلمين، من خلال كنيسة غير معلن عنها خالية من الصور المسيحية، وكلّ ذلك عبر كوادر مدربة عملت في مناطق المسلمين، ولها خبرة ومعرفة بالتاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية والقرآن الكريم[٢].

جدول يوضح أهم المنظمات الكنسية في الكونغو

(الجدول من إعداد الباحث)

المنظمة	النشاط	مكان عملها	ملاحظات
كاريتاس	الإغاثة، وكلّ الأنشطة الخدمية: (تعليم، صحة..)	كاساي في الجنوب، مناطق بوكافو، وكسنجاني، في الشرق.	إيطالية، تابعة للفاتيكان، لها إمكانيات ضخمة.
كورديد	إغاثة، طباعة الأناجيل والكتب التنصيرية.	كاساي، كنتلسا، كسنجاني.	هولندية.
AAB	كلّ أنواع الإغاثة (غذاء، علاج..)	كسنجاني، كيفو، كينشاسا، لومومباشي	تابعة للأمم المتحدة
كريستيان رو (مجد يسوع)	إغاثة، تعليم، علاج في مناطق المسلمين	كينشاسا، بوكافو، لومومباشي	مدعومة من مجلس الكنائس العالمي

(١) حركة إم ٢٣ (m٢٣) -استنادًا إلى ذكرى ٢٣ مارس-؛ حيث قررت حكومة الكونغو دمج المتمردين في شرق الكونغو في الجيش، ولم يتم ذلك، مما دفعهم إلى حمل السلاح والتمرد.

(٢) الإذاعات التنصيرية، مرجع سابق، ص ٤٥.

ملاحظات:

١- الجدول أعلاه لا يغطّي كلّ المنظمات العاملة وفروعها، ولكن يغطّي المنظمات الضخمة صاحبة الإمكانيات والمجهود الكبير.

٢- تعدد جنسيات المنظمات، وتنوع أنشطتها، وتغطيتها لمعظم المجالات.

٣- استغلال المنصّرين للفقر والجهل والمرض، وخصوصًا في أماكن الوجود الإسلامي، فالعاصمة (كينشاسا) يوجد بها حاليًا أكثر من ٩٥٠ ألف مسلم، وهنالك خطة موضوعة لتنصير نصف مليون مسلم في الكونغو خلال العام الحالي والقادم من قِبَل الكنيسة ومشروعاتها السرية في (الكونغو).

٤- تخصّص بعض المنظمات، كمنظمة (كاريتاس)، في تنصير الأطفال.

٥- المنظمات مدعومة بإمكانيات مالية ضخمة، وما يؤكد ذلك تغطيتها للخدمات، حتى دخولها في مشاريع البنية التحتية.

الكنيسة والتعليم في الكونغو:

قامت الكنيسة في مجال التعليم في (الكونغو) منذ فترة الاستعمار بتبنّي الأطفال الصغار من الجنسين ذكورًا وإناثًا لسنوات طويلة، وأغلب هؤلاء الأطفال ممن تمّ شراؤهم من تجار الرقيق، وأنشأت المدارس الحديثة، ووضعت إدارتها في أيدي الإرساليات التنصيرية التي كانت تهتم بتهيئة التلاميذ وتنصيرهم. إلا أنّ الأغلبية الساحقة من المسلمين تقاطع هذا النوع من التعليم منذ استقلال (الكونغو).

كما استخدمت السلطات في (الكونغو) التعليم أداةً للضغط على المسلمين لإجبارهم على ترك دينهم والتنصّر، ووسيلة للحدّ من انتشار الإسلام، وخصوصًا في المناطق الوثنية: عن طريق[1] منع أبناء المسلمين وبناتهم من دخول المدارس أو الجامعات إلا إذا ارتدوا عن الإسلام، وغيّروا أسماءهم، وكذلك قامت ببناء المدارس والكنائس وربطتها بالخدمات الأخرى، كالمستشفيات، وتقديم الغذاء، وكفالة الطلاب، وبخاصة المشردين؛ لتشجيعهم وتشجيع أسرهم على ترك الإسلام، مما يؤثر في عقل المواطن الكونغولي البسيط ونفسيته، وذلك باعتبار أنّ هنالك جهة تهتم به أكثر من غيرها، وهي المؤسسة التنصيرية وليس الإسلام والمسلمين.

ونتيجة لهذه السياسات نجد أنّ أعدادًا كبيرة من الشباب المسلم غير متعلمة، حتى إنه

---

(١) الطيب زين العابدين محمد: الأوضاع التعليمية للأقليات المسلمة في إفريقيا، دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد ٢٦، ديسمبر ٢٠٠١م.

من ضمن ٥٠٠ دارس جامعي في الجامعات الكبرى في (كينشاسا) لا يوجد سوى ١٠٠ دارس مسلم[١].

كما استُغل التعليم في محاربة الإسلام والمسلمين؛ من خلال المناهج التعليمية، فمثلاً: تمّ من خلالها تضخيم المشاركة المحدودة من بعض المسلمين في تجارة الرقيق، وتعمّد إغفال جرائم الأوروبيين الفظيعة في ذلك؛ بهدف زراعة الحقد والكراهية في نفوس الأفارقة ضد الإسلام والمسلمين.

في المقابل؛ لم يحظَ المسلمون في الكونغو بأيّ معاهد دينية إسلامية، وذلك بحجة أنهم أقلية. كما أنّ أوضاعهم متأخرة، وقد حالت الحكومات المتعاقبة في الكونغو دون تطوير التعليم الإسلامي بحجة أنه لا يساهم في ترقية ثقافة المواطنين أو تنمية البلاد[٢]!

الكنيسة والإعلام في الكونغو:

أنشئ أول جهاز إعلامي بالكونغو في عام ١٨٩٢م بواسطة الكنيسة الأنجليكانية، وتمّ افتتاح أول إذاعة في يناير ١٩٣٧م، وهي (إذاعة الكونغو بلجيك) و(إذاعة إفريقيا الوسطى) و(راديو ليو).

ولقد استفاد الإعلام الكنسي من حرب الفضاء الإعلامية، فأنشأ أول إذاعة خاصة له في (كينشاسا) بعد الاستقلال مباشرة عام ١٩٦٠م، ولاحقًا تمّ إنشاء (راديو سانقومالامو) التابعة للكنيسة الأنجليكانية منذ ١٩٩٣م، بالإضافة إلى (راديو كاثوليك أليكا) الذي أنشئ في ١٩٩٥م، و(راديو وتلفزيون رسالة الحياة) الذي أنشئ في ١٩٩٦م، ويتبع للقسيس (ميرناندو كوينت)، وغيرها.

ونجد أنّ الكنيسة البروتستانتية لديها إذاعات كذلك؛ لكنها تركزت خارج العاصمة (كينشاسا)، خصوصًا في إقليم (لوموميباشي)، وإقليم (ميوجي ماي)، وإقليم (يوما)، و(الكونغو السفلى)، ومنطقة (دينيا) في الإقليم الشرقي، وهذه الإذاعات تقدّم برامج ثقافية ودينية، بالإضافة إلى برامج التنمية المستدامة للرجل والمرأة؛ وهو ما جعل للكنيسة دورًا أكبر تجاه المواطن الكونغولي والتأثير في اتجاهاته وسلوكه.

وبالنسبة لوسائل الإعلام الأخرى؛ نجد أن تلفزيون (الكونغو)، ومجلة الأسبوع الإفريقية، وهي مجلة أسبوعية عريقة أصدرها الأب (سبينان جمان لوقال) منذ ١٩٥٢م، وهي تابعة لمؤتمر الأساقفة، أكثر الواجهات التي تبثّ وتنشر البرامج الكنسية، كما توجد أربع صحف يومية.

---

(١) تقرير عن وضع الإسلام والمسلمين في الكونغو الديمقراطية، مرجع سابق.

(٢) جريدة الشعب، مقابلة مع الشيخ فامبا علي حميدي، مفتي الكونغو الديمقراطية، مرجع سابق.

ويمكن القول: إنَّ الكنيسة استفادت من توظيف الإعلام ووسائله في نشر أهدافها، وعملت على تطوير استخدامه، وبخاصة الراديو والتلفزيون، فنجد في (كينشاسا) وحدها ١٣ قناة إذاعية وتلفزيونية تابعة للكنيسة، بل هنالك من يرى أنها أكثر من ٣٠ قناة تلفزيونية إذا أُضيفت القنوات الحكومية المستخدَمة في دعم الكنيسة والتأثير على المسلمين.

إلا أنه قد وُجّهت انتقادات عديدة لتلك القنوات وبرامجها، حتى من المسيحيين الكونغوليين أنفسهم، باعتبار أنّ معظمها لا يعرض سوى الموسيقى، والبرامج الدينية المسيحية المكررة، والتي ملّها المشاهد، وهو ما أضعف إمكانية تأثيرها في المسلمين الكونغوليين، خصوصًا مع وجود تناقضات بين التيارات المسيحية في الكونغو في فكرها وطرحها[١].

وتتجسد قوة تأثير الكنيسة وإعلامها في الحياة اليومية في (الكونغو) في أنه لا يمكن لأي جهة، بما في ذلك الدولة أو الأحزاب أو التجار، أن يخاطبوا الجمهور -خصوصًا في الأرياف- إلا عبر الكنيسة؛ فهي التي تقيم الندوات أو المحاضرات وغيرها؛ لذا أصبحت كلّ الجهات تسعى لكسب ودّ الكنيسة للاستفادة منها في تحقيق البرامج والمشروعات، وبخاصة الدولة.

الكنيسة والسلطة في الكونغو:

الكاثوليكية من أهم الطوائف المسيحية التي أدخلها الاستعمار، وبعد فترة من الزمن انقسمت الكنيسة، وقامت بوضع المنهج الأرثوذكسي، ثم لاحقًا البروتستانتي، وأخيرًا ظهرت مجموعات تدّعي إنقاذ الناس، وابتدعت بعض الأفكار الجديدة، وأصبح المسيحيون في (الكونغو) متفرقين في الآراء والأفكار، خصوصًا حول طبيعة (السيد المسيح)؛ أبشر هو أم إله؟، وهنالك أيضًا الكنائس المحلية.

وعلى ذلك نجد المجموعات الدينية في (الكونغو) موزعة على النحو الآتي[٢]:

الكاثوليك ٥٠٪، البروتستانت ٢٠٪، المسلمون ١٠٪، الكيمبانجويون ١٠٪، الأديان التقليدية التي تؤمن بسلطة الأسلاف والأساطير والخرافات ١٠٪ من إجمالي سكان الكونغو.

وبالرغم من أنّ (الكونغو الديمقراطية) - بحسب دستورها - دولة لا دينية (علمانية)؛ فإنها تتحيز ضد المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى؛ بترسيخ القيم المسيحية في المجتمع، وتقدّم الدعم والمساندة للتنصير.

---

(١) واجهت البرامج الدينية المسيحية الكثير من النقد الساخر من قبل الصحافي تشيو بيي تفوندا؛ حيث كتب مقالات عديدة عن ذلك في صحيفة (لوبو تسييل دو كينشاسا)؛ حيث ذكر: (أصبحت مشاهدة القنوات التلفزيونية مملة جدًا؛ لأنها لا تعرض سوى الموسيقى والبرامج الدينية المسيحية المكررة).

(٢) المسيحية في إفريقيا، برنامج الدبلوم العالي بمركز البحوث والدراسات الإفريقية، سمينار عن المسيحية في الكونغو الديمقراطية، عبد الوهاب الطيب البشر، الخرطوم، ٢٠١٢/٨/١٢م.

وتقوم بإقصاء المسلمين ومحاربتهم بالرغم من اعتراف الدستور بهم، فتصدر الكثير من القرارات والسياسات المناقضة لمصالحهم، وذلك يعود إلى أنّ النّخبة الحاكمة مسيحية كاثوليكية بنسبة ٩٥٪: وهو ما يجعل للكنيسة الكاثوليكية سلطات وتأثيرًا وصلاحيات كبيرة وشبكات في كلّ المجالات، فالدولة تُدار بواسطة المسيحيين؛ ولذلك تمارس الحكومة الكثير من المضايقات والضغوطات على المسلمين، وتمنع بعض أنشطتهم، وتعرقل إقامة بعض الشعائر الدينية الإسلامية، وبخاصة الصلاة، في مجموعات كبيرة.

المؤسسات الإسلامية في الكونغو:

يوجد العديد من المؤسسات الإسلامية العاملة في نشر الدعوة في (الكونغو)، وتُعَدّ (جمعية مسلمي الكونغو) أكبر مؤسسة إسلامية فيها، وتتبعها وحدات إدارية موزّعة على الأقاليم الأحد عشر في (الكونغو)، في كلّ المحافظات، وهي تهدف إلى تأهيل الشباب المسلم وتطويرهم ليساهموا في دعم عجلة التنمية المستدامة.

إلا أنّ الشباب الكونغولي المسلم يرى أنّ نشاط الجمعية غير فعّال بصورة عامّة، وذلك يعود لعدم توفر الدعم المالي، فأغلب الشباب المسلم عاطل، والدولة ليس لديها وظائف، وأغلب الشباب المسلم غير متعلّم[1]، كما أنها لا تُعَدّ مرجعية إسلامية معترفًا بها، وليس لها قوة وسط المسلمين، ما دفع المسلمين للتوجّه إلى إقامة الجمعيات والمؤسسات الصغيرة حسب تقارب وجهات النظر، وداخل هذه الجمعيات تكوّنت مجالس للعلماء والإفتاء.

وتوجد منظمات حكومية محلية وأجنبية تدعم مسلمي الكونغو، ومنظمات أخرى مستقلة، وهي ذات طابع إنساني وثقافي، وتعمل وفق أهداف متفق عليها، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

جدول يوضح أهم المنظمات الإسلامية العاملة في الكونغو الديمقراطية[2]

المنظمة	طبيعة العمل	ملاحظات
الجمعية الخيرية الإسلامية للغات والتنمية	إنسانية	
مؤسسات آل مكتوم	ثقافية	
منظمة الدعوة الإسلامية	ثقافية تعليمية	
مؤسسة القيم	إنسانية	شيعية

(١) تقرير عن وضع الإسلام والمسلمين في الكونغو الديمقراطية، مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) المصدر: تقرير عن وضع الإسلام والمسلمين في الكونغو الديمقراطية، مرجع سابق.

مؤسسة المسلم الكونغولى	إنسانية	تعليم جامعى
التحالف الكونغولي الغربي الإفريقي من أجل الأهداف المشتركة	نظافة وتنمية	
نادي الحاج	وكالة سفر	خدمة حج
ماما انتصار	ثقافية	جمعية نسوية
مركز الإصلاح الاجتماعى	تنمية	
اتحاد شباب مسلمى الكونغو	ثقافية	
كونازي	حقوق إنسان	
المركز الإسلامي (سلامة)	ثقافية	
زمزم	ثقافية	منظمة نسائية
اتحاد المرأة من أجل التنمية	ثقافية	منظمة نسائية
اتحاد المرأة الكونغولية المسلمة	إنسانية	نسائية

ملاحظات:

١- الجدول أعلاه لا يشمل كلّ المنظمات الإسلامية العاملة في الكونغو الديمقراطية.

٢- تنتشر تلك المنظمات في كلّ الوحدات الإدارية للكونغو الديمقراطية البالغة ١١ وحدة.

٣- تستفيد هذه المنظمات من دعم (جمعية مسلمي الكونغو) في تنفيذ نشاطاتها، والتي تتعدد وتتنوع مجالاتها.

وبالنسبة للمؤسسات التعليمية الإسلامية -مع قلتها- يشكو بعضها من الضعف وعدم توفر الإمكانيات، ومن أهمّ الجامعات والمعاهد الإسلامية الموجودة في الكونغو[1]: جامعة المصطفى الإسلامية بالكونغو (شعبية)، ومعهد المسلم في الكونغو، وجامعة الفتح الإسلامية في إقليم شمال (كيفو).

واقع المسلمين اليوم ودورهم في الحياة العامة:

أولاً: الجوانب العلمية والثقافية:

حرمت سياسة الاستعمار البلجيكي أبناء المسلمين من التعليم: مما ساهم لاحقًا في حرمانهم من أن يكون لهم دور فاعل في مجالات الحياة المختلفة، والمشاركة في إدارة شئون بلادهم، وذلك نتاج تخلّفهم في المجال التربوي والتعليمي، فمَن لديهم شهادات عليا

(١) المرجع السابق، ص ٢٧.

يُعــدّون على أصابع اليد الواحدة، وليس لهم جامعات مكتملة، أو حتى معاهد عليا، و٩٠٪ من المســلمين أمّيون، بسبب محاربتهم وفقرهم، فمعظمهم يجدون صعوبة في توفير ما بين (٥٠ - ١٠٠) دولار لإلحاق أبنائهم بالمدارس.

إنّ التعليم الإســلامي فــي الكونغو في تخبّط من حيث المناهج والمراحل والمدرّســين، وفي حاجة إلى تطوير، ويقوم بالتعليم مدرســون من مالي والســنغال وتشاد، ويمارس التعليم الإسلامي على شكل مدارس قرآنية ملحقة بالمساجد والمراكز الإسلامية في معظم المدن، مثل: لبومو، وبوانت نوار، حيث يوجد فيها مركز إسلامي أقيم بجهود ذاتية[1].

ونجد أنه تحت إلحاح الظروف والإغراءات أخذ بعض المســلمين يرســلون أولادهم إلى المدارس الكاثوليكية؛ مما يجعلهم عُرضة للتنصير أو الجهل بدينهم، وهنالك وعود لمن ينهي دراســته الجامعية في (الكونغو) بمنحة دراسية له بالخارج ما دام معتنقًا للنصرانية، وضمان حصوله على وظيفة في أرقى مؤسسات الدولة.

وفي النشــاط العلمي والثقافي والدعوي؛ يُلاحظ غياب المراجع الدينية والمصاحف؛ ما ترتب عليه وقوع المسلمين في مشكلة الأمية الدينية، وعدم وجود الدعاة المؤهلين، خصوصًا أنّ الدورات العلميــة القليلة التي كان يوفرها الأزهر بمصر لتأهيل (٥) دعاة قد توقفت منذ ٢٠٠٥م، وترفض الســلطة المسيحية قبول أي دعوات لمشــاركة المسلمين في أي مؤتمرات أو ملتقيــات خارجية، وهو مــا يحول دون تطوير علاقاتهم بإخوانهم في العالم الإســلامي، وتلقي المساعدات لإنشاء المساجد، ومؤسسات التعليم، والدعوة، وإنشاء المعاهد الإسلامية، وابتعاث الطلاب المسلمين للجامعات الإسلامية، كما ترفض الدولة التدخّل في تنظيم الحجّ، وتقديم أية مســاعدات للحجاج الكونغوليين، باعتبار أنّ ذلك يتعارض مع علمانية الدولة، كما يلاحظ أنّ المعونات التي تصل إلى (الكونغو) من البلاد الإســلامية تقدّم إلى (الكنائس) دون (الرابطة الإســلامية)، وأنّ سفراء (النوايا الحسنة) المسلمين ينفّذون مهامّ التنصير دون أن يشعروا.

وفــي المجال الإعلامي نجد أنّ هناك أكثر مــن ٥٠ قناة تليفزيونية للحركات التنصيرية، بينما لا توجد أي قناة أو وسيلة إعلامية أو صحف خاصة بالمسلمين.

ثانيًا: المشاركة السياسية:

خمسة أعضاء فقط مسلمون من إجمالي (٥٠٠) عضو في البرلمان بنسبة ١٠٪، ولا يوجد غير مســلم واحد في منصب نائب وزير، فالمسلمون ليس لهم كلمة فيما يُطرح من القضايا،

(١) المرجع السابق.

وهم بعيدون عن دائرة التأثير السياسي، ويعانون التهميش التامّ، ومسلمو الكونغو يشكّلون أغلبية في ستة أحزاب فقط، من جملة ٤٠٠ حزب سياسي على مستوى الدولة، وهي[١]:

١- حزب العفاف الجماهيري، ويرأسه السيد موسى كاليماس نقوك زاكو، ويشغل أيضًا منصب السكرتير العام لجمعية مسلمي الكونغو.

٢- حركة المحاسبين الوطنية، برئاسة كومبا كيساكا بارونر، وهو طبيب جراح.

٣- الاتفاقية الإسلامية للتنمية، برئاسة السيد الحاج كوانفر.

٤- الحزب الديمقراطي الإسلامي، برئاسة النقو شاريفو.

٥- حركة القوة الهادئة، برئاسة السيد جبريل، وهو محام.

٦- حزب الحماية لوجه الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

ثالثًا: في المجال الاقتصادي:

الاقتصاد بأيدي النصارى، ومشاركة المسلمين ضئيلة جدًا في تنمية البلاد، فالكنيسة -بما تجده من دعم وإمكانيات- تهيمن على مشروعات التنمية والبنى التحتية في البلاد، وعلى الرغم من أنّ المسلمين من (الهند، وباكستان، ونيجيريا، ومالي، والسنغال، وغينيا) عملوا على تولّي المشروعات الاقتصادية، خصوصًا في الفترة من ١٩٦٠م إلى ١٩٩٧م، فإنّ المسلمين في الكونغو ما زالوا ضعفاء وفقراء.

رابعًا: المجال الاجتماعي:

لا يملك المسلمون أية مؤسسات اجتماعية، فليس لديهم مستشفيات، أو مراكز صحية، أو دور مسنين، أو ملاجئ خاصة بهم، وهناك نقص في المرافق والخدمات التي يحتاجون إليها، وفي ظلّ الحروب تزداد معاناة الكثير من المسلمين في (الكونغو).

وبالنسبة للمساجد لا يوجد في العاصمة (كينشاسا) -وهي أكبر مدينة- سوى مسجدين فقط، أمّا بقية المساجد؛ فهي عبارة عن مصليات صغيرة لا يتسع الواحد منها لأكثر من ١٥٠ فردًا، وفي منطقة (مانيما) نجد أنّ المسجد الذي بناه العرب في منطقة (كيندو)، عندما أدخلوا الإسلام في الكونغو عام ١٨٠٠م، أصبح كنيسة حاليًا، ولا يُسمح للمسلمين بإقامة مسجد في ثكنات الجيش أو السجون أو المستشفيات، أمّا المسيحيون ففي كلّ هذه الأماكن لهم كنائس، والمسلمون عاجزون عن ترميم ما تهدّم من مساجدهم.

وفيما يتعلق بالمناسبات؛ فإنّ المسلمين لا يُمنَحون إجازة في الأعياد، وإذا غاب أحدهم

---

(١) دليل الدول الإفريقية، محمد عاشور، موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

عن العمل تتم مجازاته ومحاسبته، بينما هنالك عطلة رسمية في الأعياد المسيحية.. وفي مواجهة المنظمات والجمعيات التنصيرية: فالمنظمات التنصيرية يُقدّر أعدادها بالآلاف، ولا توجد إلا منظمتان إغاثيتان مسلمتان فقط، هما: (منظمة الدعوة الإسلامية) السودانية، و(مؤسسة آل مكتوم) الإماراتية.

وحسب إفادة الشيخ عبد الله مانجالا رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية الكونغو الديمقراطية: فإنه لا يوجد هناك محاكم شرعية فيما يخص مشكلات الأحوال الشخصية أو المواريث، لذلك تمّ تشكيل مجالس للمشايخ والعلماء في مناطق أغلبية المسلمين لحلّ هذه المشكلات؛ بشكل يحول دون أن يتقدّم الشاكي أو المشكوّ إلى محاكم حكومته[1].

(١) مقابلة أجريت مع الشيخ عبد الله مانجالا، بموقع الإسلام اليوم، انظر: http://islamtoday.net/nawafeth/mobile/zview-47-7353.htm

الفصل الخامس

سبل مواجهة التنصير

الفصل الخامس
سبل مواجهة التنصير

تمهيد:

الحديث عن موضوع مكافحة التنصير في إفريقيا تختلط خيوطه بموضوع نشر الإسلام في إفريقيا، فكأن الموضوعين موضوع واحد تعدّدت أسماؤه، بل نرى أنه واحد لأسباب كثيرة.

فلولا تقصير أجيال الأمة في العصر الحديث في واجب الدعوة إلى الله، وفي تنفيذ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران : ١١٠]: لَمَا وجد التنصير أرضًا يضع قدمه عليها في إفريقيا، أو في غيرها من بقاع الأرض، ومن العجيب أن الآية خُتمت بتوجيه أهل الكتاب إلى الإيمان بالله، فكأن في هذا إشارة إلى اقتران الدعوة إلى الإيمان بالله بوصف حال أهل الكتاب.

فحديثنا إذن عن مكافحة التنصير هو حديثنا عن نشر الإسلام، وأفضل وسيلة لمكافحة التنصير هي نشر الإسلام، فلم يبقَ إلا أن نتحدّث عن كيفية هذا العمل بعد أن توصلنا إلى تحديد ماهيته.

وقبل الخوض في بيان دور المنظّمات الإسلامية فلا بد من تحديد الفئة المستهدَفة بهذا المجهود وميدان الصراع من أجل مكافحة التنصير، وطبيعي أننا لا نتكلم عن مكافحة التنصير في بلاد إسلامية يحكمها المسلمون، وتسود فيها الثقافة الإسلامية، مهما كان تمسّك المجتمع بها قليلاً، فهذه يُعد التنصير فيها فكرًا وافدًا لا تتخصّص فيه منظّمات، إنما يقوم بواجب دفعه ومكافحته عامة الدعاة والعلماء.

إذن فنحن نتكلم عن مناطق تسودها عقائد غير سماوية، ولا معنى لحماية هذه المجتمعات من التنصير ثم تركها على ما هي عليه من أديان، فالكفر ملّة واحدة، وهذا يعود بنا إلى ما قرّرناه سابقًا من أن مكافحة التنصير تكون بنشر الإسلام.

المبحث الأول

النشاط الدعوي الإسلامي[١]

الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فالمواجهة العملية أن نقدم للآخرين من مسلمين وغير مسلمين البديل الذي نعتقد أنه الحق، وهو الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وجاءت به سنة المصطفى محمد - صلى الله عليه وسلم-.

وأساليب الدعوة متعددة ومتنوعة، وبعضها يناسب مجتمعات ولا يناسب أخرى. فالدعوة المباشرة أسلوب، والدعوة بالإغاثة أسلوب، والدورات أسلوب، والمنح الدراسية أسلوب، وكل ما يحقق الهدف ولا يتعارض مع الشرع أسلوب تفرضه أحيانًا الحال أو الزمان أو المكان. ١

والدعوة إلى الله تعالى تتطلب العلم الشرعي أولاً، ثم الفقه فيه. وهما يعدان من أوليات مؤهلات الداعية إلى الله تعالى، وقبل ذلك وبعده الدعوة بالقدوة. فكم دخل الإسلام مهتدون بسبب ما وجدوه من القدوة في التعامل والمعاملة والسلوك.

والمتتبّع لتاريخ الدعوة الإسلامية في قارة إفريقيا يجد أن الأسلوب المتّبع والناجح - بشهادة الواقع - يعتمد على تهيئة مجموعات دعوية (كوادر) من أبناء المناطق المستهدفة: لتتولّى هذه الكوادر الدعوية مهمّة الدعوة وسط أبناء قومهم، أو عن طريق نزوح العلماء وطلاب العلم والدعاة الوافدين إلى المناطق المستهدَفة وإقامتهم فيها، وتداخلهم مع أهلها بما قد يصل إلى درجة الزواج من أبناء تلك المناطق، ولا تزال قبور هؤلاء الدعاة والعلماء الوافدين السابقين شاهدة على ذلك.

وهذه الركيزة التي اعتمد عليها أسلافنا الكرام مستقاة من نصوص القرآن الكريم: إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم : ٤]، فإن كانت هذه الصفة متوفّرة فيمَن يبعثهم الله من الأنبياء فتوفّرها فيمَن يسيرون على خطاهم هو من باب أولى.

معوقات العمل الدعوي في إفريقيا:

هناك صعوبات كثيرة، ومعوّقات مختلفة تواجه الدعوة الإسلامية المعاصرة في إفريقيا،

---

(١) هارون المهدي ميغا، باحث من جمهورية مالي - قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية بالرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تتفـاوت فيها بيئات القـارة ودولها ومدنها من حيث القوّة والضعف، والأسـباب والمظاهر، والأشخاص الذين يضعونها، لكن لا تكاد تخلو بيئة من معظمها.

وليس يخفى على القارئ الكريم أنّه يمكن تقسـيم هـذه المعوّقات إلى داخليّة: من صنع الدعاة أنفسـهم وأسـاليبهم وبيئتهم المحليّة، وخارجيّة: من صنع البيئة الخارجيّة بأساليبها المختلفة ووسائلها المتنوّعة.

فمن أهم تلك المعوقات:

أولاً: اختلاف التضاد بين العاملين في ساحة الدعوة لدرجة التناحر -أحيانًا-:

ولم يخلُ منه بعض العلماء وخرّيجي الجامعات الإسلاميّة الذين يُنتظر منهم أن يكونوا أداة توحيد الكلمة، ووسـيلة إصلاح واسع في المجتمعات الإسلاميّة، عقديًا وعلميًا وعمليًا.. إلخ. وإذا كان وقوع الاختلاف سنّة من سنن الله بسبب تفاوت الناس في العقل والعلم، وفي التجربة وبُعد النظر أو قِصَره، وفي الفهم والإدراك وامتلاك وسـائل الاسـتنباط وحسن استعمالها، وفيمـا يتطلّبه ذلك كلّه من مراعاة الأحوال، وفقه الواقع، والقدرة على الموازنة لتقديم الأهمّ فالمهـمّ، وكان وقوع الاختلاف - أيضًـا - تمحيصًا للمختلفين، ليذهب الزبد ويبقى ما ينفع الناس، إذا كانت هذه كلّها أمورًا مسـلَّمًا بها؛ فإنّ العيـب في الاختلاف هنا أن يُنتج العداوة والبغضاء، والتقاتل والتنابذ. مع سموّ القصد ونُبله، واتحاده - تارة - (حيث يكون الاختلاف فقط في المنهج والوسـائل، وفي الأحقّ بالتقديم)، ذلك الهدف هو نشر الدين الإسلاميّ في ضوء الكتاب والسنّة، والرغبة في التمكين له في هذه المجتمعات الإفريقية.

لعلّ الأسباب الرئيسة لهذا النوع من الاختلاف (اختلاف التضاد) هي:

أ- الابتعاد عن الحكمة والموعظة الحسـنة، وعن الرفق واللين، وعن التيسـير والتبشير. وعن البصيرة والمجادلة بالحسنى، وقد قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥]، وقال: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٨].

ب- جهود بعض المؤسسـات الإسـلاميّة، وكذلك الأفراد. في تغذية الحزبية والتفرقة، حتـى بين مَن يُعتقد - حقًـا - أنّهم طائفة واحدة، كأهل السـنّة والجماعة - مثلاً -، تلك المؤسسات قد تستعمل وسائل عدّة للضغط، وبخاصة المساعدات الماليّة، وقد تسيء عرض بعض الألفاظ، فيُساء فهمها، وتُرمى بالباطل فيما هو الحقّ، حتى بين المتفقين على مضمونه المسـلّمين جميعًا بصحته، خذ مثلاً بعض أهل السنّة والجماعة السائرين على منهاج السلف الصالح، حيث تجدهم في بعض الدول ينقسّـمون إلى أهل السنّة والسلفيّة، وإلى أهل السنّة

ومجلس أعلى لشئون الإسلام، وإلى أهل السنّة و«دانْ إزالة» (أي: أبناء إزالة البدعة وإحياء السنّة في نيجيريا والنيجر)، وهلُمَّ جرًا!

ثمّ تجد أشدّ ما يكون العداوة والتناحر والتنابذ بينها، فماذا تتوقع أن يكون موقف المناوئين لهم، المعادين لمذهبهم جميعًا؟

ج- فتاوى ارتجاليّة لا تراعي الأحوال والبيئة المحليّة، كالفتوى بتكفير جميع الطوائف الصوفيّة. وأنّ مَنْ لم يكفّرهم أو يشكّ في تكفيرهم فهو كافر. كما فعل ثلاثة من الدعاة زاروا مدينة تنبكتو صيف عام ١٤٢٢هـ لإقامة دورة للأئمة والدعاة، بين ١ - ١٤٢٢/٤/٨هـ، فعلى الرغم من الاستفادة الكبيرة من الدورة، والحاجّة الماسّة إلى أمثالها، والإقبال الشديد عليها، فإنّهم أحدثوا بفتواهم هذه فتنة، وخلّفوا للدعاة معركة كبيرة، في مدينةٍ للصوفيّة فيها سيطرة ونفوذ. وبدأ الدعاة المصلحون يجدون مواطئ قدم فيها من عشر سنوات تقريبًا.

د - اتباع الهوى، ومحاولة تضييق أمر واسع، واستعجال النتائج، واستغلال قلّة من المسلمين في محاربة الإسلام وهم لا يشعرون.

هـ - مصالح شخصيّة ماديّة أو معنوية؛ بحبّ الظهور، والتطلع إلى رئاسة المركز أو المؤسسة، والتعالم، والتأييد الأعمى لشخص مّا، والمحاجّة عنه وعن آرائه بالباطل. فهذا مما يحدث فتنة: أولاً بين الدعاة أنفسهم، وثانيًا بينهم وبين غيرهم، فيُشغل المصلحون عن تحقيق أهداف الدعوة، وعن الذين يتربصون بهم الدوائرَ من أعدائهم، وعن تحقيق أهدافهم العليا، وبالمواجهة على أكثر من جبهة من غير استعداد.

و- النظرة الماديّة لبعض الناس في هذه الدول إلى المؤسسات والمراكز الإسلاميّة التي تُمَوَّل أو تجد مساعدات بين وقت وآخر من الخارج، حيث يُنظر إلى هذه المؤسسات والمراكز أو المدارس على أنّها مخازن للأموال الطائلة، يستوي في هذه النظرة - أحيانًا - المثقفون، وبعض رجال الحكومات، وبعض الدعاة والأغنياء، ناهيك عن الفقراء والجاهلين؛ فتُثار الشكوك حول القائمين عليها، وتُكال لهم الاتهامات بأنّهم يستحوذون على الأموال في مصالحهم الشخصيّة، فيبدأ تطلع أولئك إلى نصيبهم من القسمة، أو وضع العراقيل، أو التنابذ.

ولبعض القائمين على هذه المؤسسات والمدارس، وخصوصًا التي لا تَتْبع هيئة خارجيّة، دور - أحيانًا - في تغذية هذه النظرة عندما يحيطون المساعدات الماليّة الواردة إليها والمصروفات الصادرة منها بسياج من الكتمان والسرّية، ويعدّون ذلك غيبًا لا يجوز أن يعرفه أحد، حتى العاملون في المركز أو المدرسة، الباذلون عرق الجبين في خدمتها وفي تعليم أبناء المسلمين ومساعدتهم من غير مقابل ماديّ أو بشيء لا يكاد يسدّ رمق مَن يعول. السعاة

الأوائل في شؤونها، فالمدير وحده هو المستقبِل والمتصرِّف، وهو الحفيظ الأمين، وخصوصًا إذا كانت الموارد تضخّ الخير الكثير، حتى إذا شحّتْ لسبب من الأسباب فَتَح الأبوابَ على مصارعها للاستجداء، وأغلقها في محاولات الكشف عمّا سبق..! هذا التصرف القديم والجديد يفتح بابًا واسعًا للإشاعات والتقاذف بالسوء واللامبالاة، أو فتور الهمم والعطاء، حتى من ذاك المدير الذي كان قبل أيّام الباذل الوحيد في المدرسة أو المركز، فقد ينقض يديه من شؤونهما وهما يحتضران ماليًا! فتكون الضحية أبناء المسلمين الذين يستفيدون من ذلك المركز والمدرسة.

كلّ ذلك يزيد في تأجيج هذه النظرة، ومن ثمّ اختلاف التضادّ الذي كان من أبرز آثاره السيّئة: التنافر، والتناحر والتنابذ، وزرع الشكّ في ضعاف النفوس حول مصداقيّتهم وحقيقة ما يدعون إليه.

ثانيًا: غلاة الصوفية:

من التيجانيّة والقادريّة.. إلخ، وهؤلاء ذوو نفوذ واسع في بعض دول المنطقة وبعض المدن، ولهم في الساحة طوائف عديدة، ودعاة كثيرون، ومناصرون في أعلى المناصب.

وهناك القاديانية، والبهائية، والشيعة، وغيرها.. إلخ، ولهؤلاء - أيضًا - نشاطات واسعة لنشر مبادئها، تشمل مختلف جوانب الحياة، ومراكز ثقافية وتعليميّة لاستقطاب الشباب بالترغيب والإغراء.

ثالثًا: غلاة ينتسبون إلى أهل السنة:

مثل جماعة بوكو حرام التي ظهرت في إحدى دول غرب إفريقيا والتي شوّهت صورة الدعوة الإسلامية بسبب ممارساتها وانتهاجها العنف مع المخلفين لها. وقد استغلت وسائل الإعلام الغربية والتنصيرية هذه الممارسات في تشويه صورة الإسلام

رابعا: التغريب في أوسع معانيه:

وفي أكبر جوانبه الثقافيّة، والاجتماعيّة، والتربويّة، والأخلاقيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة، وأدواته: اللادينيّة، والإعلام والمساعدات، وإشاعة الانحلال الخلقي، ومحاولة تفكيك الأسرة، وإضعاف الوازع والنازع الدينيين في نفوس الشباب بكلّ وسيلة وأسلوب، في ظلّ قلّة الكوادر العلميّة الإسلاميّة المؤثرة في جوانب الحياة الأخرى، وحاجةِ مَن وُجد منهم إلى جرعات من الوعي الديني وثقافته؛ لأنّ دراسة أغلبهم وثقافتهم غربيّة.

خامسا: المشكلات التمويليّة، والإداريّة، والمنهجيّة، والسياسيّة، والطائفيّة:

التي تواجه المدارس الإسلامية العربية الأهليّة وخرّيجيها، وهي التي يوجّه إليها كثير من الآباء أبناءهم: أملاً في أن ينهلوا علمًا صافيًا ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، وضع بعض دولهم العقبات أمام هذه المدارس بعدم الاعتراف بشهاداتها، وعدم معادلة شهادات خريجيها بشهادتها، وحرمانها من المساعدات الماليّة التي تُقدَّم للمدارس الأهليّة المنصوص عليها في دساتير معظمها، وغيرها من وسائل التضييق عليها.

سادسًا: النزاعات القبليّة وأثرها في تفتيت وحدة المسلمين:

لا يخلو قلّة من الدعاة من إشعال نارها بسبب تعصّبه لقبيلته أو شعبه ومنطقته أو للحسد، وربما الرغبة في الانتقام، ولا يتوانى بعضهم من تشويه سمعة دعاة آخرين لهم جهود بارزة في الدعوة وإدارة مراكزها بإخلاص وأمانة: طمعًا في المنصب، أو لأنّهم ليسوا من جماعته ومنطقته، ومن ثمّ فقد يرميهم زورًا بالبدع والخرافات والفسوق.. إلخ، وقد يكتب في ذلك تقارير إلى بعض الجهات الدعويّة المتعاقدة معه، التي قد لا تتثبّت بدورها من المتهم أو غيره قبل اتخاذ قرار فصلهم، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات : ٦].

وإذا كانت هذه الجهة الدعويّة تحسن الظنّ بكاتب التقرير ولا تتوقع منه -حسب ما غلب على ظنّها- الفسق الوارد في الآية؛ فلا أقلّ من التحرّي والبحث، أو سماع رأي المتهم؛ فقد يكون وراء الأكمة ما وراءها، ولكي يكون آخر الدواء الكيّ لا أوّله.

ولا بد من الإشارة إلى أمرين مهمّين:

أحدهما: يجب ألا نخلط بين تعصّب الشخص لمنطقته أو مدينته، وبين تقديمها على غيرها؛ لأنّها أحوج من غيرها إلى خدمات دعويّة أو اجتماعيّة، فما أكثر ما يُستخدم مثل هذا في إعاقة مشاريع دعويّة في مناطق أحوج ما تكون إليها، وخصوصًا إذا بعُدت عن العواصم وما حواليها.

والآخر: أنّ الإسلام لا يلغي القبيلة، فهي نعمة من نعم الله تعالى، وسلاح ذو حدّين إن استُعمل في الخير فهو خير، وإلاّ فهو شرّ، ولكنّ الإسلام وجّهها توجيها حسنًا فيما يحقّق الخير، يقوم هذا التوجيه على عدّة أسس، منها: التأليف، وتقديم رابطة الدين على رابطة القبيلة إذا تعارضتا، والعدل والمساواة، والتواضع، كما جعل قرابة القبيلة أساسًا لأمور كثيرة، كالأولوية في استحقاق النفقة، وتحمل ديّة القتيل (العقل)، والوصيّة في الميراث... إلخ، وأقام الإسلام ميزان التفاضل على ثلاثة أسس، هي: العلم، والتقوى، وحسن الخلق.

سابعًا: الانفراديّة والانتهازيّة في إدارة مراكز الدعوة والمدارس:

ولها أسباب كثيرة، منها: عدم وجود تنظيم إداريّ يوزّع المسئوليّات الداخليّة، ولا مجلس إدارة يسهر عليها، فأقلّ الآثار السيئة لهذا الأمر أن يشعر بعض العاملين أنّ علاقتهم بها هي فقط علاقة وظيفة شهريّة قد تنتهي بين عشيّة وضحاها، لا علاقة دينيّة ومشاركة فعّالة في السهر عليها، والسعي في تطويرها والارتقاء بها، وتوسيع مجالات تأثيرها في المجتمع الإسلاميّ، وقد يُترك لهذا الشخص الحابل على النابل في إدارة شئون المركز أو المدرسة، مما قد يدفعه إلى الاستبداد. ولا يحمل اختلاف وجهات النظر إلاّ على أسوأ المحامل؛ فيتخلف المركز أو المدرسة مراحل طويلة، ويتأخر مسافات بعيدة عن تحقيق الأهداف، أو الانتقال من الطور الأوّل إلى الذي يليه، وربّما لا يُتدارك الأمر إلاّ بعد فوات الأوان، هذا إذا نجّاه العليّ القدير من الفشل أو ذهاب الريح.

ثامنًا: التركيز في العواصم والمدن القريبة منها:

ويترتب عليه إهمال أماكن أخرى هي أحوج إلى جهود المؤسسات الإسلاميّة الدعويّة والاجتماعيّة والتربويّة، وفي السفر إلى بعضها ضروب من المشاقّ، كما يؤدّي إلى تركُّز الدعاة والعلماء والمراكز الإسلاميّة المهمّة في تلك العواصم والمدن القريبة منها؛ فيقع ما عداها فريسة للجهود التنصيريّة والجهل إلاّ ما شاء الله.

تلك أبرز المعوّقات التي تطفو على ساحة الدعوة الإسلاميّة المعاصرة في دول إفريقيا، ومهما تفاوت وجودها فلا تكاد تجد دولة أو ساحة دعويّة يخلو من معظمها، والله المستعان.

حلول مقترحة لتفعيل دور الدعوة الإسلامية

فيما يأتي بعض السبل والوسائل التي تعين - بتوفيق من الله - على تفادي تلك المعوّقات وغيرها.

من أهمّ سبل التغلب على تلك المعوّقات:

أولاً: إنّ أوقى سبيل وأنفعها تقوى الله، والإخلاص لله تعالى في القول والعمل:

فمن ثمارها الدانية:

أ - قوّة التمسك بالكتاب والسنّة.

ب - نبذ الافتراق والتناحر، والابتعاد عن اتباع الهوى وحبّ الظهور، والتطلع إلى الرئاسة، وعن الأنانية والانفرادية والانتهازية في العمل، مع إيجاد تنظيم إداريّ لا يحتكر المسئوليّات الداخليّة في يد شخص واحد فقط، سواء في المدارس الإسلاميّة العربية أو في مراكز الدعوة ومؤسساتها.

ج - القدوة الحسنة في القول والعمل، والتزام الحكمة والموعظة الحسنة، والرفق والتيسير، والابتعاد عن الغلوّ والتكفير.

د - إحسان الظنّ، ومحاولة تلمّس الأعذار للعاملين في ساحة الدعوة، والابتعاد عن التقاذف بالسوء والوشايات والإشاعات.

ثانيًا: الوعي بأساليب الأعداء ووسائلهم المختلفة:

وفقه الواقع المحلي والخارجي، ومراعاته نفسيًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، وعقديًا وغيرها، من غير تمييع للحقّ.

ثالثًا: العناية بالمدارس الإسلامية، وبتطوير مناهجها، وتنويعها:

لتخرج - أيضًا - كوادر إدارية واقتصادية وطبيّة وتربويّة، وغيرها، إلى جانب الكوادر الشرعية، أو على الأقلّ تُمهّد السبيل لبعض خرّيجيها لمواصلة دراساتهم في الكليّات والجامعات الوطنيّة في تخصصات لا غنى للمسلمين عنها.

رابعًا: العناية بتوعية أغنياء المسلمين في هذه الدول:

وتحفيزهم على زيادة جهودهم في إقامة المشاريع وتمويلها، فمن المسلَّم به أنّ الإسلام

إنّما انتشـــر في هذه المنطقة على أيدي التجار السودانيين والعرب، وأنّ الجاليات الإفريقية المتنقِّلة بين دولها للتجارة أو الســـكنى أحد أبرز روافد النهضة الإصلاحيّة الحديثة والدعوة الإســـلاميّة المعاصرة، أمّا في الوقت الحاضر فعلى الرغم من الجهد الكبير المشهود الذي بذله ويبذله بعض هؤلاء في كلّ دول القارة لنشر الدعوة الإسلاميّة، وبناء المساجد والمدارس، والعنايـــة ببعض مراكزها، وكفالة الدعاة، فإنّهم بحاجة إلى تحفيز متجدّد، متنوِّع الأســـاليب والوسائل لبناء جسور من الوعي الديني والثقة والأمانة.

خامسًا: الانطلاق في الدعوة والإصلاح من تخطيط ودراسة وخصوصًا في إفريقيا:

وتأتي أهميّة التخطيط من كونه منهجًا علميًا يرســـم صورة العمل في شـــتى المجالات، ويحدّد مساره، ويساعد على استخدام أمثل للموارد البشرية والطبيعية، وبدونه تصبح الأمور متروكـــة للتلقائيـــة والارتجالية، هذا عن التخطيط بعامّة، أمّا التخطيط للدعوة الإســـلامية فتزداد أهميّته من حيث إنّ الدعوة الإســـلامية تكليف شرعي على الأمّة القيام بها على أكمل وجه، ولا يتم لها ذلك ما لم تحســـن استخدام مواردها البشـــرية والمادية في أحسن صورة ممكنة، ضمن خطة محكمة، ومن فوائد التخطيط للدعوة: توضيح أســـاليب العمل وخطواته، وتنسيق الجهود، والتركيز في الأهداف، والتدرّج في تنفيذ الأولويات، وتحقيق مزيد من الثقة والاطمئنان .

سادسًا: تقديم الأولويات والتدرّج في تنفيذها:

ولا بـــدّ في هذا التدرج من مراعاة جانبين: هما: الإلحاح، والأهميّة، الأوّل يرتبط بالوقت، أي المساحة الزمنية المتاحة، والآخر بالقيمة، فهناك أمور ملحّة ومهمّة في آنٍ، وأخرى درجة الإلحاح فيها أعلى من درجة الأهميّة، وأمور مهمّة وليست ملحة، وأخرى ليست ملحّة ولا مهمّة فـــي حاضرها، فلا بدّ من مراعاة ذلك كلّه في تقديـــم الأولويات في الدعوة، وكذلك مراعاة الوســـطية، وفقه الواقع: إذ لها جميعها نصيب وافر في إتقـــان التنفيذ وجودته، وفي تنظيم الوقت والجهد، وتحصيل ثمار طيّبة مع تذليل عقبات كثيرة.

سابعًا: تفادي الأخطاء التي وقع فيها بعض السابقين ويقع فيها بعض المعاصرين:

وبخاصة الارتجاليّة، واســـتعجال قطف الثمار، وجعـــلُ كلّ مخالف في الرأي عدوًا لدودًا، أو شـــيطانًا مريدًا، حتى لو كان مســـلمًا ومن الطائفة نفسها، ولا ضير في تسجيل الأسباب الحقيقية لتعثُّر بعض المؤسســـات والدعاة للاســـتفادة منها من غير شماتة ولا نشرها على الملأ.

ثامنًا: التعاون الجيّد مع الكوادر العلمية، والإدارية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، ممن دراستهم فرنسية أو إنجليزية:

وزيادة توعيتهم بأمور دينهم وتعاليمه، وقد صار عدد مَنْ يُقبِل منهم على الالتزام بالإسلام ومحاولة فهمه والدفاع عنه كبيرًا - ولله الحمد -، وللكثير منهم جهود عظيمة في التوعية الإسلامية، وفي الدفاع عن الإسلام وقضاياه، وما أحوجهم إلى الكتيّبات الإسلاميّة باللغات التي يجيدونها، سواء ما تعلّق منها بالعبادات والعقائد أو بمجال عملهم، فهم مشتاقون إلى معرفة شيء عن النظام الإسلاميّ في كثير من القضايا، وباختصار لا بدّ من استهدافهم بخطاب دعوي يناسبهم، وبلغة ثقافتهم، وحبّذا لو تمّ في دورات علميّة متخصّصة لا تقلّ مدتها عن شهر، وقد كان منهم مَنْ أخذ إجازات طويلة - سنة فأكثر - لكي يتفرّغ لتعلُّم اللغة العربية والعلوم الإسلاميّة في معاهد اللغة العربية للناطقين بغيرها، كمعهد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، وجامعة الملك سعود، والجامعة الإسلاميّة وغيرها.

تاسعًا: العناية بالخدمات الاجتماعية وبمراكزها:

لما فيها من مواساة عمليّة للمحتاجين، والتخفيف من معاناتهم، وتثبيت أقدامهم، وكذلك التدريب المهنيّ، ولبعض المؤسسات الإسلامية العاملة في المنطقة جهود بارزة في هذا المجال.

عاشرًا: تنويع الوسائل وتطويرها:

وحسن الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة، المقروءة، والمسموعة، والمرئيّة، باللغات المحلية والرسمية، وزيادة العناية بالجهود الحالية، وببرامجها المقدّمة، وعقد الندوات العلميّة، والإكثار من الدورات الدعوية والتربوية والإدارية، وكسر حاجز اللغات الرسميّة أمام الدعاة ليتمكنوا من إجادتها تحدُّثًا وقراءة؛ لأنّه إذا كان المتعلمون بهذه اللغات على قناعة تامّة بضرورة إجادة أكثر من لغة حيّة حتى يمكنهم التأثير في المجتمع؛ فكيف بهؤلاء الدعاة الذين لا يجيد أكثرهم إلاّ اللغات المحليّة، وكم منهم يجهل قوانين دولته المكتوبة بالفرنسيّة أو الإنجليزية فضاع بذلك كثير من حقوقه!

حادي عشر: تثمير بعض الوقت في الكسب الحلال، كالتجارة ونحوها:

إذا كان من المسلّم به ضرورة إيجاد استثمارات ثابتة يُنفق من ريعها على الدعوة ومراكزها، وعلى تكوين الكوادر العلميّة وتدريبهم، فلعلّ من نوع التثمير الذي يجب أن يهتمّ به الدعاة حسنُ تثمير بعض وقتهم في الكسب الحلال، كالتجارة ونحوها، وتقويته؛ إذ من شأنه أن يتعفّفوا عمّا بأيدي الناس، وأن يكونوا قدوة في الإنفاق على الدعوة وتحمّل تكاليفها المتعلّقة بهم وبغيرهم.

المبحث الثاني

دور الإعلام في مواجهة التنصير[١]

يعتبر الإعلام بوسائله المتعددة -من مقروءة ومسموعة ومرئية- من أهم الوسائل لمواجهة التنصير، والحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمعات الإفريقية؛ إذ يتمكن الدعاة والمصلحون من خلاله من بثّ الأفكار والمعتقدات الإسلامية، والدعوة إليها والرد على الشبهات التي يروّجها المنصّرون حول الإسلام.كما يتم نشر العلوم الشرعية بين الناس بأسلوب بسيط، كما يتمكنون من خلاله من اجتياز الحواجز وتخطي الحدود والوصول إلى المسلمين وغير المسلمين.

تتمتع وسائل الإعلام بأهمية خاصة في جميع أنحاء العالم، لما لها من تأثير مباشر وفوري على الجمهور في كافة المجالات والميادين وتزداد هذه الأهمية في قارة إفريقيا حيث اتساع رقعتها وصعوبة المواصلات وضعف البنى التحتية، وضعف وقلة المؤسسات التعليمية، لذلك فالإعلام في إفريقيا هو أرخص وأسهل وسائل التوجيه والتأثير.

«وفي ظل التطور الهائل الذي شهدته وسائل الإعلام في العقود الأخيرة ولقدرتها على الاستقطاب والتأثير فقد استغلها المنصرون كوسيلة فاعلة في مساندة حملاتهم التنصيرية، وقاموا بتفعيل الدور الخطير الذي يلعبه الإعلام في إيصال رسالته وتبليغ أفكاره إلى الأفراد والمجتمعات.

لقد انطلقت الكنيسة ومؤسسات التنصير في اهتمامها بهذه الوسائل من حقيقة مهمة أكدت عليها كثيرًا وهي «أن هذه الوسائل إنما تساهم بصورة فعالة في تثقيف العقل، والترويح عنه، وتساعد على انتشار ملكوت الله وتدعيمه» وعلى هذا الأساس، وارتكازًا إلى هذه المعتقدات، وانطلاقًا منها؛ شهدت ساحة التنصير العالمية طوال السنوات الثلاثين الماضية - وحتى الآن - عشرات المؤتمرات الإعلامية التي ضمت صحفيين، وإذاعيين، وخبراء إعلام، وأساقفة من كل أنحاء العالم، والتي بحثت موضوع وسائل الإعلام، وتطوير استخدامها والتوسع في إنشاء مؤسساتها وأنشطتها في مجال التنصير، والذي يرجع إلى وثائق هذه المؤتمرات يجد أن هناك استراتيجية متكاملة لمخطط العمل الإعلامي التنصيري؛ حيث حددت هذه المؤتمرات: لماذا، وأين، وكيف تستخدم هذه الوسائل؟!

---

(١) بسام المسلماني، عضو هيئة التحرير بمجلة قراءات إفريقية، ومدير تحرير موقع المجلة.

كمـــا أكدت على ضرورة تدعيمها ماليًا كي تواجه كافة الصعوبات والعقبات التي تعترض عملها، أو تعوق نشاطها، وأوصت دائمًا على أهمية إعداد الكوادر النصرانية المؤهلة عقائديًا وفنيًا لإدارة هذه الوسائل واستخدامها بأقصى طاقة وأكبر قدر من الفاعلية والتأثير».[١]

تعريف الإعلام:

للإعلام تعريفـــات عديدة، مختلفة باختلاف التصورات والأفـــكار، منها الدقيق القريب، ومنها غير الدقيق البعيد، ونستعرض بعضا من هذه التعريفات في النقاط التالية:

فمنهـــا ما قاله الدكتور إبراهيم إمـــام: «تزويد الناس بالأخبـــار الصحيحة، والمعلومات الســـليمة، والحقائق الثابتة التي تســـاعدهم على تكوين رأي صائب فـــي واقعة من الوقائع أو مشـــكلة من المشـــكلات، بحيث يعبّر هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عـــن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم»[٢]، فهو تعريف بقضايا العصر وبمشـــاكله، وكيفية معالجة هذه القضايا في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام أو دولة من خلال وســـائل الإعلام المتاحة داخليا وخارجيا، وبالأساليب المشروعة أيضا لدى كل نظام وكل دولة.

ومن أشهر التعريفات وأقربها تعريف العالم الألماني «أوتوجروت» للإعلام بأنه: هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه».[٣]

ومنها تعريف د. ســـيد الشـــنقيطي -: كل قول أو فعل قُصد به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب قولية أو سلوكية شخصية أو جماعية إلى فرد أو جماعة أو جمهور بغية التأثير، ســـواء أكان الحمل مباشرًا بواسطة وسيلة اصطلح على أنها وسيلة إعلام قديمًا أو حديثًا».[٤]

والخلاصـــة أن «الإعلام عملية اتصال يراد من ورائها بناء معارف المتلقين، أو الميل بهم نحـــو أهداف محددة، وتتوقف عملية الاتصال صلاحًا وفســـادًا، حقًا وباطلاً، هدًى وضلالاً، بحســـب نوعية ما يتم إرســـاله من المعلومات، والقالب الذي تُصاغ فيه الرسالة، وعلى هذا

---

(١) وسائل الإعلام في خدمة التنصير، الشبكة النسائية.

(٢) انظر: الإعلام الإسلامي، د. إبراهيم الإمام، ط١ القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م، ص ٢٧. الإعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة، ص٧٥، ط٢، ١٩٧٨م، دار الفكر العربي.

(٣) انظـــر: الإعلام والدعايـــة، د. عبد اللطيف حمزة، ص٧٦. نقلا عن كتاب: صور الإعلام الإســـلامي في القرآن الكريم - دراســـة في التفســـير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن،كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا).

(٤) انظر: مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي. نقلا عن كتاب:«صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي»، مرجع سابق.

النحو يستطيع المرء الحكم على وسائل الإعلام والتمييز بينها».[١]

أنواع وسائل الإعلام:

١- وسائل إعلام مطبوعة:

- صحف.
- مجلات.
- كتب.
- دوريات، ونشرات ومطويات.

٢- وسائل إعلام سمعية

- إذاعات.
- تسجيلات صوتية. وغيرها من الوسائل التي تعتمد على الصوت وحده.

٣- وسائل إعلام مسموعة ومرئية:

- التلفاز.
- السينما.
- المسرح
- الإنترنت: وسيلة إعلام مطبوعة، مرئية، ومسموعة.

وظائف وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام ست وظائف رئيسة هي:

١- إخبارية تنقل الأحداث والقضايا المهمة، وتتابع تطوراتها وانعكاساتها على المجتمع، ويكاد المضمون الإخباري يشكل النسبة الرئيسة السائدة اليوم في وسائل الإعلام التي يفترض أن تقوم بتغطية تلك الأحداث بحيادية ودقة ومصداقية، لكي تحظى باحترام الجمهور.

٢- اجتماعية تهتم بالمجتمع وما يحيط به من ظواهر وأحداث وتنمية العلاقات البينية التي تتولى تعميق الصلات الاجتماعية وتوثيقها.

٣ - تربوية ثقافية تتضمن تعلم مهارات جديدة وزيادة الثقافة والمعلومات.

٤ - ترفيهية ترويحية تساعد الفرد على الاستمتاع بوقته، وتوفر سبل التسلية وقضاء أوقات الفراغ، وحتى في مجال الترفيه هناك برامج وأبواب ترفيه موجهة، يمكن عن طريقها

---

(١) انظر: «صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي»، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، مرجع سابق.

الدعوة إلى بعض المواقف، ودعم بعض الاتجاهات.

٥ - تسويقية تشتمل على الإعلان والدعاية فتقوم وسائل الإعلام بوظيفة الإعلان عن السلع الجديدة التي تهم المواطنين، كما تقوم بدور هام في حقول العمل والتجارة.

٦ - إقناعية توجيهية تهدف إلى تكوين المواقف والاتجاهات والسلوك، أو تأكيدها وتعزيزها خشية أن تؤثر عليها مستجدات طارئة أو حملات إعلامية أخرى مضادة، وكلما كانت المادة الإعلامية ملائمة للجمهور لغة ومحتوى، ازداد تأثيرها، وحققت المراد منها.[١]

واقع الإعلام التنصيري في إفريقيا:

اهتمام الكنيسة بمجال الإعلام في إفريقيا بدأ مبكرًا منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي من خلال عقد المؤتمرات والندوات للتداول في كيفية توسيع النطاق التنصيري في إفريقيا: أكد الحاضرون في هذه المؤتمرات على ضرورة استغلال وسائل الإعلام في نشر النصرانية في القارة السمراء،وفي عام ١٩٥٤م، بدأت إذاعة «awla». ومعناها: «بالحب الأبدي نكسب إفريقيا»، ويعد ذلك الاسمُ الشعارَ والهدفَ الذي حددته المحطة دليلاً لعملها منذ بدأت إرسالها من منروفيا عاصمة ليبيريا، وبلغ عدد اللغات التي تذيع بها هذه المحطة برامجَها ما يقرب من خمسين لغة حتى الآن.

وفي عام ١٩٥٤م أيضًا بدأت محطة طنجة إرسالها من مدينة طنجة بالمغرب، وهي المحطة التي استمرت وواصلت إرسالَها من مكان آخر فيما بعد عام ١٩٦٠م تحت اسم «إذاعة حول العالم» من «موناكو» - مونت كارلو.

وفي عام ١٩٦١م عقد مؤتمر في «زامبيا» حضره مندوبون من الولايات المتحدة وأوربا وإفريقيا جرت فيه مناقشة مسهبة حول الطرق التي يمكن للكنائس الإفريقية اتباعها للإفادة من وسائل الاتصال الجماهيرية في التنصير، وكان أهم ما توصل إليه المؤتمرون في هذا الصدد قرارهم إنشاء مركز للتدريب الإعلامي والإذاعي يكون مقره في «كينيا»، وقد تم إنشاء المركز الذي أثبت فاعلية كبيرة في هذا المجال، ونجح في إعداد الدورات المتنوعة، ومن ثم تمكن من استقطاب العديد من الخبراء وإعداد العديد من الكوادر الإفريقية المؤهلة في مجالات العمل المختلفة»[٢]، بعد هذا المؤتمر كان ظهور إذاعة «صوت البشارة» من العاصمة

---

(١) انظر: «وسائل الاتصال نشأتها وتطورها». د محمد منير حجاب. نقلا عن كتاب:«صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي». مرجع سابق.

(٢) انظر: «أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها». نور الدين عوض كريم إبراهيم بابكر، رسالة دكتوراه، منشورات الجامعة.

الإثيوبيـــة أديس أبابا عام ١٩٦٣م بتمويل من اتحاد الكنائس اللوثرية العالمية وتجمع الكنائس الإفريقية، وكان إرسال هذه المحطة يغطي منطقة واسعة تمتد من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا مستخدمة (١٦) لغة إفريقية، إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية.[١]

وفـــي عام ١٩٦٣م كذلك بدأت محطة «راديو كورداك» إرســـالها من بورندي، وهي محطة تنطق باسم المذهب البروتستانتي، وفي العام نفسه أيضًا بدأت من إثيوبيا إذاعة «راديو صوت الإنجيل»، وهي المحطة التي أغلقتها الحكومة الإثيوبية عام ١٩٧٥م.

مجالات الإعلام التنصيري:

١- القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية:

لقد صارت القنوات التلفزيونية والإذاعية اليوم تعمل عمل الجيوش الغازية بالأمس، لكنها تفعل ذلك بفعل الكلمة وســـحر الصورة. «تذكر إحصائية قديمة نشرت عام ١٩٨١م أن هناك أكثر من أربعين محطة نصرانية في العالم يبلغ إجمالي عدد ســـاعات بثها ألف ســـاعة في الأســـبوع، ومعظم هذه المحطات يتبع الكنائس والجمعيات الكنسية الأمريكية، هذا بالإضافة إلـــى المحطات الإذاعيـــة التنصيرية العابرة للقارات، والإذاعـــات الدينية محلية في البلدان الإفريقية، والتي أنشـــأتها الدول الاستعمارية فيها وبقيت بعد استقلال هذه الدول، وما تزال هـــذه الإذاعات تقدم برامجها في المجتمعات المحلية، كما أن بعض إذاعات الدول الإفريقية تخصص بضع ساعات من بثها الإذاعي لبرامج تنصيرية تعدها المنظمات الكنسية مثل إذاعة نيجيريا وزامبيا.

وقد أنشـــأت الهيئة التنصيرية العالمية عـــام ١٩٧٠م مركزًا ضخمًا للإنتاج الإعلامي في دولـــة زامبيا، ويقوم هذا المركـــز بإمداد الإذاعات الدينية وغيرها مـــن الإذاعات الإفريقية بالبرامج والمواد الإعلامية المختلفة.

وتعد إذاعة (حول العالم) Transworld Radio أهم الإذاعات التنصيرية العالمية وأقواها. وتقدم هذه الإذاعة برامجها من محطة إرســـال الإذاعة (مونت كارلو) ولها جهاز إرسال قوي في جنوب إفريقيا، وتستهدف المستمعين العرب والمتحدثين بالعربية في القارة الإفريقية.

ومن الإذاعات التنصيرية الأخرى في إفريقيا: إذاعة «إلوا» ELWA، وتعني عبارة «بمنتهى الحب نكسب إفريقيا» ومقرها ليبيريا التي تحوي نسبة كبيرة من المسلمين، وتتبع هذه الإذاعة البعثة الأمريكية الســـودانية، وتبث برامجها بخمسين لغة ولهجة من لهجات إفريقيا، وهناك إذاعة أخرى هي إذاعة صوت الإنجيل التي بدأت إرســـالها من أديس أبابا سنة ١٩٦٣م، وهي

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٢.

تابعة لهيئة الكنائس اللوثرية، وتستهدف الدول العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

فالإذاعـــات التنصيرية الموجهة تتحدث بأكثر مـــن (٨٠) لغة، وتنطلق من مراكز مختلفة. والمناطق الإسلامية هي أكثر المناطق تعرضًا للغزو الديني المجهول على موجات الأثير.

٢- الإنترنت:

ومع ظهور شـــبكة الإنترنت التي تتميز بسعة الانتشار على مستوى العالم بدأت منظمات التنصير التفكير في اســـتغلال هذه الشبكة لتنصير العالم، وقامت عام ١٩٩٧م بإنشاء «اتحاد التنصير عبر الإنترنت»، والذي يعقد مؤتمرًا سنويًا عامًا يحضره ممثلو الإرساليات التنصيرية والقائمون على الصفحات التنصيرية على الشـــبكة الدولية لدراسة أفضل السبل لاستخدام إمكانات «الإنترنت» في نشر الدعوة التنصيرية.

وقد أثمر هذا النشاط التنصيري الكبير من خلال شبكة الإنترنت آلاف المواقع التنصيرية التي تفوق عدد المواقع الإســـلامية بعشـــرات المرات، فالإحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية تزيد عن المواقع الإسلامية بمعدل ١٢٠٠٪، وأن المنظمات المسيحية هي صاحبة اليد العليا في الإنترنت حيث تحتل نســـبة ٦٢٪ من المواقع، وبعدها المنظمات اليهودية، أما المسلمون فيتساوون مع الهندوس في عدد المواقع، والذي لا يزيد عن ٩٪ من مواقع الشبكة.

«ويكفي أن نشير أنه في كينيا فقط أكثر من ١٢٠٠ موقع على الإنترنت يعبر عن الكنائس والمؤسســـات التنصيرية المختلفة، كلها تعرف بأنشـــطتها وأهدافها وأهم أعمالها وســـبب مجيئها، كما تضمن الدعوة للانضمام إليها وسبل دعمها».[١]

وهذه الأرقام تضع المســـلمين أمام تحد صعب وســـباق يجب أن يدخلوه لاستغلال شبكة الإنترنت دعويًا بالشكل المطلوب ومواجهة هذا الخطر التنصيري المتنامي.

٣- المطبوعات والصحف والمجلات:

فقـــد جاء في مؤتمر كلـــورادو التنصيري: (إننـــا بحاجة إلى كتابات جديـــدة لكل جيل، ومطبوعات مختلفة لكل بلد وشـــعب، ويجب أن يفيض هذا الأدب بروح الحاضر إذا أردنا أن يجد له أذنًا صاغية).

وقد اهتمت الإرساليات بإصدار العديد من المطبوعات (كتب - مجلات - نشرات)، وكما تسعى هذه المطبوعات إلى نشر النصرانية من خلال نشر الإنجيل، والتعريف بالمسيح؛ فإنها تعمل في نفس الوقت على تشويه الإسلام، والإساءة إليه، وقد أنشأت المؤسسات التنصيرية

---

(١) انظر: «أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها» ص ٢٣٩، مرجع سابق.

في إفريقيا العديد من دور النشر، بل تخصصت بعض الإرساليات والمنظمات في هذه المهمة مثـل جمعية ترجمة الإنجيل في إفريقيا تتولى إعـداد أكثر من (٤٤٢) ترجمة للإنجيل، وبلغ عدد النسـخ التي جرى توزيعها من هذا الكتاب عام ١٩٨٦م ما يقرب من ٦٦ مليون نسـخة إلى جانب ٤٦ مليون نسـخة من العهد القديم «التوراة» فضلاً عن النسخ الصوتية التي يجرى تسـجيلها على أشرطة صوتية من أجل الأميين أو المطبوعة بالأحرف البارزة «طريقة برايل» للمكفوفين.

وهذه المطبوعات التنصيرية تدور حول موضوعات كثيرة منها:

- شـرح العقيدة النصرانية والتركيـز على أنها «الخلاص»، وأن المسـيح هو المخلص الفادي.
- سرد سيرة المسيح «ومعجزاته» وشخصيته.
- تشويه الإسلام، والتشكيك في العقيدة، وإثارة الشبهات حولها.
- تحريف القرآن، والأحاديث النبوية.
- الدعوة إلى حوار مسيحي إسلامي.
- تصوير الآباء والقديسين النصارى في مظهر القدوة الصالحة للمجتمع.
- سـرد تجارب المرتدين عن الإسـلام، وكيفية اعتناقهم للنصرانيـة، ولكي تحقق هذه المطبوعات الهدف المنشـود منها فإنه يجري توزيعها على أوسع نطاق ممكن بأسعار زهيدة جـدًا أو مجانًا، ويتم توزيعها عبر العديد من المنافذ والوسـائل مثل: المكتبات في الكنائس والإرساليات، والمدارس، والمستشـفيات، والأندية أو المكتبات المحمولة على أظهر السفن أو العربات المتنقلة، أو ترسـل بالبريد، كما يجري توزيعهـا يدويًا في المدارس والتجمعات المختلفة.

وقد ناقش المنصرون عددًا من القضايا والمشـكلات الخاصة باسـتخدام المطبوعات في مجال التنصير وتوصلوا إلى أن هناك بعض المعوقات التي تقف في سـبيل انتشـار هذه المطبوعات وتحقيق الهدف منها، ومن هذه المشكلات:

١- انتشار الأمية في العديد من المناطق التي تحتاج إلى التنصير.

٢- تشكك المسلمين في هذه المطبوعات النصرانية.

٣- تنوع البيئات والأجناس والثقافات والعادات في المناطق الإسلامية المختلفة.

٤- أن المطبوعـات التنصيرية تقتصر على الشـئون الدينية فقـط ولا تربط بين الدين والمشكلات الحياتية اليومية للناس.

وقد جاء في إحصائية للمجلة الدولية لأبحاث التنصير (I. B. M. R) في عددها الصادر في يناير ٢٠٠٢م تناولت فيها الأنشطة التنصيرية على مستوى العالم، بدءًا بعام ١٩٠٠م ومرورًا بعام (٢٠٠٠م) و(٢٠٠٢م) والمخطط المتوقع الوصول إليه عام (٢٠٢٥م). ونشرتها مجلة الكوثر الكويتية المتخصصة العدد / ٣١ / مايو ٢٠٠٢م- جاء فيها - أن عدد الكتب النصرانية بلغت (٥,١) ملايين كتاب وعدد المجلات التنصيرية (٣٨,٠٠٠) مجلة والأناجيل التي تم توزيعها (٦,٣٤٧,٠٩٦,٠٠٠) ما يزيد على ستة مليارات نسخة أي ثلاثة أضعاف عدد النصارى.

هذا عرض إجمالي لنشاطات المنصرين الإعلامية، يبين لنا مدى حرص المنصرين على نشر عقيدتهم الباطلة بشتى المجالات والطرق في العالم، وخاصة الدول الإسلامية».[1]

الإعلام الإسلامي في مواجهة التنصير:

في مواجهة هذا النشاط الإعلامي التنصيري في إفريقيا هناك نشاط إعلامي إسلامي مناهض له: لكنه يشكو من ضعف الإمكانات وافتقاد الكوادر المهنية المدربة على العمل الإعلامي، على الرغم من المجهودات المبذولة من القائمين على هذا النشاط الإعلامي الإسلامي، إلا أن الساحة الإفريقية تستوعب وتحتاج لجهود أكبر كما أن التحدي الإعلامي التنصيري يفرض ضرورة مضاعفة الأنشطة القائمة الآن أضعافا كثيرة.

ويجب على الإعلام الإسلامي أن يعمل في ميدانين في وقت واحد، أحدهما دفاعي والآخر تبليغي.

أما الميدان الدفاعي فيرد فيه على حملات أعداء الإسلام ويبين ما في هذه الحملات من زيف وأباطيل تهدف إلى تشكيك المسلمين في حقائق دينهم حتى ينصرفوا عنه. وعلى العاملين في ميدان الدفاع عن دين الله عن طريق الإعلام الإسلامي أن يفضحوا أكاذيب أعداء الإسلام ومفترياتهم وما يلفقونه من أباطيل يروجونها بواسطة وسائل الإعلام المختلفة للتشويش على الدعوة الإسلامية، حتى يستطيع المدافعون عن الإسلام أن يردوا كيد أعدائه في نحورهم، ويردوهم على أعقابهم مدحورين خائبين.

وأما الميدان التبليغي فهو يهدف إلى نشر تعاليم وأحكام وأخلاق وقيم وتاريخ الإسلام خاصة في ظل معاناة المسلمين الأفارقة من الجهل وندرة العلماء.

---

(١) انظر: «وسائل الإعلام في خدمة التنصير»، موقع الشبكة النسائية، على الرابط التالي:
http://www.fin3go.com/Malafat/Tnseer/Tn5.htm

نماذج من تجارب الإعلام الإسلامي في إفريقيا

النموذج الأول: اتحاد الإذاعات الإفريقية الهادفة:

اتحاد الإذاعات الإفريقية الهادفة: هو كيان إعلامي مستقل يسعى لتحقيق التعاون وتنسيق الجهود بين الإذاعات الإفريقية الهادفة المرخصة داخل النطاق الجغرافي لقارة إفريقيا. كما يسعى الاتحاد لأن يكون مرجعًا في الإعلام المسموع الهادف في إفريقيا. ويعمل على تعزيز دور الإعلام السمعي للتعريف بالإسلام الوسطي ودعم ثقافة الحوار والتسامح.

الحاجات التي دعت لقيام الاتحاد: هناك العديد من المنطلقات والمبررات التي أدت إلى بزوغ فكرة تأسيس هذا الاتحاد من بينها:

- تقادم التقنيات المستخدمة في بثّ هذه الإذاعات.
- دخول التقنيات الحديثة في البث الإذاعي والفضائي إلى بلدان القارة الإفريقية.
- غياب الإعلاميين الأكفاء.
- ضعف آليات العمل المهنية التي تعمل من خلالها هذه الإذاعات.
- الحاجة الماسة لتطوير دور الإذاعات الهادفة في إفريقيا.

من كل هذه المنطلقات والمبررات نبعت فكرة تأسيس اتحاد الإذاعات الإفريقية الهادفة، ليكون كيانا إعلاميا مستقلا يسعى لتحقيق التعاون بين الإذاعات الهادفة المرخصة داخل النطاق الجغرافي لقارة إفريقيا، وتنسيق جهودها.

ويهدف الاتحاد إلى:

- العمل ككيان مستقل متعاون منضبط بالهوية الإسلامية وفقًا لمرجعية أهل السنة والجماعة.
- العمل على إنشاء إذاعات جديدة وتوسعة نطاق بث الإذاعات القائمة في الدول الإفريقية.
- تشجيع الإنتاج العلمي المتخصص والمبدع في مجال الإعلام الإذاعي في إفريقيا.
- التخطيط العام فيما يتعلق بتناول القضايا ذات التشابه في الواقع الإفريقي.
- الاستفادة من خبرات أعضاء الاتحاد وتبني دعم القيم الإسلامية المنضبطة بالمسؤولية الاجتماعية والدينية.
- العمل على تبني الرؤى المبدعة الجذابة في التناول والتي ترسخ أيضا قيمًا هادفةً وبناءة.
- رفع الوعي المعرفي لدى الجمهور مع المصداقية في الطرح.

جهود الاتحاد:

يقوم الاتحاد على تطوير منظومة العمل الإذاعي كواحدة من أبـــرز مهـــامه، لـــرفع كفاءة العـــاملين في الإذاعات الإفريقية الهادفة في العديد من الجوانب من بينها:

أولاً: الجانب الفني والتقني:

- الإنتاج، ويشمل: المونتاج (التحكم بالصوت)، والبدائل الصوتية.
- البثّ، ويشـــمل: الربط (بين الاســـتوديوهات والمرسل)، الإرســـال، المباشر واستقبال المكالمات، برامج التحكم الإلكتروني ببثّ البرامج.

ثانيًا: الجانب البرامجي:

- إنتاج وإعداد البرامج الإذاعية.
- إعداد الخريطة البرامجية.
- الرؤية الدعوية للإذاعة والسياسات المنظمة للإعداد والتقديم.

ثالثًا: التدريب الإداري:

-من خلال تدريب العناصر والكوادر العاملة في الإذاعات على الإدارة الفعالة والشـــاملة للإذاعات.

رابعًا: الجانب التسويقي:

- إنتاج الإعلانات للترويج للإذاعات.
- تقديم الدعم التسويقي من خلال النماذج التسويقية الأخرى (الدعاية - الرعاية... إلخ).

وبشـــكل عام يهدف الاتحاد إلى تقديـــم كل أوجه الدعم تقنيًا وفكريًـــا وبرامجيًا وإداريًا للإذاعات الإفريقية الهادفة، بما يســـاعدها على أداء رســـالتها الســـامية في إبراز الصورة الصحيحة للدين الحنيف، والتلاقي تحت مظلته لتبادل وجهات النظر والخبرات، والاستفادة عبره من التجارب والمعطيات والتقنيات والنظريات الإعلامية الحديثة.

النموذج الثاني: قنوات إفريقيا الفضائية:

وهي باقة قنوات هادفة غير ربحية تســـتهدف الشـــعوب الإفريقية بلغاتها دون أن تتقيد بحدود دولة بعينها، بل نشأت في المقام الأول لخدمة القارة، باختلاف أقاليمها ومجتمعاتها. وهي - في هذا الإطار - تســـعى لترسيخ مفاهيم الهوية الإسلامية للقارة، باعتبار أن الهوية من أهم الدعائم الأساسية للتطور والنمو..

وتهدف باقة قنوات إفريقيا الفضائية إلى:

١- إنشاء منظومة إعلامية في قارة إفريقيا.

٢- تنمية وتأهيل الكوادر في القارة الإفريقية.

٣- الرد على الأفكار والمعتقدات الباطلة.
٤- البث باللغات الإفريقية الأكثر انتشارًا.
٥- ترسيخ مفاهيم الهوية الحضارية الإسلامية.
٦- ترسيخ مفاهيم الهوية الحضارية الإسلامية بين أبناء القارة
٧- تلبية احتياجات سكان إفريقيا.

تحديات تواجه القناة:

الدين: تتشعب الديانات والأطياف في إفريقيا وتتنوع، فحسب الإحصاءات الرسمية هناك حوالي ٢٧ ديانة بخلاف الديانات المحلية وعديمي الدين الذين لا يؤمنون بأي إله، كما يوجد عدد كبير من سكان دول القارة الإفريقية ممن يدينون بالإسلام وهم الفئة الرئيسية المستهدفة للقناة.

اللغة: اللغات في إفريقيا كثيرة ومتشعبة وحسب عمليات الحصر والإحصاء لكل دولة من دول القارة الإفريقية جنوب الصحراء، وجد تباينا كبيرا في اللغات فقد وصل عدد اللغات الرسمية في كل الدول الإفريقية إلى حوالي ١٧ لغة مختلفة ينطق بها عدد كبير من سكان إفريقيا بخلاف اللغات واللهجات المحلية.

ويوضح الجدول التالي ابرز اللغات المنتشرة فى القارة الإفريقية جنوب الصحراء:

اللغة	العدد التقريبي للناطقين بها (بالمليون)
الانجليزية	٣١٠
الفرنسية	١٧١
السواحلية	١٥٠
الأمهرية	٧٣
الهوساوية	١٢٠
اللغات الأخرى	٢٧٨

مناطق التغطية:

١- منطقة إثيوبيا وما حولها: وتغطيها قناة إفريقيا الفضائية (١) وتهتم هذه القناة بإقليم شرق إفريقيا، حيث يتواجد عدد كبير جدا من المسلمين كما تنشط بها الحركات التنصيرية. والبلـــدان التي يغطيها البث هي إثيوبيا والصومال وإريتريا وجيبوتي ويتم البث في هذه القناة بخمس لغات هي الأمهرية، الأورمية، التجرينية، الصومالية، العفرية.

٢- منطقة تنزانيا وما حولها: وتغطيها قناة إفريقيا الفضائية (٢) وتهتم هذه القناة بإقليم شـــرق إفريقيا أيضا، حيث يتواجد عدد كبير من المســـلمين، والبلدان التي يغطيها البث هي تنزانيا، كينيا، أوغندا، بوروندي، رواندا، جزر القمر، موزمبيق، الكونغو كينشاســـا، ويتم البث في هذه القناة باللغة السواحلية.

٣- منطقة نيجيريا وما حولها: وتغطيها قناة إفريقيا الفضائية (٣) وتهتم هذه القناة بإقليم غرب إفريقيا حيث تتواجد أعداد كبيرة جدا من المســـلمين داخل دول هذا الإقليم، والبلدان التـــي يغطيها البث هي نيجيريا والـــدول المحيطة بها، ويتم البث في هذه القناة بثلاث لغات مختارة بناء على الوجود الطبيعي لهذه اللغات وانتشـــارها في المنطقة وهي الهوسا، اليوربا، الإيبو.

مقترحات وتوصيات:

بعد هذا العرض الســـريع لواقع الإعلام التنصيري في القـــارة الإفريقية والدور المنوط بالإعلام الإســـلامي في مواجهة هذا التحدي فهذه جملـــة من المقترحات للنهوض بالإعلام الإسلامي في القارة الإفريقية:

- تأســـيس شـــبكة للإعلاميين المســـلمين في إفريقيا، من أجل وضع خطة عمل تشمل الجانب الأكاديمي -المهني والجانب القانوني الحقوقي.

- إعداد دليل للإعلاميين المسلمين العاملين في إفريقيا بقصد تسهيل التعاون والتنسيق فيما بينهم، في إطار شبكة مهنية لمعالجة الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الإفريقي.

- العمل على تحسين البنية الأساسية لأجهزة الإعلام الإفريقية والاتصال، وتنشيط قنوات الإعلام، ورفع الكفاءة المهنية والحرفية.

- وتأسيس بنك معلومات لتوثيق مختلف البرامج الإعلامية التلفزية والرقمية التي تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في إفريقيا.

- عقد ملتقيات دورية بين الإعلاميين المســـلمين في إفريقيا ونظرائهم الأفارقة لتقريب وجهـــات النظر، وتعزيز الفهم والتفاهم في إطـــار احترام أخلاقيات مهنة الإعلام والصحافة

والتنوع الثقافي.، وتفعيل دور الإعلام في التعايش بين الشعوب ومواجهة الظواهر المسيئة.

- حث الجهات الرسمية ورجال الأعمال المسلمين وأهل الخير على الاستثمار في الجانب الإعلامي، وتملك الصحف وقنوات التلفزيون للوصول إلى الأفارقة في كل مكان والتأثير فيه.

المبحث الثالث
التعليم الإسلامي في إفريقيا[١]

المتتبع لمسيرة التعليم الإسلامي بدول إفريقيا يجد أنها قامت على مبادرات فردية من جمعيات ومؤسسات خيرية من خارج إفريقيا، ومن أهل البر والإحسان من الأفارقة أنفسهم، ولم تخضع لسلطة تربوية مركزية، أو لاستراتيجية واحدة، فتعددت المدارس، وتعددت المستويات والشهادات، وسارت دون مرجعية علمية معترف بها.

أما المناهج: فيجري الخلط بينهما وبين المقررات الدراسية، وفكرة المنهج نفسها بالمعنى العلمي التربوي مستحدَثة وجديدة على التعليم العربي الإسلامي، والمقررات الدراسية مختلفة باختلاف المدارس، وباختلاف الكتب والمراجع المتاحة، أو الجماعة أو الطائفة التي تتبع لها تلك المدارس، وأغلب هذه المناهج لا تتوافر فيها الشروط الفنية والأسس النفسية والتربوية. وكثير منها مجلوب من دول عربية مختلفة.

إن الأساليب المتبعة في هذه المدارس ما زالت هي الأساليب والطرق التقليدية، والتي تقوم على التلقين والحفظ وحشو الذاكرة بالمعلومات، دون الاستفادة من الدراسات النفسية في مجال التعلُّم، أو الدراسات التربوية في مجالات تحديث نظم الأداء وتطوير أساليب التدريس. وقد تكون لشيوع طريقة التلقين والحفظ مسوغاتها الموضوعية في الزمن الماضي.

إن التعليم الإسلامي بحاجة إلى مراجعة شاملة لمواجهة التحديات العديدة التي يواجهها والمتمثلة في:

التحديات الداخلية:

أولاً: اختلاف مناهج التعليم، واستقلال كل مؤسسة بوضع منهجها ومنح شهادتها، وعدم استقرار المنهج حتى في المؤسسة الواحدة أحيانًا، وهذا عادة ما يكون في التعليم الأهلي لا الحكومي[٢]، لذا لا بد من إعادة النظر في المنهج المطبق حاليًا، والمتوارث عبر الأجيال من الآباء والأجداد: بحيث يستوعب المتغيرات في المكان وحاضر العصر، ويتسع ليشمل أساسيات العلوم الضرورية النافعة شرعية وطبيعية كونية، وما يتبع ذلك من إعداد المعلمين

(١) د. أبو بكر عبد الله شعيب، أكاديمي سوداني. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) د. يوسف الخليفة أبو بكر مشروع تطوير التعليم الإسلامي في إفريقيا، [ن. ت]، ص ١٢١.

المؤهلين علميًا ومهنيًا، وتحديث المحتوى، وتجديد أساليب التدريب.

ثانيًا: تجميع شتات مؤسسات هذا التعليم تحت مظلة إدارة تربوية واحدة فاعلة ومقتدرة، ذات رؤية واستراتيجية واضحة المعالم، ونجاح أي مشروع رهين بكفاية الجانب الإداري وفعاليته، وبراعة التخطيط وحسن التنظيم.

ثالثًا: البحث عن مصادر التمويل لتغطية نفقات هذا المشروع، وإذا كان حجم الإنفاق على التعليم مؤشرًا قويًا على مستوى وجودة مخرجاته؛ فلا يترك مصير التعليم العربي الإسلامي لجهود المنظمات التطوعية والجهات الخيرية وإمكانيات الأهالي الأفارقة البسطاء؟

التحديات الخارجية:

في مقابل المشكلات الداخلية الهيكلية للتعليم الإسلامي تبرز التحديات والمشكلات الخارجية، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- أن الساحة ليست خالية تمامًا أمام التعليم الإسلامي، فهناك مشروع التعليم الفرنسي (الذي يجسّد الأهداف الثقافية الاستعمارية الفرنسية)، والتعليم الإنجليزي، المسنودان بالمال والرجال، والكفايات العلمية، والتجهيزات اللازمة، والنفوذ الاستعماري الذي يناصب التعليم العربي الإسلامي العداوة والبغضاء[1].

٢- كما مثّل دور الحكومات الوطنية بعد الاستقلال امتدادًا للنفوذ الاستعماري في الهيمنة الثقافية والفكرية، وذلك باتباع خطوات محددة؛ أبرزها عدم الاعتراف بالتعليم العربي الإسلامي، وعدم توظيف خريجيه، وحرمانه من المساعدات المالية، وإن كانت بعض الحكومات قد بدأت بالفعل بالاعتراف به، وإدخال مواد ومقررات عصرية تجعل التعليم الإسلامي يواكب التطور والتقدّم.

٣- الاتجاه نحو الجودة والاعتماد والتقويم وفق مقاييس عالمية، مما يحتّم على كل مؤسسة تعليمية أو غيرها إعادة النظر في أساليب عملها ومناهجها، وكفاية الأداء فيها، ومبانيها وبيئتها وخدماتها، في إطار الجودة الشاملة ورفع كفاية المخرجات وجودة المنتجات.

٤- تيار العولمة الذي يهدف لخلخلة النظم التربوية القائمة، وإعادة صياغتها بما يتواءم وأهداف الدول الكبرى الممسكة بأعنّة هذا التيار، والتعليم العربي الإسلامي هو أول ما تُوجّه نحوه سهام هذه الحملة، فبدءوا بتجفيف منابعه بحجة محاربة الإرهاب والأصولية، وضيّقوا على كثير من الجامعات والمدارس الإسلامية، كما مارسوا الضغوط على عمل المنظمات

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان، نحو إستراتيجية التعليم الإسلامي في إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية، ع١١ ص٢٤.

الخيرية الإسلامية التي كانت تساهم بنصيب الأسد في تمويل التعليم العربي الإسلامي؛ مما أدي إلى شللها وتوقفها[١].

رؤية وآفاق:

كان التعليم الإسلامي كالقلعة الحصينة التي احتمى خلفها المسلمون من غائلة الثقافة الاستعمارية؛ بعد انهيار المقاومة الوطنية الإسلامية المسلحة أمام الآلة العسكرية الغربية، غير أن دور هذا التعليم ليس دورًا مرحليًا استنفد أغراضه مع رحيل الاستعمار، بل هو باقٍ ما بقي الإسلام والمسلمون.

وحتى تتحقق له هذه الاستمرارية؛ لا بد من الاستجابة لبعض الشروط لتجاوز التحديات والمشكلات التي سبق الحديث عنها، **ومن ذلك:**

أولاً: القبول بفكرة التطور، فقد ظل التعليم الإسلامي يقدّم نفسه في قالب واحد، ولم ينل حظه من المراجعة والتقويم؛ وذلك لانعدام القوة الدافعة للتطور الذي يتلاءم مع التقدم الحديث، ونعني بالتطور إعادة النظر في بنية هذا التعليم، والقائمين عليه، ونُظُمه ومناهجه بقصد التطوير والتجويد.

إن مَن يقف ضد مبدأ التطوير فإنه يقف ضد الزمن، ولا نظن أن أحدًا يرفض هذا المبدأ، ولكن ما هو التطور المناسب الذي ينبغي إدخاله في هذه المؤسسات العلمية.

إن التطوير المرغوب فيه بالنسبة للمدارس العربية الإسلامية ينبغي له أن يكون مبنيًا على أسس علمية.

ثانيًا: ضرورة انتظام التعليم الإسلامي تحت مظلة إدارة تربوية واحدة فاعلة ومقتدرة، تتولى مهام التخطيط، ورسم السياسات وتنفيذها. واستنباط الوسائل، وتوفير الإمكانيات، فالإدارة التربوية الموحَّدة تعني التعامل مع منهج دراسي واحد بدلاً من العشوائية والتخبط بين عشرات المناهج المختلفة، وتعني الحصول على شهادة موحَّدة ذات مرجعية علمية معترف بها داخل البلاد وخارجها ولا تقل عن نظيراتها من الشهادات الحكومية.

ثالثًا: تشجيع النماذج الناجحة والاستفادة منها، مثل تجربة الجامعة الإسلامية في النيجر في مجال تطوير التعليم الإسلامي في جمهورية النيجر. وهو مشروع يتم بالتعاون بين حكومة النيجر والبنك الإسلامي للتنمية بجدة ومجموعة من الخبراء في مجال التربية من الذين يهمهم أمر التعليم الإسلامي.

---

(١) محمد عبدالله السلومي، ضحايا بريئة للحرب العالمية علي الإرهاب، ص ٤٥. منشورات البيان، الرياض. ط١، ٢٠٠٥م.

كما أن تجربة جامعة إفريقيا العالمية بالسودان من التجارب التي لاقت استحسانًا، فهي ثمرة تعاون بين حكومة السودان، وبعض المنظمات الأهلية والخيرية.

رابعًا: التعليم الإسلامي بحاجة إلى الدولة ليستفيد من ميزانياتها الضخمة المخصصة للتعليم، خصوصًا أن المسلمين هم الممول الرئيس لميزانيات دولهم، ولهم الحق في نفقات التعليم من الميزانية العامة، كما أن التعليم الإسلامي بحاجة إلى الدولة للاعتراف بشهاداته وتوظيف خريجيه حتى لا يكونوا غرباء في دولهم، ومن ناحية أخرى: فإن تطوير نُظُم التعليم الإسلامي أمر ضروري للمساهمة الفاعلة في خطط التنمية الاقتصادية والبشرية.

كما أن الدولة لا تستطيع أن تتجاهل التعليم الإسلامي إلى الأبد؛ لأنه يمثّل رغبة شعبية عارمة، ولأن المواطنين على استعداد لمساندتها في النهوض بهذا التعليم، لقد أخفقت مشاريع محو الأمية في المنطقة باستعمال الحرف اللاتيني، فلجأت الدولة لتجربة محو الأمية بالحرف القرآني، وربط المدارس القرآنية بالتعليم العام: لأن الناس يألفون الحرف القرآني وينفرون من نظيره اللاتيني.

وقد استجابت بعض الدول لضغوط أولياء الأمور فأدخلت اللغة العربية والتربية الإسلامية في المنهج في جميع مراحل التعليم العام كما حدث في السنغال، وهو أول خرق لمبدأ العلمانية في التعليم، فهذا الاهتمام من الدول يُعد من باب الرجوع إلى الحق فضيلة، وهو جدير بالاهتمام والتقدير[1].

خامسًا: من هنا يأتي دور المؤسسات الرسمية مثل الإسيسكو والألسكو، والمنظمات الخيرية الإسلامية الأخرى، لاستلام زمام المبادرة وتقديم الخبرة الفنية في مجال إعداد المعلمين، وتأليف الكتب، وتقديم المساعدات المادية، وتوفير الإمكانيات المطلوبة لتحقيق النهضة الشاملة للتعليم الإسلامي على قاعدة الشراكة بين الحكومات وسلطات التعليم الإسلامي ومؤسسات ومنظمات العالم الإسلامي المعنية بهذا الأمر.

التطلعات:

من هذه الورقة: نخلص إلى أن هناك مشكلات وعقبات تعترض مسار التعليم الإسلامي في إفريقيا، ولتذليل هذه العقبات لدينا بعض التطلعات التي نأمل أن تكون دافعًا ومعينًا للقائمين والعاملين على نهضة التعليم الإسلامي في إفريقيا.

---

(١) د. بشير عبد الواحد بشير خارطة الطريق للتعليم العربي الإسلامي في إفريقيا: http://www.afran.ir/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid=3

وهذه التطلعات هي:

١- تكوين روابط للخريجين في الجامعات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية من إفريقيا، وتوجيه العناية إليها، ودعمها لتمكينها من أداء رسالتها[١].

٢- تشكيل لجان علمية متخصصة للنظر في إعداد مناهج موحَّدة للمدارس الإسلامية، تُراعى فيها أهداف المنهج ومحتواه الشرعي، بحيث يمكن توزيعه على المراحل، ويُراعى فيه إمكان توحيد الشهادات والامتحانات خصوصًا في نهاية المرحلة الثانوية.

٣- السعي إلى تنويع المساقات في التعليم الإسلامي، بإبقاء المدارس الإسلامية -أو بعضها-لتدريس علوم الشريعة، وإدخال شيء من التعليم المهني والتقني لتوفير سبل كسب العيش، وإنشاء مدارس تجمع بين تعليم العلوم الشرعية والأكاديمية، ويُراعَى فيها توافق المواد الأكاديمية للشريعة بوصفها مصدر القيم.

٤- الاهتمام بإدارات التعليم الإسلامي الرسمية والتعاون معها، ومدّ يد العون إليها على المستويين المادي والفني.

٥- اختيار المعلّم الداعية، صاحب الأهلية العلمية والخبرة العملية، ليكون تأثيره أكثر وأنفع.

٦- إعطاء المعلم ما يكفيه من الأجر حتى يتسنى له أداء دوره على أكمل وجه.

٧- إقامة دورات تدريبية تطويرية لمعلمي الدراسات الإسلامية واللغة العربية في بلدانهم.

٨- تبصير المعلمين بكل ما هو جديد في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس الحديثة، وتثقيفهم في مجال الحاسوب والإنترنت الذي أصبح لا غنى عنه لمن يبغي التطوير والتحديث.

٩- ابتعاث عدد من المعلمين من ذوي الكفاية للدراسات العليا بجامعات الدول العربية وغيرها من الدول الإسلامية مثل ماليزيا.

١٠- السعي عن طريق المنظمات والروابط والوزارات لدى الحكومات الإفريقية لاستيعاب خريجي الجامعات الإسلامية في وظائف التعليم العام، ومساواتهم بغيرهم في السلّم الوظيفي.

١١- المطالبة بإدراج مشرفي التعليم الإسلامي في سلك المشرفين بالوزارات الوطنية طبقًا لشهاداتهم.

١٢- إنشاء جمعيات طلابية ثقافية وعلمية لاكتشاف المواهب وصقلها وتنميتها.

١٣- التوسع في إنشاء الإسكانات الطلابية الجامعية التي تُعنَى بتربية الطلاب تربويًا،

---

(١) د. خالد عبد اللطيف. التعليم الإسلامي في إفريقيا www.ansar-alsunna.net/download/af.edu.doc

وصقل مواهبهم ومهاراتهم.

١٤- التوسع في المنح الدراسية للطلاب المسلمين في المعاهد والجامعات والدراسات العليا، مع مراعاة التوزيع الجيد للدول والمناطق داخل الدولة الواحدة، والاهتمام بهم تعليمًا وتربية؛ حتى يسدّوا حاجة بلادهم بالكفايات العلمية المؤهلة الصالحة.

١٥- الاهتمام بتعليم المرأة الإفريقية المسلمة بإنشاء مدارس ومعاهد وكليات، وتركز في مناهجها فيما يخص المرأة ويهمها؛ لإعدادها إعدادًا يناسب طبيعتها ورسالتها في المجتمع.

١٦- تزويد المعاهد والجامعات الإسلامية بالمراجع والمصادر باستمرار؛ حتى تعين الطلاب والأساتذة في التحصيل العلمي.

١٧- إعداد برنامج مستمر في تعليم اللغة العربية -إذاعي وتلفزيوني- يُبَث على مستوى القارة، ونسخه على عدة وسائط إلكترونية، وإهداء تسجيلاتها لدعم المكتبات الإسلامية في القارة.

١٨- إنشاء مكتبات عامة يرتادها المثقفون من أبناء القارة للاستفادة منها.

١٩- إنشاء مطابع ودور نشر في القارة، تشجّع حركة التأليف، وتزيد من نشر الكتاب الإسلامي والكتب التخصصية ذات الفائدة لطالبي العلم، وتعود بفائدة استثمارية للمؤسسات التعليمية والدعوية.

٢٠- مراجعة الكتب الدراسية بما يتواءم والفكر الإسلامي الصحيح، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويبتعد عن مواضع الخلاف والشقاق، ويدعو للألفة بين المسلمين.

٢١- عمل كتاب دليل المعلّم يُراعَى فيه اختلاف المراحل، والإرشاد إلى الطريقة المثلى لإيصال العلم والقيم الإسلامية وترسيخها في نفوس الطلاب.

٢٢- السعي إلى دعم المدارس القائمة وترميمها وتطويرها.

٢٣- إنشاء مدارس جديدة، وتوزيعها توزيعًا جيدًا، تشتمل على قاعات الدراسة والمكاتب الإدارية، إضافة إلى بناء مساكن لإيواء الطلاب؛ خصوصًا في المرحلة الثانوية والجامعية.

٢٤- تشجيع البحث العلمي، وذلك بابتعاث عدد مقدر من الطلاب والباحثين للدراسات العليا، ودعم المؤسسات ومراكز الأبحاث المهتمة بالبحث في التعليم، وبصفة خاصة في التعليم الإسلامي في إفريقيا.

المبحث الرابع

العمل الخيري والإغاثي

المتتبّع لواقع الدعوة الإسلامية في قارة إفريقيا: يجد أن العمل الخيري له دوره المهم والناجح في مكافحة التنصير، وتثبيت المسلمين على دينهم، ونشر الإسلام في غيرهم، ودعم جهود الدعاة، وقد قامت عدد من المؤسّسات الإسلامية بالمساهمة في القيام بهذا الدور المهم.

وقد ظهرت على الساحة الإسلامية مجموعة من الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها. وهي مع قلة إمكاناتها، قد اقتحمت الساحة بفاعلية، وهي تمثل تهديدًا عمليًا واضحًا للجمعيات التنصيرية.(١)

والمطلوب في هذه الوسيلة تكثيف أعمالها. وتعددها النوعي، وليس بالضرورة الكمي. هذا التعدد ظاهرة صحية. إذا ما رُوعيت فيها الدقة والأمانة والإخلاص في العمل والصواب فيه، والبعد عن القضايا الجانبية التي تضر بالعمل ولا تعين عليه. كما أن التنسيق مطلب جوهري وملحّ بين الهيئات، فالغرض هو الوصول إلى المنكوبين، والهدف الأسمى من هذا كله هو تحقيق حمل الأمانة التي أراد الله تعالى لهذا الإنسان أن يحملها.

ومن المؤسسات التي تمثّل نموذجًا مشرقًا للعمل الدعوي والخيري في القارة:

١- مؤسسة الحرمين: التي أسلمت قرى كاملة -بعد فضل الله تعالى- نتيجة لجهود هذه المؤسّسة وجهود العاملين فيها، وشكّلت هذه المؤسّسة خطرًا كبيرًا على مؤسّسات التنصير، أدى لاتهامها برعاية الإرهاب -بزعمهم-، وتم إيقافها، وإخراجها من ميدان الصراع!

٢- منظّمة العون الإفريقي: تحت إشراف الدكتور عبدالرحمن السميط -رحمه الله-، ولا تزال هذه المنظّمة عاملة في هذا المجال دون كلل ولا ملل.

غير أن نجاح هذه المنظّمات ملاحظ إذا ما نظرنا في وجود مردود واقعي لما يُبذل من مجهود دون أن نقارنه بمعدّل النّجاح الذي حقّقه الدعاة المسلمون في الماضي، أما إذا قارنّاه بها فإن تقييم النّجاح سيكون أقلّ كثيرًا من ناحية الكمّ والكيف.

---

(١) يوسف القرضاوي. هموم المسلم المعاصر. إعداد وحوار ياسر فرحات. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. (١٩٨٩م). ص: ٥٠-٥٥. (مواجهة التبشير).

ويكفي تتبّع أسماء العلماء الذين أثروا الفكر الإسلامي بمؤلفاتهم من أبناء القارة الإفريقية، خصوصًا من علماء المذهب المالكي، وفي المقابل لا نكاد نجد عالمًا واحدًا له وزن في هذه المناطق، كان إسلامه نتيجة لمجهود المؤسّسات والمنظّمات المعاصرة.

فهل تخلّى الدعاة عن المنهج القديم لثبوت إخفاقه! أو لأن مقتضيات العصر ألزمتهم بترك ذلك المنهج؟!

والغريب أن جيوش المنصّرين التي غزت القارة الإفريقية استخدمت أسلوب دعاة المسلمين القديم نفسه، والذي أثبت نجاحه بعد أن دعموه بالأعمال الخيرية، فأعمال التنصير تعتمد على جهود المنصّرين الذين يتركون بلادهم وتنقطع صلتهم بها، ثم تكون إقامتهم بإحدى الدول الإفريقية، ومن النماذج الدالة على هذا نموذج «دانيال كمبوني» وغيره من ألوف الرهبان والراهبات المنتشرين في رحاب القارة، ثم يأتي الجيل الثاني، وهو من أبناء المناطق المستهدَفة، مستخدمين الموارد المادية القادمة من خارج بلادهم.

أما العمل الدعوي الإسلامي -كما أسلفنا- فإنه يكاد يخلو من الدعاة المؤهلين من أبناء البلاد المستهدَفة، فالدعاة الوافدون هناك يأتون من الخارج لفترات محدودة ثم يرحلون، وغالب الدعاة الموجودين من أبناء المناطق الإفريقية المستهدَفة هم دعاة ينتظرون من غيرهم القيام بواجبهم!

خطة مقترحة:

بين أيديكم خطة مقترحة لسدّ هذه الثغرة، تم استمدادها من تاريخ المؤسّسات الدعوية وواقعها، وكذلك التنصيرية في قارة إفريقيا.

تتكون هذه الخطة المقترحة من خمس مراحل:

المرحلة الأولى: المؤتمر التنسيقي:

يُدعى لهذا المؤتمر جميع الأفراد والمؤسّسات الإسلامية المهتمّة والعاملة في هذا المجال، بغرض تعرّف كلّ مَن يمكن أن يشارك ويفيد بأي صورة ممكنة، حتى في مجال المشورة والدعاء.

المرحلة الثانية: الهيئة العاملة:

ويتم اختيارها من حضور المؤتمر، ومن الأسماء المرشّحة من قبلهم، ومهمّة هذه الهيئة وضع الخطة والإشراف على تنفيذها، ومراقبة هذا التنفيذ، والتعديل في خطة العمل وفقًا لمقتضيات الواقع ومتغيراته.

المرحلة الثالثة: خطة العمل:

ويتم وضعها من قِبل الهيئة العاملة مع مراعاة أمرين:

الأول: تجزئة العمـــل وفقًا للتخصّص: فتتولّى بعض المؤسســـات الدعم المادي للخطة، وبعضهـــا الآخر يتولّى مثـــلاً طباعة الكتب، وبعضها آخر يتولّى العمل عبر شـــبكة الإنترنت، وهكذا، فتقوم كلّ جهة بالعمل المخصّص لها والمتخصّصة فيه دون أن تتدخّل في التخصصات والجوانب الأخرى.

ويمكن كذلك الاســـتفادة من جهود الأفراد غير المصنّفين ضمن مؤسّســـات معيّنة، فمما يشـــجّع الكتّاب مثلاً على الإنتـــاج أن يعلموا أن دورهم ينتهي بكتابـــة الكتب والمقالات، أما طباعتها فستقوم بها الجهات المتخصّصة في ذلك، وكذلك النشر تتولاه جهات أخرى.

وتقوم الهيئة العاملة بتنســـيق هذه الجهود فيما بينها لتتكوّن على أيديها الصورة المكتملة والمتكاملة لهذا العمل.

ومما ينبغي للهيئة مراعاته في هذه الخطة الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة، كمواقع الإنترنت والبريد الإلكتروني، والوســـائل الإعلامية كالأفلام الوثائقية والبرامج عبر القنوات الفضائية.

الثانـــي: إعداد دعاة من أبناء إفريقيا: وكذلك ينبغـــي للقائمين على هذا العمل الاهتمام باختيـــار المجموعات الدعوية (الكوادر) الصالحة من أبناء المناطق الإفريقية المســـتهدفة، وإعدادهم وتربيتهم من ناحية نفســـية وعلمية ليتأهلوا للدور الذي سيقومون به، كدراسة علم مقارنة الأديان بصورة متعمّقة، والتدرّب على ردّ الشـــبهات حول الإســـلام، ونقد الفلسفات المعاصرة، وطرح وجهة النظر الإسلامية في القضايا المعاصرة بصورة مقنعة.

المرحلة الرابعة: الإشراف والرقابة:

وتقوم به الهيئة العاملة بعد وضع الخطة التفصيلية؛ حيث تكون هذه الهيئة هي المسئولة أمام المعنيين، وهي الجهة التي تدير جهود العاملين في هذا المشروع وتنسّق بينها.

المرحلة الخامسة: المؤتمر التقويمي:

والغرض من هـــذا المؤتمر تقويم العمل في المرحلة الأولى، ووضع خطة المرحلة الثانية وفقًا لمخرجات المرحلة الأولى، والتعديل في الهيئة العاملة بما يفيد مصلحة العمل.

المبحث الخامس

الشيخ أحمد ديدات كنموذج عملي في مواجهة التنصير[١]

الشيخ أحمد حسين ديدات رجل لم يُنسَج على منواله في هذا العصر في مجال مقارنة الأديان من الناحية العملية، وبخاصة فيما يتعلق بمحاورة النصارى، ومناظرتهم والرد عليهم، فقد لازم هذا الدرب أكثر من نصف قرن من الزمن، ولم يتقاعس عنه حتى توفاه الله، وظل رحمه الله طريح الفراش لمدة تسع سنوات يعاني الشلل الكلي سوى دماغه، لا يستطيع لشيء من أعضائه حِراكًا، ولا يقدر أن يفتح لكلمةٍ فكَّه، وظل يواصل جهاده الدعوي دون كلل أو ملل، حتى كان يغشاه النصارى ليناظروه وهو على حاله تلك، فوفقه الله لطريقة فريدة لمحاورتهم عن طريق الإشارة بالعين، -رحمه الله رحمة واسعة-.

لقد نفع الله بالشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- في هذا المجال نفعًا عظيمًا، فأسلم بسببه الألوف: فقد ناظر النصارى وكبار قساوستهم، وأثبت كذبهم وافتراءاتهم وعبثهم بدينهم وتحريفاتهم، وألزمهم الاعتراف -تصريحًا أو تلميحًا- بأفضلية الإسلام وشرف رسالته وعظمة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وفيما يأتي تعريف موجز بهذا الداعية الكبير[٢]، وبجهوده في الرد على النصارى **وأثر ذلك في إفريقيا وفي العالم أجمع:**

نشأته:

هو أحمد بن حسين ديدات المشهور بـ (المسلم العالم بكتاب النصارى المقدس)، أما هو، فَيُلَقِّب نفسه بـ (خادم الإسلام)[٣]، وهذا يدل على تواضعه -رحمه الله-، وديدات لقب لوالده معناه في لغة «الكُجُرَاتي» [٤] العطاء [٥].

---

(١) د. محمد نور عبدالله - دكتوراه من قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) عن ترجمة ديدات انظر: «المركز الدولي للدعوة الإسلامية بجنوب إفريقيا» - تقديم تليفزيون الإمارات العربية المتحدة - بالإنجليزية (DVD).

(٣) يلتزم كتابة هذه العبارة في نهاية رسائله قبل توقيعه، وفي خاتمة بعض كتبه.

(٤) لغة «كجراتي»: هي إحدى اللغات الهندية، وهي اللغة الأم لأحمد ديدات.

(٥) حوار مع أخي أحمد ديدات - عبد الله ديدات في جوهانسبرج Johannesburg - بجنوب إفريقيا - عام ٢٠٠٧م.

ولد الشيخ أحمد بالهند عام (١٩١٨/٧/١م) / ١٣٣٦هـ، ونشأ بجنوب إفريقيا التي هاجر إليها وهو في التاسعة من عمره، وبقي بها إلى أن توفّاه الله -عز وجل-، وذلك عام ٢٠٠٥م عن عمر يناهز ٨٧ سنة.

خرج ديدات من أسرة مسلمة متواضعة لم تُعْرف لا بالعلم ولا بالجاه ولا بالمال، لكن منَّ الله عليها بابنها أحمد فعمَّ به خيرُها وعلا شأنُها.

كان أبوه فقيرًا يمتهن الفِلاحة في قريته في الهند، وكانت الحياة هناك في ذلك الوقت صعبةً جدًا، فَبَلَغَ الناسَ أنّ الحياة في جنوب إفريقيا أهنأ من تلك التي في «سُورات» (مسقط رأس ديدات)، وكانت الهند وجنوب إفريقيا كلاهما تحت الاستعمار البريطاني آنذاك، فَنَزَحَ كثير من أبناء تلك المنطقة، ومن بعض المناطق الهندية الأخرى إلى جنوب إفريقيا، منهم حسين ديدات والد أحمد ديدات[١].

كان حسين والد أحمد ديدات رجلاً من عوام الناس[٢]؛ لكن يُشَم من تصرفاته، ومن تربيته لأبنائه، رائحة التدين الصالح، والاعتزاز بدينه، وحب الدعوة إلى الله، يقول قاسم ديدات أحد إخوة أحمد ديدات: «كان أبونا يذكّرنا دائمًا بواجب الدعوة إلى دين الله، ويقول لنا: أنتم خلفاء الله في الأرض، وقد لخّص الله لكم واجبكم في الدعوة إلى دينه في حرفين اثنين في القرآن الكريم فليكونا دائمًا في قلوبكم، وعلى أطراف ألسنتكم. وهما القاف واللام ﴿قُلْ﴾ في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فالله -سبحانه وتعالى- بإمكانه أن يقول: يا أيها الكافرون، أو هو الله أحد، أو أعوذ برب الفلق، أو أعوذ برب الناس.. وهكذا، ويستقيم الكلام، لكن جاء بكلمة ﴿قُلْ﴾ في البداية ليذكركم بواجبكم في تبليغ هذه الرسالة إلى الآخرين»[٣].

ولا شك أنّ هذا التذكير المتواصل أثّر في أحمد ديدات وإخوته، وكثيرًا ما ينبّه عليها ديدات في محاضراته، كما كانت كل حركاته وسكناته ممزوجة بروح دعوية عالية، حتى غدا أبرز داعية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في هذا العصر.

كان ديدات يتمتع بأخلاق نبيلة مما أهّله بعد توفيق الله -عز وجل- لذلك المقام السامي منها: علو الهمة والجلد والحزم والجدّية والكرم والتواضع والصدق، وسعة الصدر، والاعتزاز

---

(١) انظر: «Challenges of Islam» Blackburn، U.K 10th Aug. 1988، (D.V.D).

(٢) مقابلة مع قاسم ديدات بتاريخ (١٤٢٨/٩/١٢هـ) الموافق (٢٠٠٧/٩/٢٤م)، في داربن.

(٣) مقابلة مع قاسم ديدات في مدينة داربن.

بالإسلام، وعدم الخوف والجرأة في الصدع بالحق وفضح الباطل.

عقيدته:

بما أن أحمد ديدات لا يعد نفسه من علماء الشريعة، وبما أنه اختطَّ لنفسه مشروعًا دعويًا معينًا، وهو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، والرد عليهم: فلم يكن الكلام عن العقيدة والشريعة من برامج دعوته، بل اقتصر في حديثه إلى المسلمين على بثّ روح العزة بدينهم في قلوبهم، وحثهم على القيام بدعوة غير المسلمين إليه، وكيفية القيام بذلك.

وكثيرًا ما كان يكرر قوله: «أنا متخصص في مقارنة الأديان، فإذا كنتم تريدون شيئًا فيما يتعلق بالفقه أو الأحكام، فاذهبوا إلى علمائكم ومشايخكم، وأنا لست واحدًا منهم».

ولا يكاد يخالف هذه القاعدة التي قررها: لذلك لا يوجد من بين مئات الحوارات والمحاضرات التي ألقاها محاضرة واحدة يتحدث فيها عن ركن من أركان الإسلام أو الإيمان، أو مسائل فقهية أو غيرها حسب اطلاعي، وإن تكلم عن تلك الأركان تكلم عنها عرَضًا دون تفصيل، إلا إذا كانت مما يدخل تحت تخصصه. مثل الكلام عن الله المعبود بحق، فبما أن موضوع المعبود من موضوعات مقارنة الأديان من جهة فإنه يتكلم عنه كثيرًا، فيتكلم عن مفهوم الإله عند المسلمين واليهود والنصارى والهندوس.. إلخ، أو الحديث عن الأنبياء أو الكتب، أو كيفية الصلاة عند الأنبياء -عليهم السلام- قبل بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم، وكيفيتها عند المسلمين.

هذا جعل معرفة عقيدته من صريح كلامه من الصعوبة بمكان، وإضافة إلى عدم حديثه عن تلك الموضوعات ما وجدته يقول: إن عقيدتي كَيتَ وكَيت، بل يكتفي بقوله: أنا مسلم، لكن عند تتبع كتاباته، وتأمل كلامه، وخصوصًا ما يتعلق منه بالجانب العقدي عند مقارنته الإسلام بالأديان الأخرى؛ يتبين لنا أنّ من أهم ما يعتني به في جميع دعوته من الناحية النظرية والدعوية توحيدَ الألوهية.

وتتبعتُ حاله في تحقيقه من الناحية العملية فلم أجد فيه ما يقدح في أصل هذا التوحيد، ولو صرف شيئًا من العبادة لأحد من خلق الله لصرفها إلى محمد رسول -صلى الله عليه وسلم-، فكل من تتبع حياته وقرأ كتبه واستمع إلى محاضراته؛ عرف أن أحمد ديدات يحب النبي محمدًا -صلى الله عليه وسلم- حبًا شديدًا، وذلك منذ نعومة أظفاره، وقد فكّر عدة مرات في ترك العمل الوحيد الذي يقتات منه في حياته بسبب المنصّرين الذين يطعنون فيه على مرأى ومسمع منه، ولا يستطيع الرد عليهم.

قال عن نفسه: «كانت تَمُرّ بي عِدّة ليالٍ وأنا في أَرَق، وعَبْرةٍ تَتَرَقْرَق، لأني لا أستطيع أن

أدافع عمن هو أغلى عندي من حياتي، ذاك الذي كان رحمة مهداة إلى الجنس البشري أجمع، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم-»، ومع ذلك لم يكن يغلو فيه، حتى لم أجد له مجرد التوسل به بجاهه أو بذاته -عليه الصلاة والسلام-، وهذا من أبسط الأمور عند الغالين فيه، فضلاً عن أن يصرف شيئًا من العبادة له، بل كتب تعليقًا على أحد أشرطته يقول فيه: (من الكفر أن يدعو مسلم باسم محمد)[١].

وقال في مقدمة محاضرته في «مالديف Maldives» عن محمد -صلى الله عليه وسلم- الأعظم: «نحن لا نقارن محمدًا بالله، والعياذ بالله، فلمّا نقول الأعظم؛ أي: بين الناس».[٢]

ومن أوسع الأبواب التي كان يدخل منها إلى قلوب المدعوين من اليهود والنصارى وغيرهم شرح الأذان لهم، وقد قام بذلك مرات كثيرة لزوار المسجد، ويقف دائمًا عند قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»، ويقرر معناه مثل ما عند أهل السنّة تمامًا بأنه «لا يستحق العبادة أحدٌ إلا الله»، وعند قوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله» يقول: «محمد ليس هو معبودنا، بل إنما هو رسول الله إلينا، وليس له من العبودية شيء»[٣].

وعليه فإن الأصل فيه سلامة المعتقد في هذا الباب، وأنه على الفطرة، على عقيدة أهل السنّة والجماعة، حتى يدل الدليل على خلافه.

أما من الناحية النظرية، أي بالنسبة لجهوده في الدعوة إلى هذا النوع من التوحيد والرد على المخالفين فيه من غير المنتسبين إلى الإسلام، فيمكن عدّ الشيخ ديدات من أعظم من دعا إليه ودافع عنه في هذا العصر، وهذا قد يبدو غريبًا عند بعض الباحثين.

لكن سرعان ما تزول الغرابة لمن تأمّل النقاط الآتية:

النقطة الأولى: أنه صرف أكثر من نصف قرن في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:

لعل الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله تعالى- أبرز داعية عُرف بدعوة غير المسلمين إلى

---

(١) علّق بذلك على القصة التي ذكرها القسيس جيمي سواغرت: إذ ادعى سواغرت أن رجلاً مسلمًا دعا باسم محمد (صلى الله عليه وسلم) ولم يُستجب له، ثم دعا باسم المسيح فاستجيب له. انظر: «Is the Bible God›s Word?» Debate‹ Sheikh Ahmad Deedat Vs Tele- evangelist; Rev. Jimmy Swaggart» In Baton Rouge‹ University of Louisiana‹ U.S.A. 1986 (DVD).

(2) «Muhammad (PBUH) the Greatest» Lecture in Maldives Island‹ 9th Dec. 1987. (DVD)

(٣) يلتزم ذكر هذه المعاني عند شرحه للأذان في كل شريط له عن زيارة المسجد. وكذلك في كل مناسبة أخرى.

الإســـلام في تاريخ الدعوة الإسلامية، وكان مرتكز دعوته في ذلك مسألة التوحيد، وقد كان يحترق حزنًا من انتشار الشرك في العالم، ومن كون المشركين أكثر من الموحدين.

وكان هذا من أشـــد ما يؤنِّب به المسلمين على عدم القيام بالدعوة إلى الله، وقلّما يلقي محاضرة على المســـلمين إلا وعاتبهم بقوله: «يوجد اليوم من يعبد البشر، والشجر والحجر، والقرود والشياطين والأفاعي أكثر ممن يُعبَد الله وحده لا شريك له! ... ».. إلخ.[1]

وقال في أحد كتبه بعد أن تكلم كلامًا طويلاً عن عدم قيام المسلمين بالدعوة [2]:

«نحن المسلمين لم نقم بشيء في حق الملايين الذين يعيشون في الظلام في العالم، يجب علينا أن ننقذهم من الشرك (الشرك: لفظ عربي ومصطلح عقدي يعني عبادة كائنات أخرى مع الله، وهو أشـــنع ذنب في الإســـلام)، وإلا سَيَهوون بنا معهم في جهنم في هذه الدنيا وفي الآخرة. الذين يعبدون المخلوق أكثر بملايين المرات من الذين يعبدون المستحق للعبادة بحق دون غيره، وهو الله سبحانه وتعالى».

فالتوحيـــد هو أول ما يدعوهم إليه، وهذا منهجه الذي لم أره خالفه في برامجه الدعوية، وهو منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله.

النقطة الثانية: صرفه حياته كلها في الرد على النصارى ومناظرتهم في شركهم:

منذ أن رفع أحمد ديدات راية الدعوة إلى الله بين غير المسلمين كان النصارى على رأس قائمة من يدعوهم ويرد عليهم، ولم يكن يناقشـــهم إلا في مسائل عقدية، إلا ما يأتي عرضًا، ووجه دلالة هذه النقطة على عنايته بالتوحيد ودعوته إليه واضح جدًا إذا عرفت أن النصارى يشركون بالله غيره في الألوهية والربوبية.

وأبرز من تصدى لهم في هذا العصر هو الشـــيخ أحمد ديدات -رحمه الله-، فيكون أبرز داعية إلى التوحيد ومحاربة الشرك فيما يتعلق بهذا الباب (الرد على النصارى)، وبخاصة إذا عرفت أنه لا يناقش النصارى إلا في مسائل عقدية، ولا ينازلهم في غيرها إلا تبعًا كما سبق، وهذا يدلك على أن دعوته لهم إلى التوحيد ونبذ الشرك أمر مقصود.

قـــال -رحمه الله- في حوار أُجري معه عن أهميـــة مناظراته، ومدى فائدتها في الدعوة إلى الله: «المقصود بالمناظرة عند المنصّرين أن يجعلوك محايدًا ويخدّروك ويجمدوك: فهم يعملون لك حفلاً بهيجًا ويســـلمون عليك، ويجاملونك بكلمات معسولة تحت شعارات مختلفة.

---

(١) انظر على ســـبيل المثال: «Da›awa or Destruction?» Lecture in a mosque in New York، U.S.A 14th Nov. 1986 (DVD)، «Da›awa in the U.S.»، Atlanta، U.S.A. 2nd Nov. 19986 (DVD)»، «A Dire Warning» a Lecture in Cape town (DVD)، «From Hinduism to Islam»، Durban 1985، (DVD)

(٢) انظر: «What is his Name» P: 19

كأن يقولوا يجب أن نلتقي ونتحد لمحاربة الشيوعية والمخدرات لكي يشغلوك، وفي نفس الوقت يسرقون أطفالك».

«هذا كله يحدث في كل اللقاءات السابقة بين المسلمين والنصارى، والنتيجة: المخادعة والتضليل لهذه الملتقيات. ونحن الضحية؛ لأننا لا نحدثهم بما يريده الله، فالله يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. هذا شرط اللقاء والتحدث مع النصارى، التحدث عن العبودية لله وحده... وبعضنا يقول: إن هذا فيه إحراج لهم، وهم يقولون إننا نعبد إلهًا واحدًا. ولكن الله تعالى أخبرنا أنهم يعبدون ثلاثة: الروح والابن والرب».

«فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى، ولكنهم يستغبوننا ويريدوننا أن نتحدث عن دور المرأة في المجتمع، وما إلى ذلك من المواضيع التي تُطرح!»، «ولكن الأصل الذي يريدنا الله أن نتحدث معهم حوله هو التوحيد، وجدالهم في الشرك الذي هم واقعون فيه، من اعتقاد في المسيح بأنه ابن الله، وأنه صُلب تكفيرًا لذنوبهم، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ...﴾ [النساء: ١٥٧] إلخ»[١].

وكان من أوجه ردوده على النصارى التي يركّز عليها بيان أن عقيدتهم الفاسدة هي التي أدّت إلى عبادة الأصنام والأوثان والصور في قبائل الغرب الإفريقي، ثم يقول: «ولو لم يكن من مفاسد العقيدة النصرانية إلا هذه المفسدة لكفى!».[٢]

النقطة الثالثة: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة:

يرى أحمد ديدات أن الخلافات الكثيرة بين المسلمين وإخفاقهم في أمور كثيرة مرجعها عدم التمسك بالكتاب والسنّة، وأن التقدم بين يدي الله ورسوله هو أهم سبب لهذا التفرق والتشرذم، يذكر هذا عندما يسأل عن كيفية اتحاد المسلمين أو عما يعانونه من الذل والهوان وبخاصة في فلسطين، فيذكر أن اتحادهم ونصرتهم مرهونان بالعودة إلى الكتاب والسنّة، وعدم تقديم كلام أحد على كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن كلامه في ذلك قوله[٣]:

---

(١) أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن، ترجمة وتعليق محمد مختار. (ص: ١٢ - ١٣).

(٢) انظر: «What is his Name» P: 8.

(٣) انظر: «A Dire Warning» a Lecture in Cape town (DVD).

«الآن هناك نزاعات فيما بيننا، أتعرفون ما السبب؟ السبب (هو أن) لدينا أبطالنا، كل واحد له بطله الخاص، (يقول) أريد أن أعرف ماذا قال بطلي، وأنا أقول: محمد -صلى الله عليه وسلم- هو بطلك، والقرآن الكريم هو كتابك الذي تتلقى منه أوامرك وتوجيهاتك».

وكان يلتزم هذا المنهج في أطروحاته واستدلالاته إلا ما ندر، فاستدلالاته من جهة الإسلام كلها من القرآن وقليل من السنّة، حتى إنني لم أسمع جريان اسم أحد من العلماء على لسانه في مئات الساعات التي استمعت إليه فيها إلا ثلاثة: أبا حنيفة، وأبا حامد الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، ذكرهم مرة في أحد أشرطته في معرض كلامه عن المقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، إذ ذكر أن القرآن ليس فيه إلا كلام الله، أما كلام النبي -عليه الصلاة السلام- ففي كتب السنّة، وأما كلام غيره مما يتعلق بالتاريخ والسير والفقه ففي كتب العلماء مثل: (فذكرهم)[١].

لكن مع ذلك وجدت أنه وقع في بعض البدع التي تقدح في كمال هذا التوحيد[٢]، مثل مشاركته وتشجيعه لحفل المولد النبوي[٣]، ووقوعه في بعض البدع أو الأخطاء التي تتعلق بالدعوة إلى الله ومنهجها ووسائلها وهي كثيرة، وفي كثير منها نظر أو نزاع في بدعية بعض الوسائل، والتسليم ببعض الأخطاء، ولعل هذا يرجع إلى عدم وجود دراسات علمية محررة عن هذا النوع من الدعوة - دعوة غير المسلمين إلى الإسلام -، وبما أن أحمد ديدات حامل رايتها في هذا العصر، وبضاعته في العلوم الشرعية مزجاة كما كان يعترف هو بنفسه؛ فمن الطبيعي أن تؤدي به بعض اجتهاداته إلى الوقوع في بدع وأخطاء متعددة.

أما في توحيد الأسماء والصفات؛ فإن الحكم على عقيدة أحمد ديدات في هذا الباب بأنه من فرقة معينة، كأن يقال: إنه سنّي أو أشعري أو ماتريدي من الصعوبة بمكان؛ ذلك لأنه لم ينسب نفسه إلى واحدة من هذه الفرق كما سيأتي، ولأنه لا يتكلم في مسائل الاعتقاد الإسلامية إلا عرضًا عند حديثه عن عقائد الأديان الأخرى وبخاصة اليهود والنصارى، ومن تأمّل كلامه في بعض المسائل التي تطرق لها يظهر بجلاء أنه تأثر بمجتمعه الهندي، ومن المعلوم أن الهنود عمومًا ماتريدية في هذا الباب.

---

(١) انظر: «Sheikh Ahmad Deedat on the UAE Spotlight (Abu Dhabi TV)» (Interviewed by Abdul-Mun'im Salim» 1994 (DVD).

(٢) انظر: «The Choice» Vol. I» Muhammed the Greatest» 1032-104» «Da'awa in the UK at Regents Park Mosque»» London» on Tuesday 21st May 1992 (DVD).

(٣) انظر: «The Choice» Vol. I» Muhammed the Greatest» 1032-104» «Da'awa in the UK at Regents Park Mosque»» London» on Tuesday 21st May 1992 (DVD).

أما بالنسبة للطائفة أو الجماعة التي ينتسب إليها، بمعنى هل هو سُنّي أو سلفي أو وهّابي أو شيعي أو إخواني أو بريلوي أو ديوبندي أو قادياني؟ إلخ، وخصوصًا وقد سّماه أو رماه مجموعة من الناس ببعض تلك المسميات! فتتم الإجابة عن هذا السؤال الكبير من خلال السؤال الآتي: هل نسب أحمد ديدات نفسه إلى واحدة من هذه التيارات والجماعات والفِرَق؟

والجواب: لم أجد أحمد ديدات في إنتاجاته المقروءة والمسموعة التي اطلعت عليها نسب نفسه إلى واحدة من هذه الفرق والجماعات إلا فرقة واحدة، ومرّة واحدة، ففي شريطه «Dire Warning» بعد أن تحدّث عن تقصير المسلمين في القيام بالدعوة إلى الله، وأن الله إذا أعطى قومًا من عباده فرصة ثم ضيعوها استبدل بهم قومًا آخرين، مثّل باليهود والنصارى، وبالنصارى والمسلمين، وبالسنّة والشيعة، قال: في سوريا توجد جماعتان، السنة مثلنا، فنحن من أهل السنّة الذين يحاولون أن يترسموا خطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، والعلويون، وهم من الشيعة، يعتقدون عقائد باطلة في عليّ -رضي الله عنه- . فالسنّة هناك تساهلوا في أمر العلويين، واحتقروهم، ولم يدعوهم إلى الحق والصواب، بل كانوا يرسلونهم إلى الشرطة والجيش.. إلخ، والآن هم الذين يحكمون سوريا، مع أنهم ٢٠٪ فقط من مجموع سكان البلد.[١]

هذا هو المكان الوحيد الذي وجدته نسب نفسه إلى فرقة من الفِرَق، وهي أهل السنّة، ومن النظرة الأولى إلى النقل يُفهم أنه يقصد السنّة العامة، حيث قابلها بالشيعة.

ثم اجتهدت في طرح هذا السؤال: هل كان أحمد ديدات ينسب نفسه إلى أيّ فرقة من الفرق المنتسبة للإسلام؟ وذلك على جميع من حاورتهم وقابلتهم في جنوب إفريقيا، وهم من مشارب مختلفة منهم البريلوي الصوفي، ومنهم الديوبندي التبليغي، ومنهم السنّي السلفي، ومنهم من لا ينتسب لفرقة[٢]، فأجمعوا على أنه لا ينسب نفسه إلى أيّ فرقة من تلك الفرق، بل كان يكره من غيره أن ينسب نفسه إلى واحدة منها، وكان يقول عن نفسه

---

(١) انظر: «A Dire Warning» a Lecture in Cape town (DVD).

(٢) منهم ابنه يوسف ديدات، وأخواه عبد الله ديدات وقاسم ديدات، وصهره وتلميذه عصام مدير، ومدير مركزه العالمي رفيق حسن، وبعض الدعاة من السلفيين، مثل: فاروق أحمد، ويوسف محمد، وبعض الذين عملوا عنده في المركز مثل أيوب كريم، وعمر مليليكي، ومنستر آدم، وبعض أعضاء مجلس أمناء مركزه مثل إبراهيم جدوت، وإبراهيم سالم محمد، وغيرهم كثير.

مقتصرًا على ذلك[١]: «أنا مسلم، وأرجو أن يقبلني الله مسلمًا، وأن أموت مسلمًا».

ومـــن هنا تعرف ظلم وجهل من يقول: بما أن في جنوب إفريقيا فرقتين بريلوية وديوبندية فلا بد أن يكون ديدات منتســبًا إلى إحداهما، ثم حلا له أن ينســبه إلى شر الفرقتين، وهم البريلوية؛ لأنه نقل نقلاً واحدًا عن أحد كبار أئمتهم، وحضر المولد النبوي، بهذين الســببين حكم عليه بهذا الحكم الغاشم!

مرضه ووفاته:

ســافر ديدات -رحمه الله- في رحلة دعوية إلى أســتراليا في شــهر أبريل عام ١٩٩٦م، وكانت من أروع الرحلات الدعوية التي عقدها في حياته، وشــاء الله أن تكون هذه آخر رحلة له: إذ أصيب بعد عودته منها بأيام بمرض شــلّ جميع أجزاء جسده إلا عينيه وذاكرته، وكان يتواصل مع زوّاره والقيام بواجبه الدعوي عبر طريقة فريدة وهي الاتصال بالعين، تعلّمها في مستشــفى الملك فيصل التخصصي بالرياض عندما أمر ولي العهد الأمير ســلطان بن عبد العزيز بنقله إلى هناك لمداواته.

وتوفــي رحمه الله صباح يوم الاثنين ١٤٢٦/٧/٣هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/٨م عن عمر يناهز الســابعة والثمانين عامًا، بمنزله في فيرولام في منطقة ناتال بجنوب إفريقيا، وصُلّي عليه بعد صلاة المغرب من اليوم نفســه بإمامة مفتي مِنْك الشــيخ إســماعيل مِنْك من زمبابوي خريج كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بوصيته[٢]، فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

- قال الأســتاذ أيوب كريم - رئيس مؤسســة (ICRA) وأحد طلاب أحمد ديدات في جنوب إفريقيا: «إن أحمد ديدات وضع مسلمي جنوب إفريقيا على خريطة العالم».[٣]
- وقال إبراهيم ســالم محمد - أحد أعضاء مجلس الأمناء للمركز العالمي، وابن أبرز من ساعد الشيخ بماله في منطقة كيب تاوون سالم محمد -: «نحن نعتبر أحمد ديدات كمنقذ لنا في كيب تاوون؛ لأنه قبل إتيانه إلى هذه المنطقة قلما تجد من يســتطيع الدفاع عن دينه، ولا تكاد تجد فرقًا بين المســلم الهندي والهندوسي، والنصراني الهندي في شيء، فهو الذي

---

(١) انظــر: «The Qur›an or the Bible‹ which is God›s Word» Lecture‹ University of Colombia‹ New York‹ U.S.A‹ 1st Nov. 1986 (DVD)

(٢) مقابلة مع مفتي مَنْكّ الشيخ إسماعيل منك، عام ٢٠٠٧م، في كيب تاوون.

(٣) مقابلة مع أيوب كريم، في دارين، عام ٢٠٠٧م.

بثَّ روح الولاء والبراء بيننا، وبيّن لنا أن المسلمة لا يجوز أن تتزوج من هندوسي أو نصراني، وهكذا».[١]

اشتغاله بالرد على النصارى:

المرحلة الأولى: نقطة البدء في «Adam's Mission»:

لم يَخْتَطَّ أحمد ديدات -رحمه الله- طريقه في الرد على النصارى باختيار منه، إنما أُلجئ إلى الخوض فيه كما ذكر هو عن نفسه عدة مرات، وذلك في قصته الخالدة التي طالما قصها كلما تحدث عن بداياته في هذا المجال، وخلاصتها[٢] أنه لما انتهى من الابتدائية، وبدأ بالصف الأول المتوسط؛ عجز عن مواصلة الدراسة لقلة ذات اليد، وعن الحصول على عمل يرتزق منه داخل مدينة دابرن، لصعوبة الحصول على العمل يُسمح بامتهانه لهندي مثله، ثم حصل بعد كدّ وتعب على عمل خارج المدينة في دكّان رجل مسلم، فكان يساعد صاحب الدكان على بيع الملح والدقيق وغير ذلك مما يبيعه البقّالون، ومعه مجموعة من الشباب المسلم يعملون معه هناك، وكان ذلك عام ١٩٣٩م، وعمره آنذاك عشرون سنة.

وكان على مقربة من ذلك الدّكان كليةٌ تابعة لـ «بعثة آدم»، وهي بعثة تنصيرية أمريكية، يُدَّرب فيها المنصّرون، وتُحشى أذهانهم بالشبهات ضد الإسلام، ثم يأتون إلى ديدات وبقية زملائه لإجراء تطبيقات أولية على ما درسوه في الفصول الدراسية، وصار ذلك دَيدَنهم، كلما جاءوا لشراء شيء قاموا بإطلاق مجموعة من الشبهات عليهم، ومن أمثلة هذه الشبهات قولهم:

إن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تزوج كثيرًا من النساء فهو شهواني (حاشاه عليه الصلاة والسلام).

أن دين الإسلام انتشر بحد السيف.

أن القرآن منتحل من الكتاب المقدس.. إلخ.

يقول الشيخ عن نفسه: «كم مرة حدّثتُ نفسي بالفرار بديني وترك ذلك العمل والبحث عن عمل آخر، لكن دون ذلك خَرْط القَتاد». «فعزمت على دراسة القرآن والكتاب المقدس وكتب أخرى، لكن اكتشافي لكتاب (إظهار الحق) كان نقطة تحوّل في حياتي، فإذا أنا بين عشية وضحاها أستطيع أن أحاور أولئك الشَّبَبَة المنصّرين الذين يدرسون في كلية «بعثة

---

(١) مقابلة مع الأستاذ إبراهيم سالم محمد. في كيب تاوون. عام ٢٠٠٧م.

(٢) انظر: «The Choice، vol. II، Is the Bible God›s Word?» P: 142، «Sheikh Ahmad Deedat on the UAE Spotlight (Abu Dhabi TV)، (Interviewed by Abdul-Mun›im Salim» 1994 (DVD).

آدم»، وأشـــدد عليهم الخناق، إلى أن بدءوا يحترمون الإسلام والنبي محمدًا -صلى الله عليه وسلم-».

ومنذ ذلك الوقت عَشِـــق مجال مقارنة الأديان، والتحدث إلى النصارى، ومحاورتهم، والرد عليهم، فكان في كل أســـبوع يبحث عن نصرانـــي يذهب إلى بيته للحوار الديني بينه وبينه[١]. ومنذ أن وقف على كتاب (إظهار الحق) حُبِّب إليه كذلك التزام شـــهود المحاضرات المتعقلة بمقارنة الأديان في مدينة داربن[٢].

ثم ألقى محاضرة لمجموعة من خمسة عشر شخصًا من المسلمين عام ١٩٤٢م في قاعة «Durban Movie Theater» بعنوان (محمد -صلى الله عليه وســـلم- رسول السلام)، فكانت هذه أول محاضرة له في حياته[٣].

وبعد أن عرف النص الذي يبشر بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في العهد القديم، وهـــو (١٨ أُقِيمُ لَهم نَبِيًا مِن وَسْـــطِ إخوَتِهم مِثلَكَ، وأَجعَلُ كلامي في فَمِـــه، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ ما أُوْصِيْهِ بِهِ) [سفر التثنية: الإصحاح ١٨ / ١٨]: بدأ يتحين أي فرصة لإلقاء محاضرة في شرح هذا النص، وجعل الحديث عن هذا الموضوع دَيْدَنه، وشغله الشاغل، وليس لديه شيء يقدمه للمســـتمعين في ذلك الوقت غيره، حتى لقبه أصدقاؤه بـ (١٨ / ١٨) [٤]. وهو رقم النص في سفر التثنية.

المرحلة الثانية: الدعوة المحلية ثم العالمية:

كانت محاضرته التي ألقاها بعنوان: (محمد -صلى الله عليه وســـلم- في العهد القديم والجديد) يوم الأحد: ١٩٥٥/١/١٦م من أوائل محاضراته في مقارنة الأديان أمام حشد كبير من الناس من النصارى وغيرهم، ووُصفت بأنها الأولى من نوعها في الجنوب الإفريقي قاطبة؛ حيث لم يطرق قبله أحد من العلماء مثل هذا الموضوع أمام الناس [٥].

---

(١) انظـــر: «Sheikh Ahmad Deedat on the UAE Spotlight (Abu Dhabi TV)، (Interviewed by Abdul-Mun›im Salim» 1994 (DVD).

(٢) انظـــر: «The Choice، vol. II، Is the Bible God›s Word?» P: 2-3، «What the Bible says about Muhammad (P.b.u.h) Lecture by Sheikh Ahmad Deedat in Cape town، 1984. (DVD)»

(٣) انظر: «Deedat's method of proselytization» by Rafiq Hassan. P: 4

(٤) قـــال: «أول شـــيء بدأت أتحدث فيه، وألقي فيه محاضرات هو (ســـفر التثنيـــة: ١٨ / ١٨) حتى لقّبني أصدقائي بـ «١٨ / ١٨»، ثم كلما وقفت على شـــيء جديد أضفته إليه، وقمت بتبليغه للناس، حتى بلغ بي الحـــال إلى ما ترين». انظر: «Arab and Israel conflict or conciliation»، Western hotel، Chicago IL. U.S.A، 19th Dec. 1993 (DVD)

(٥) انظـــر: «The Role and Contribution of the Islamic propagation Centre International in the field of Da›awah» by Riaz Cassim Jamal. P: 103

ثم تتابعت محاضراته التي أصبح يشـــهدها المئات، وأحيانًا يصل العدد إلى بضعة آلاف، بل يحتشد له في بعض محاضراته ما يصل إلى خمسين ألفًا، وذلك منذ الخمسينيات، وهذا شيء لم يكن لأحد قبله من المسلمين في تلك المنطقة [١].

وبدأت محاضراته محليًا في مدينته مدينة داربن، ثم بدأ يتنقل إلى بقية مقاطعات جنوب إفريقيا، ثم إلى الدول المجاورة مثل زامبيا، وزمبابوي، وسوازيلاند، وليسوتو، وغيرها من دول الجنـــوب الإفريقي، وقد كتب الله له القبول والتأثير البالغ في تلك المناطق قبل أن يطلّ على العالم برحلاته الدعوية التي يعقدها، والتي تســـتغرق الواحدة منها ثلاثة أسابيع إلى شهر[٢]، يلقي خلالها عشرات المحاضرات، كمحاضرة البشارة بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في الكتاب المقدس، وبعض المناظرات إن أمكن.

مترلته وأثره في الرد على النصارى في إفريقيا وفي العالم:

هناك ما يشبه الإجماع في الساحة الدعوية بأن منزلة الشيخ أحمد ديدات في الرد على النصارى ومناظرتهم: فوق منزلة كل من في هذا الميدان من المسلمين من معاصريه بمراحل. **ويدل على ذلك عدة أمور:**

١- ترجمـــة كتبه إلى كثير من لغـــات العالم منها: اللغة العربية، والفرنســـية، والصينية، واليابانية، والبنغالية، والألمانية، والنيرويجية، والروسية، والآرامية، والماليزية، والإندونيسية، والهندية، والأردو، والزولو، وبعض لغات إفريقيا، وهذا شـــيء لم يحصل لكتب غيره في هذا المجال قبله.

٢- لم يحظ داعية فَرْد بمثل الدعم المادي والمعنوي الذي حصل عليه الشيخ ديدات من الأمة الإسلامية حسب علمي.

٣- لم يحظ داعية فرد في هذا العصر بالحب الذي حظي به أحمد ديدات في هذا العصر حسب علمي. وكان المسلمون في نيجيريا من أشهر المحبين له حكّامًا ومحكومين حتى سمّى حاكم ولاية كانو (العاصمة الدينية لنيجيريا) - مالم إبراهيم شـــيكرو- الشـــارع المؤدي إلى قصر الرئاسة باسم: «شارع أحمد ديدات» في حفل كبير دعا فيه ابنه يوسف ديدات، وشارك في فعاليته وذلك عام ٢٠٠٧م (أي بعد وفاته بسنتين).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: «Man-God Relationship in Islam» Lecture، Islamic Cultural Center، Regents Park Mosque»، London, 1985 (DVD).

٤- التتلمـــذ على أشـــرطته وكتبه في الرد على النصارى؛ فكثيـــر من الذين اختطوا هذا الطريق تلاميذ لأشـــرطته وكتبه، ومن أبرز مـــن اقتفى أثره وزاد عليه الدكتور ذاكر نايك كما صرّح هو بنفسه عدة مرات.

٥- أتـــى على مكاتب الدعوة وقت من الأوقـــات كانت عمدتها كتب أحمد ديدات في عدد من الموضوعات.

٦- اســـتعانة المســـلمين به في الجنوب الإفريقي إذا نشَر النصارى طعونًا وشبهات ضد الإسلام، فإليه يرجعون ليقوم برحلات دعوية مكثفة للرد على تلك الشبهات والقضاء عليها[١].

٧- تقليد كثير من الذين يـــردون على النصارى ويناظرونهم في منهجه وطريقته في الرد والمناظـــرة وخصوصًا في نيجيريـــا، حتى كان عدد كبير منهم يُلقبون بـــ (ديدات نيجيريا) منهم الأســـتاذ حمزة شيخو -رحمه الله- الذي ناظر كثيرًا من القساوسة في نيجيريا، وأسلم علـــى يديه آلاف مؤلفة من النصارى، ولم تكن له مراجع في هذا الباب إلا كتب أحمد ديدات وأشرطته، كما ذكر لي في مقابلة أجريتها معه[٢].

وتقديرًا لجهوده ومنزلته في المجال الدعوي مُنح الشيخ أحمد ديدات (جائزة الملك فيصل العالمية) عام ١٩٨٦/٣/٩م، وكان أحمد ديدات أول مســـلم من الجنوب الإفريقي يحصل على هذه الجائزة، وقد سُـــرَّ بها كثيرًا؛ لأنها زادت في رفع قدره، والاعتراف العالمي به، وبخاصة في العالم الإسلامي، وكان يتحدث عنها كثيرًا معبّرًا عن فرحه وسروره بالحصول عليها.

هذا عند المســـلمين، أما عند النصارى فللشـــيخ ديدات منزلة مهيبة في عيونهم: بسبب ردوده عليهم ومناظراته لهم، قال عنه المنصر العالمي المشهور القسيس جيمي سواغرت[٣]: «العالم البارز في العالم الإسلامي: السيد أحمد ديدات».

وقال القســـيس رِيتشَـــارد جَارْنَفِلْت[٤] (Richard J.rnefelt): «الشـــيخ ديدات اسم عظيم في الإسلام والنصرانية، وستفهم الأجيال القادمة عظمة ونموذجية المعاني (التي اشتملت عليها) أفكاره المبتكرة وكتاباته ومحاضراته وتقواه».

---

(١) انظـــر: «The Choice، Vol. I، Al-Qur›an the Miracle of Miracles» P:223. ومقابلة مع إبراهيم ســـالم محمد، عام ٢٠٠٧م.

(٢) وذلك في المدينة المنورة لما جاء لأداء العمرة في رمضان عام ١٤٢٧هـ.

(3) «Is the Bible God›s Word?» Deedat، Sheikh Ahmad Deedat Vs Evangelist Rev. Jimmy Swaggart» In Baton Rouge، University of Louisiana، U.S.A. 1986 (DVD).

(4) «Honouring the memory and lifetime work of Sheikh Deedat» by Richard Jārnefelt Pg: 15

ومن دلالات عظم مترلته وردوده ومناظراته عندهم الأمور الآتية:

١- توصية الكنائس للمنصّرين بقراءة كتبه، وبخاصة الذين يقومون بعملية التنصير في إفريقيا، فقد زار وَفْد من الكنيسة المعمدانية Baptist Church مكتب الشيخ في غيابه، وبعد الاطلاع على إنتاجاته في هـذا المجال كتبوا مقالة عنه في مجلتهم بعنوان[1]: «المدافع عن الإسـلام: .... إذا أراد أحـد أن يقوم بالتنصير بين المتحدثيـن باللغة الإنجليزية، وبخاصة فـي إفريقيا، فإنه بكل تأكيد قد يحتاج إلى قراءة آراء المناضل عن الإسـلام أحمد ديدات».

٢-كتب أحد النصارى اسـمه John Gilchrist كتابًا بعنوان (التحدي الإسـلامي في جنوب إفريقيا)، وأورد اسم أحمد ديدات في الكتاب أكثر من اسمه، واسم ربه المسيح.

٣- تهرب البابا يوحنا بولس الثاني من مناظرته.

٤- تهرب النصارى من مناظرته في الآونة الأخيرة، ففي آخر رحلة دعوية له في أستراليا اجتهد في البحث عمن يناظره، مع أن فيها قساوسـة كبارًا، وأساقفة، لكنهم أبوا، ولما زارته جمعية نسائية في مكتبه وكلهن نصرانيات، وعد كل من استطاعت أن تقنع قسيسها لمناظرته بعشرة آلاف رَنْد Rand (عملة جنوب إفريقيا) مكافأة لها؛ لأنهم أبوا أن يواجهوه[2].

٥- تغيير كتبهم (المقدسـة) بناء على ملاحظاته، ومن الشـواهد على ذلك أن القسيس الدكتـور اللاهوتي C.I Scofield في تعليقاته على نسـخة الملك جيمـس ومعه ثمانية دكاترة آخـرون في علم اللاهوت في معرض كلامهم عن (التكويـن: ١/١)؛ ذكروا أنّ اللفظ العبري لكمة «God» هو «Elohim، El، or Elah»، وأن اللفظة الأخيرة يمكن رسمها هكذا «ALAH»، فاستغل الشـيخ هذه الفرصة في بيان أن اسـم المعبود الحق حتى في النصرانية هو «Allah». وأن رسـمهم لها بحرف «L» واحد لا يهم ما دام أن النطق يكون صحيحًا، ولعلهم يتشـجعون في المرة القادمة بشـكل أقوى فيزيدونها، ثم تناقل الناس عنه هذا التقرير، فحذفوها بكل جرأة في طبعة لاحقة مع الإبقاء على التعليق الذي ورد ذكرها فيه كما هو[3]! وهذا لا شك يدل على قدر كلامه عندهم، واهتمامهم بتتبع ملاحظاته عليهم.

---

(1) «Sheikh Ahmad Deedat on the UAE Spotlight (Abu Dhabi TV)، (Interviewed by Abdul-Mun›im Salim» 1994 (DVD).

(2) «Members of the Durban Business and professional Women›s Club Visit the IPCI 1991 (DVD)

(٣) انظر: «The Choice، vol. II، Is the Bible God›s Word?» P: 97، «What is his Name» P: 26-29

٦- استعطاف بعض رؤسائهم وعلمائهم في جرأة سافرة المركزَ العالمي وقفَ طباعة كتابه (عُدّة المعركة) «Combat Kit»، وسحبه من السوق! لشدة نكايته بهم[١].

٧- أما بالنسبة لأثر جهوده وردوده في النصارى، فهذا أمر مشاهَد وملموس، فقد أثرت ردوده ومناظراته فيهم تأثيرات عظيمة.

وتنكشف هذه النقطة وتتجلى عند الوقوف على أمرين:

الأمر الأول: اجتهاد النصارى وتفانيهم في الدعوة إلى دينهم المحرَّف، وتنوع أساليبهم في ذلك:

لا شك أن الجهود المبذولة من قِبَل النصارى في نشر دينهم وتقرير عقيدتهم الباطلة، وبث الشبهات عن الإسلام والطعن فيه تكاد تكون في سلك القصص الأسطورية التي يصعب تصديقها: لولا أنها حقيقة واقعية يمتنع تكذيبها.

خذ مثالاً واحدًا فقط وهو نشر الكتاب المقدس لوحده، فقد جاء في تقرير (اتحاد منظمات الكتاب المقدس) أن الكتاب المقدس تمت ترجمته -كله أو جزء منه- إلى ألفين ومائتين وثلاث وثلاثين لغة من مجموع ستة آلاف وخمسمائة لغة في العالم، بالإضافة إلى ستمائة وخمس وثمانين ترجمة على الطريق[٢].

أما ما يتعلق بغير الكتاب المقدس من معاول هدم الإسلام، وتشييد التنصير من كتب ومواقع، وقنوات وإذاعات، ومنظمات تنصيرية، ومساعدات مادية للفقراء والمنكوبين والمرضى: فلم يعد ينضبط، ولا يكاد يدخل تحت حصر.

الأمر الثاني: «أنّ النكاية في العدو بالبرهان واللسان أوقع من نكاية السيف والسنان»[٣]:

قال ابن حزم -رحمه الله-: في تفسير قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ ...﴾ [التوبة: ١٢٠] : «ولا غيظَ أغيظُ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تُهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تُغلب أبدًا؛ فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمّة»، إلى أن قال: «وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ

---

(١) أفادني بذلك الأستاذ رفيق حسن في مقابلتي معه في رمضان عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، وهو الذي وُجِّه إليه ذلك الطلب الفاضح بصفته مديرًا لمركز الشيخ في ذلك الوقت.

(٢) ورد ذلك في مقالة بعنوان: The Bible in various languages؛ أي (الكتاب المقدس في اللغات المختلفة)، انظر: موقع اتحاد منظمات الكتاب المقدس United Bible Societies على شبكة الإنترنت.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام. (ص ٤٦).

بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨][1]، «ولا شَكّ في أن هذا إنما هو بالحُجّة: لأن السيف مرة لنا، ومرةٌ علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبدًا، ودامغٌ لقول مخالفينا، ومُزْهِقٌ له».

فمن تأمل الأمر الأول، وهو السعي الجاد من قبل النصارى في نشر النصرانية والتبشير بها في أنحاء العالم، وبثّهم الشبهات تجاه الإسلام وأحكامه، ومحاولاتهم إخراج المسلمين من إسلامهم إلى اعتقاد عقائدهم والتدين بديانتهم، وبذلهم في ذلك الأموال والأنفس، وسلوكهم كل طريق موصلة إلى ذلك ماديًا واجتماعيًا وخدميًا ونفسيًا، وعرفت أن الدول الإسلامية مجتمعة لا تستطيع أن تقاوم تلك الجهود الجبارة، وعرفت أن تلك القوى إنما تُقهر بالدليل والبرهان فقط (الأمر الثاني)، وعرفت أن المسلمين في العالم الإسلامي، وبخاصة المتحدثين باللغة الإنجليزية، في فترة ليست بالبعيدة ليست لديهم أسلحة برهانية يهاجمون بها ويدافعون إلا كتب أحمد ديدات -رحمه الله-؛ عرفت عظم تأثير ردوده ومناظراته في النصارى.

هذا، ومن أهم ما ينبغي التنبه له هنا، والحذر منه، هو أن الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- قد وقع في بعض الأغلاط، يدركها من له رصيد لا بأس به من العلم الشرعي، وكان كثير من الذين يحذون حذوه يكررون الأخطاء نفسها، فينبغي أن يَحْذَروا ويُحذّروا منها. وقد سبقت الإشارة إلى بعض منها.

وأختم هذه المقالة المقتضبة عن عَلَم من أعلام المسلمين في هذا العصر باقتراحات أراها مهمة، وهي:

١- تدريس منهج الشيخ أحمد ديدات في دعوة غير المسلمين، وفي مقارنة الأديان في كليات الدعوة، ومعاهد الدعاة بعد تهذيبه.

٢- الاستفادة من تجربته الرائدة في المركز العالمي للدعوة الإسلامية الذي كان حينًا من الدهر أكبر وأنجح مركز دعوي في العالم.

٣- دراسة نظرياته ووسائله في تمويل المشاريع الخيرية؛ حيث سجل في ذلك نجاحًا غير مسبوق.

---

(١) ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: يقول الطبري -رحمه الله-: «فيهلكه، كما يَدْمَغُ الرَّجل الرجلَ بأن يشُجّه على رأسه شَجَّة تبلغ الدِّمَاغ، وإذا بلغت الشَّجَّة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة» اهـ. تفسير الطبري، (٩ / ١٢).

٤- ضـــرورة أن يلج بعض طلبة العلم الشـــرعي في مجال «مقارنـــة الأديان» من الناحية العملية؛ لأن غيابهم في الميدان يؤدي إلى هُوّة يصعب ردمها، ويفســـح المجال لغير الأكفاء، ومـــن في قلبهم زيغ، فيتكلمون عن الله بغير علم ولا هـــدى ولا كتاب منير، ولا يكتفون بنقد القائمين به ممن ظهر صدقهم وإخلاصهم فيشـــغلون أنفسهم عن الكلام فيهم بالعدل والعلم حينًا، وبالظلم والجهل أحيانًا كثيرة.

٥- ينبغي لكل من يريد أن يتخصص في دين من الأديان أن يعرف لغة ذلك الدين، «فكما أننـــا نعيب على من يتخصص في الإســـلام وهـــو لا يعرف العربية، فكذلـــك يُعاب على من يتخصص في الهندوكية دون أن يعرف اللغة الهندوسية، واللغة العبرية على من يتخصص في اليهودية، وهي واليونانية على من يريد أن يتخصص في النصرانية، أو الإنجليزية على الأقل: لأن أهم كتـــب الديانة، والبحوث المتعلقة بها موجودة بها»[1]، بـــل اللغة الإنجليزية ضرورية بالنسبة لمن يريد التعمق في النصرانية؛ لأن كثيرًا من أوجه النقد لا تظهر إلا بها، ومن أقرب الأدلة على ذلك أن نســـخة RSV لا توجد إلا باللغة الإنجليزية، وهي أصح النســـخ عندهم، وأقربها إلى الأصل.

وأهم الانتقادات الموجهة إلى الكتاب المقدس إنما توجد فقط في هذه النســـخة، زيادة على ذلك أن مئات النســـخ للكتاب المقدس المنتشرة في العالم، والتي تتبنى كلٌّ نسخة منها طائفة أو فرقة من طوائفهم وفرقهم، لا توجد إلا في اللغة الإنجليزية.

---

(١) مـــن كلام الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي حفظه الله، ذكره أثناء دورة (الحوار مع المخالف) التي أقامتها جمعية العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

خاتمة

حول مستقبل التنصير في إفريقيا[١]

عندما نتحدث عن مستقبل التنصير في القارة: فإننا نتحدث في هذا الصدد عن الطوائف المسيحية الثلاث: (الأرذثوكسية / الأرثوذكسية، الكاثوليكية، البروتستانتية) والمؤسّسات الداعمة لها، وفي مقدمتها الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك، ومجلس الكنائس العالمي بالنسبة للأرثوذكس / للأرثوذكس والبروتستانت.

لقد وضعت هذه المؤسّسات الكنسية الكبرى، وفي مقدمتها مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان، مخططًا لتنصير القارة الإفريقية.. وفي هذا الشأن نظّم الفاتيكان مؤتمر روما التنصيري في ١٩ فبراير ١٩٩٣م تحت شعار «تنصير إفريقيا عام ٢٠٠٠م»، حيث خصّص ميزانية أولية لهذا الغرض قدرها ٥.٣ مليارات دولار لأجل نشر المسيحية في إفريقيا[٢].

هذا الهدف لم يتحقّق بالنسبة المرجوّة، إلا أن الفاتيكان - تحديدًا- لم ييأس، وعمل على تأجيل تحقيقه من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠١٠م، ثم إلى عام ٢٠١٥م، بسبب عدم تحقق النتائج المرجوّة.

لقد تحقّق قرابة نصف هدف الفاتيكان تقريبًا في إفريقيا جنوب الصحراء؛ حيث بلغ عدد النصارى في إفريقيا جنوب الصحراء -وفق بعض التقديرات الكنسية- ٥١٦ مليون مسيحي، بنسبة ٦٢.٧٪ عام ٢٠١٠م، مما يعني أن الإقليم به ثالث أكبر كتلة مسيحية على مستوى العالم بنسبة ٢٣.٦٪، أي: قرابة ربع مسيحيي العالم، وذلك بعد القارة الأمريكية ٣٦.٨٪، وقارة أوروبا ٢٥.٩٪. هذه النسبة لن تتغير كثيرًا إذا ما أضفنا إليها نصارى دول الشمال الإفريقي والسودان؛ حيث تبلغ نسبة النصارى في مصر والسودان ٠،٠٣٪ من

---

(١) د. بدر حسن شافعي- خبير الشؤون الإفريقية - جامعة القاهرة.

(٢) أيمن شبانة: التنصير في إفريقيا.. جهد كاسح ونتائج كسيحة، موقع أون إسلام ٢٠٠٨/٧/٢٦م، على الرابط التالي:
http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/africa-latin-america/108090-2008-07-26%2010-25-17.html

إجمالي سكان العالم.

ويُلاحظ أن أكبر زيادة في عدد المسيحيين في العالم كانت في إفريقيا جنوب الصحراء؛ حيث بلغت الزيـــادة ٦٠ ضعفًا خلال قرن من الزمان، فقد ارتفع عددهم من قرابة ٩ ملايين مسيحي عام ١٩١٠م بنسبة ١،٤٪، إلى ٥١٦ مليون مسيحي عام ٢٠١٠م ٦٢٪، في حين أن عدد المسيحيين في منطقة آسيا – المحيط الهادئ تضاعف عشر مرات؛ حيث ارتفع عددهم من ٢٨ مليونًا عام ١٩١٠م، إلى ٢٨٥ مليون عام ٢٠١٠م.

كما يُلاحظ أن معظم المسيحيين في إفريقيا جنوب الصحراء من البروتستانت ٥٧٪، وهذه النســـبة تضم أعضاء الكنائس الإفريقية المســـتقلة، والأنجليكان، في حين يشكّل الكاثوليك ٣٤٪، أما الأرذثوكس/ الأرثوذكس فلا تزيد نســـبتهم عن ٨٪، وباقي المذاهب الأخرى لا تزيد عن ١٪[1].

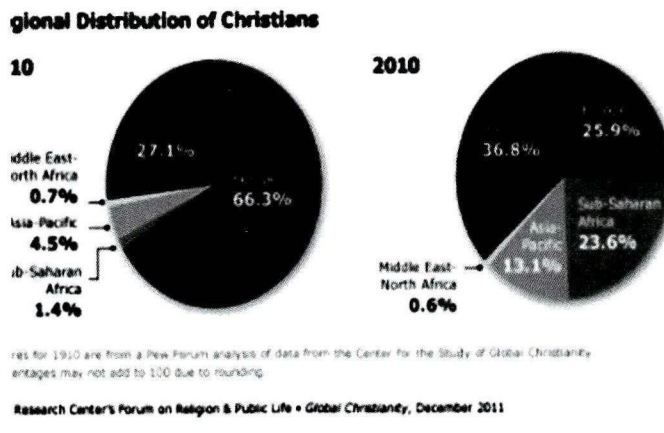

شكل توضيحي للمقارنة بين نسب المســـيحيين في العالم، بما فيهم المنطقة الإفريقية، بين عامي ١٩١٠م –٢٠١٠م[2]

(1) Global Christianity Report (U S A:Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life، December 2011)،PP.53-55 «64»

(2) Ibid ، p.9

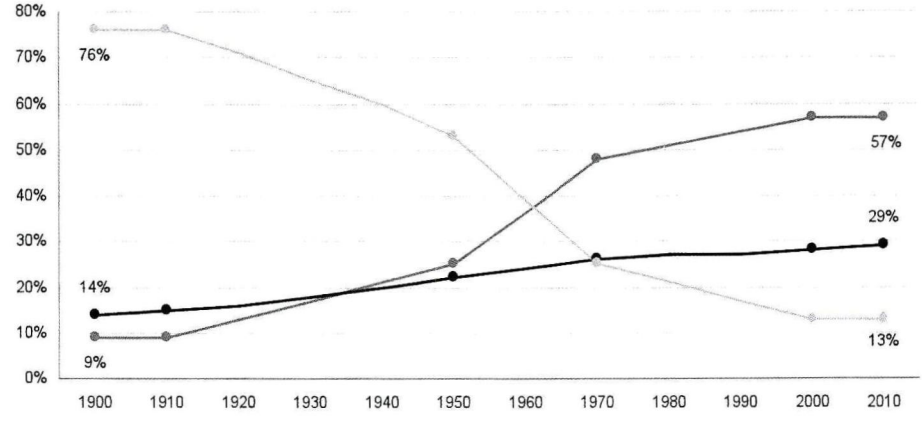

رسم بياني يوضح انتشار الإسلام باللون البني الغامق، والمسيحية بالبني الفاتح، والديانات التقليدية باللون الرمادي، إفريقيا جنوب الصحراء منذ عام ١٩٠٠م وحتى ٢٠١٠م[1]

ويشير الرسم البياني إلى زيادة عدد المسلمين والمسيحيين في إفريقيا جنوب الصحراء على حساب الديانات التقليدية، وإن التفوق في عدد معتنقي المسيحية لأسباب سبق شرحها وذكرها عبر فصول هذا الكتاب، لكن وعلى الرغم من تفوق التنصير إلا أنه يمكن القول: إنه لم يحقّق مستوى الطموحات التي كان يستهدفها الفاتيكان بتنصير القارة بحلول عام ٢٠٠٠م .. بل إن مستوى التمدد والانتشار للتنصير ربما يتراجع خلال الفترة القادمة مقارنة بالفترة الماضية ١٩١٠م – ٢٠١٠م.

هذا التراجع كشف عنه أحد التقارير الصادرة عن أحد المراكز الكنسية الأمريكية Pew Research Center؛ حيث أشار التقرير، من خلال استطلاع للرأي قام به لأكثر من ٢٥ ألف شخص ينتمون لـ١٩ دولة إفريقية جنوب الصحراء، إلى إنه وإن كان الإسلام والمسيحية يزدهران بصورة كبيرة في إفريقيا جنوب الصحراء خلال الفترة من ١٩١٠م – ٢٠١٠م؛ فإن النتائج المتوقعة تشير إلى أن أيًّا منهما لن يتمدد بسرعة على غرار ما كان حادثًا في القرن العشرين، اللهم إلا إذا كان هذا التمدد بسبب زيادة معدّل نمو السكان المسلمين والمسيحيين.

(1) Source: Tolerance and Tension: Islam and Christianity in Sub-Saharan Africa U S A: Pew Forum on Religion & Public Life، April 2010 P.i

وهناك سببان لهذه النتيجة:

الأول: أشـــار التقرير إلى أن معظم مَن تم لقاؤهم ٢٥ ألف شـــخص من ١٩ دولة يعتنقون الإســـلام أو المســـيحية، وهذا يعني أن التحوّل المحتمل من خـــارج هاتين الديانتين إليهما يتراجع بصورة كبيرة، وفي معظم الأقطار، فإن أكثر من ٩٠٪ يؤكّدون أنهم نصارى أو مسلمون، وهو ما يعني أن ١ من كل ١٠ يعرّف نفسه بأنه من أصحاب الديانات التقليدية أو دون دين.

ثانيًا: هناك أدلة على أن كلتا الديانتين لا تتوســـعان بعضهما على حساب الآخر، وبالرغم من وجود نســـبة قليلة في التحوّل بينهما. فإنها تحوّلات غير مؤثرة أو كبيرة، وربما الاستثناء في أوغندا، حيث إن ١ من كل ٣ من الذين تم استطلاع آرائهم يُعلنون أنهم مسيحيون بعد أن كانوا مسلمين، في حين أن فئة قليلة جدًا من الأوغنديين أيضًا يصفون أنفسهم بأنهم صاروا مسلمين بعد أن كانوا مسيحيين[1].

جدول يوضح نِسَب النصارى في بعض دول إفريقيا جنوب الصحراء، وبعض نسب التحوّل من الإسلام إلى النصرانية خلال الآونة الأخيرة، وحتى عام ٢٠١٠م[2]

الدولة	نسبة النصارى إلى إجمالي السكان حتى نهاية التسعينيات	نسبة النصارى عام ٢٠١٠م	نسبة التحول من الإسلام إلى النصرانية
أوغندا	٨٢٪	٨٦٪	٤٪
بوتسوانا	٨٤٪	٨٧٪	٣٪
غانا	٨١٪	٨٣٪	٢٪
إثيوبيا	٦٧٪	٦٩٪	٢٪
تنزانيا	٥٨٪	٦٠٪	٢٪
جنوب إفريقيا	٨٩٪	٨٧٪	٢٪
غينيا بيساو	٦١٪	٦٢٪	١٪

(1) Tolerance and Tension: Islam and Christianity in Sub-Saharan Africa(U S A: Pew Forum on Religion & Public Life، April 2010) p p .11 - 12

(2) Source : Tolerance and Tension: Islam and Christianity

الدولة	نسبة النصارى إلى إجمالي السكان حتى نهاية التسعينيات	نسبة النصارى عام ٢٠١٠م	نسبة التحول من الإسلام إلى النصرانية
كينيا	٨٩٪	٨٨٪	١٪
الكاميرون	٨١٪	٨٠٪	١٪
مالي	٨٪	٨٪	٠٪
الكونغو الديمقراطية	٨٠٪	٨٠٪	٠٪
تشاد	٤٠٪	٤٠٪	٠٪
رواندا	٩٣٪	٩٣٪	٠٪
جيبوتي	٢٪	٢٪	٠٪
السنغال	١٠٪	١٠٪	٠٪
نيجيريا	٤٦٪	٤٦٪	٠٪
ليبيريا	٦٩٪	٦٩٪	٠٪
زامبيا	٩٨٪	٩٨٪	٠٪

ومعنى هذا أن نسب التحوّل بين الديانتين ربما تكون قليلة، كما أن نسبة التحوّل إليهما من قِبل أتباع الديانات التقليدية ربما تكون قليلة أيضًا؛ بسبب أن نسبة المسلمين والمسيحيين في الإقليم تبلغ أكثر من ٩٠٪: ٦٢٪ للنصارى، ٣٠٪ للمسلمين، وإن كانت هذه النسبة يمكن أن تزداد إذا أضفنا مسلمي شمال إفريقيا[1].

وهنا قد يثور التساؤل عن أسباب هذا التراجع في عدد الذين يعتنقون المسيحية في الآونة الأخيرة؛ بالرغم من هذه الإمكانات الضخمة المالية والمؤسّسية والإعلامية التي

(١) يبلغ عدد المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء - وفقًا لإحصاءات عام ٢٠٠٩م - ٢٤١ مليون نسمة، يشكّلون ١٥٪ من إجمالي مسلمي العالم، و٣٠٪ من سكان الإقليم، وتُعدّ نيجيريا أكبر دولة من حيث عدد المسلمين ٧٨ مليون نسمة (يشكّلون قرابة ٥٠٪)، وتقريبًا واحد من كل ٣ من المسلمين (قرابة ٣٢٪) من مسلمي إفريقيا جنوب الصحراء يعيشون في نيجيريا. ويلاحظ أن غرب إفريقيا هي المنطقة الوحيدة في الإقليم التي تقطنها الأغلبية المسلمة (بخلاف الشمال الإفريقي). وعلى النقيض من ذلك فإن منطقة الجنوب الإفريقي ذات أقلية مسلمة. لمزيد من التفاصيل انظر: MAPPING THE GLOBAL MUSLIM POPULATION، (U S A: Pew Research Center، 2009) PP.19-20

حققتها خلال القرن الماضي، وأوائل العقد الحالي من القرن الجديد.

يمكن القول بوجود مجموعة من الأسباب في هذا الشأن، لعل من أبرزها[1]:

١- الخلافات المذهبية بين المنظّمات التنصيرية:

وانتشار الكنائس المستقلة، والصهيونية، وانتماء معظم المنصّرين إلى الدول الغربية، وهو ما يفسّر جهلهم بواقع القارة وخصائص شعوبها: حيث يستهجن هؤلاء إيمان الأفارقة بالأرواح وعالم الغيب، وهو جزء أساس من المعتقدات والقيم الإفريقية التي استمرت حتى بعد اعتناق كثير من الأفارقة للديانات السماوية، كما يمثّل الاعتماد على أسلوب التنصير الفردي تجاهلاً لطبيعة الانتماء الجماعي في إفريقيا، وهو ما أعطى انطباعًا بأن الأفراد يجب أن يتركوا قبائلهم لينتموا إلى المسيحية، وخصوصًا أن التعميد يتطلب أحيانًا إذنًا كتابيًا من القبيلة التي ينتمي إليها الفرد.

٢- النظرة الاستعلائية التي يتعامل بها معظم المنصرين مع الأفارقة:

وهو منطق نابع من الإحساس بتفوّق المجتمع الغربي الذي جاءوا منه، ومن ثَم لم يندمج معظم المنصّرين في المجتمعات الإفريقية، فلم يتزوجوا منهم، وإنما حافظوا دائمًا على مسافة بينهم وبين الأفارقة، كما عاشوا في مستويات معيشية مرتفعة مقارنة بهم، وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى ارتباط صفة التغريب والاستعلاء في أذهان الأفارقة بالمسيحية.

٣- قيام معظم المنظّمات التنصيرية بتقديم صورة سيئة عن إفريقيا والأفارقة في أوروبا وأمريكا:

لأجل استمرار جذب الأموال اللازمة للتنصير، وهو ما أثار استياء الأفارقة، ونال بشدة من مصداقية تلك المنظّمات.

إن هذه الأسباب السابقة لا تعني التقليل من جهود التنصير، والنتائج التي تم تحقيقها في إفريقيا، وبخاصة منطقة جنوب الصحراء، والتي -كما قلنا- ساهمت في مضاعفة نسبة النصارى ٦٠ مرة خلال قرن واحد من الزمان، إلا أنها تراجعت خلال الآونة الأخيرة للأسباب سالفة الذكر.

وهنا قد يثور التساؤل حول كيفية الاستفادة الإسلامية من تجربة التنصير في إفريقيا وفق قاعدة «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها»؟

---

(١) حول هذه الأسباب انظر: أيمن شبانة، مرجع سابق.

فبالرغم من أن هذا السؤال قد يثير حفيظة بعضنا، لكن دعنا نقول: إن الكنيسة امتلكت أدوات تأثير ساهمت في زيادة عدد مَن اعتنق المسيحية في إفريقيا، ولمّا كانت «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها»: كان علينا الاستفادة من هذه التجارب: «فالعقل الإسلامي المنفتح على التجربة الكنسية عليه أن يستفيد من خبرات الكنيسة، وتجاربها وصمودها، وصبرها، ونظمها ولوائحها، وترابطها وتماسكها، ورهبانيتها، وتعليمها، وإمكانياتها، وتطورها التاريخي، ودراساتها لتقاليد الشعوب وأوضاع الشعوب ولغاتها.

كما أن على حركة الدعوة الإسلامية الاستفادة من الخطاب الكنسي في إفريقيا، وكيف استطاع هذا الخطاب أن يتواءم مع العقل المحلي والتجارب المحلية، ويصيب هذا النجاح المذهل في إفريقيا في المائة وخمسين سنة الأخيرة»[1].

(١) د. حسن مكي: نظرات في المشروع التنصيري في إفريقيا، مرجع سابق.

التعريف بـ«سلسلة إصدارات مجلة قراءات إفريقية»

دورية اســـتراتيجية تهتـــم بتقديم رؤى استشـــرافية وفكرية لصُناع القـــرار والمفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي، تصدر عن مجلة قراءات إفريقية.

تســـعى المجلة وإصداراتها إلى الارتقاء بالوعـــي الصحيح للواقع الإفريقي وقضاياه من منظور إســـلامي، ونشره بأبعاده المختلفة، وتنميته بالقراءة العلمية المتخصصة التي تنهض بالفكر، وتعـــي الأبعاد التاريخية والبيئيـــة المحلية، وتنير البصيرة بالحاضر، وتستشـــرف المستقبل.

يتركز اهتمام «إصدارات مجلة قراءات إفريقية» على التحديات الفكرية والاســـتراتيجية والسياسية التي تواجه المسلمين في القارة الإفريقية، سواء على المستوى الداخلي السياسي منه والاقتصادي والاجتماعي، فتهتم السلسلة بقضايا انتشار الإسلام واللغة العربية والتعليم والفقر والصحة والتنصير وغيرها، أو في علاقات القارة مع الدول والشعوب غير المسلمة، أو على مستوى الرؤى الفكرية والحضارية الخاصة بمستقبل المسلمين في القارة الإفريقية.

مجالات الاهتمام:

تهتم سلســـلة «إصدارات مجلة قراءات إفريقيـــة» بخدمة صانع القرار في العالم العربي والإسلامي من خلال الجوانب التالية:

١- تقديم دراسات تحليلية لقضايا واقعية ملحة في القارة الإفريقية تشغل اهتمام صانع القرار في العالم العربي والإسلامي.

٢- عرض حلول عملية للمشـــكلات المعاصرة في القارة الإفريقية في المجالات المهمة التي يعايشها المسلمون في القارة الإفريقية.

٣- إبراز الأهمية الاستراتيجية للقارة الإفريقية، وتأثيرها في الواقع الإسلامي.

٤- التعريف بقضايا الإنسان والشعوب الإفريقية ومشكلاتها وتطلعاتها.

٥- إبراز الدور الحضاري للمسلمين في إفريقيا، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حوله.

٦- توسيع آفاق المهتمين بالشأن الإفريقي حول الواقع الأفريقي وقضاياه.

٧- اقتراح حلول لعلاج المشكلات المتعلقة بالواقع الإسلامي في القارة.

٨- تقديم رؤى استشرافية مستقبلية للقضايا الإفريقية المهمة.